

BOBST LIBRARY



3 1142 02821 4966



70-962254

161

# هَضْرَةُ الْحُسَيْنِ

بقلم الحجة الأكبر السيد

هَبِيبُ الدِّينِ

الحسيني الشهرستاني

من منشورات

رابطة النشر الإسلامي

كربلاء - العراق

وقدم له

علي الطائي



al-Shahrastānī, Hibat al-Dīn - - -

منشورات رابطة النشر الاسلامي

— كربلاء المقدسة —

| Nahdat al-Husayn |

مَهْضَةُ الْحُسَيْنِ

بقلم الحجة الاكبر السيد

هَبِيبُ الدِّينِ

الحسيني الشهرستاني

---

١٢٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

مطبعة دار التضامن

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

BP  
80  
HP

الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٤ هجرية - ١٩٢٥ ميلادية  
أصدرته مجلة ( المرشد ) البغدادية  
بغداد

S521  
1969  
٥.١

الطبعة الثانية في سنة ١٣٥٥ هجرية - ١٩٣٧ ميلادية  
مع اضافات وشروح من المؤلف ومقدمة من الناشر  
التاجر الحاج علي الحاج حسون الجابري

الطبعة الثالثة في سنة ١٩٦٥ هجرية - ١٩٤٦ ميلادية  
اعادة للطبعة الاولى دونما اضافة  
من قبل صاحب المكتبة الحيدرية الشيخ محمد كاظم الكتبي  
في النجف الاشرف

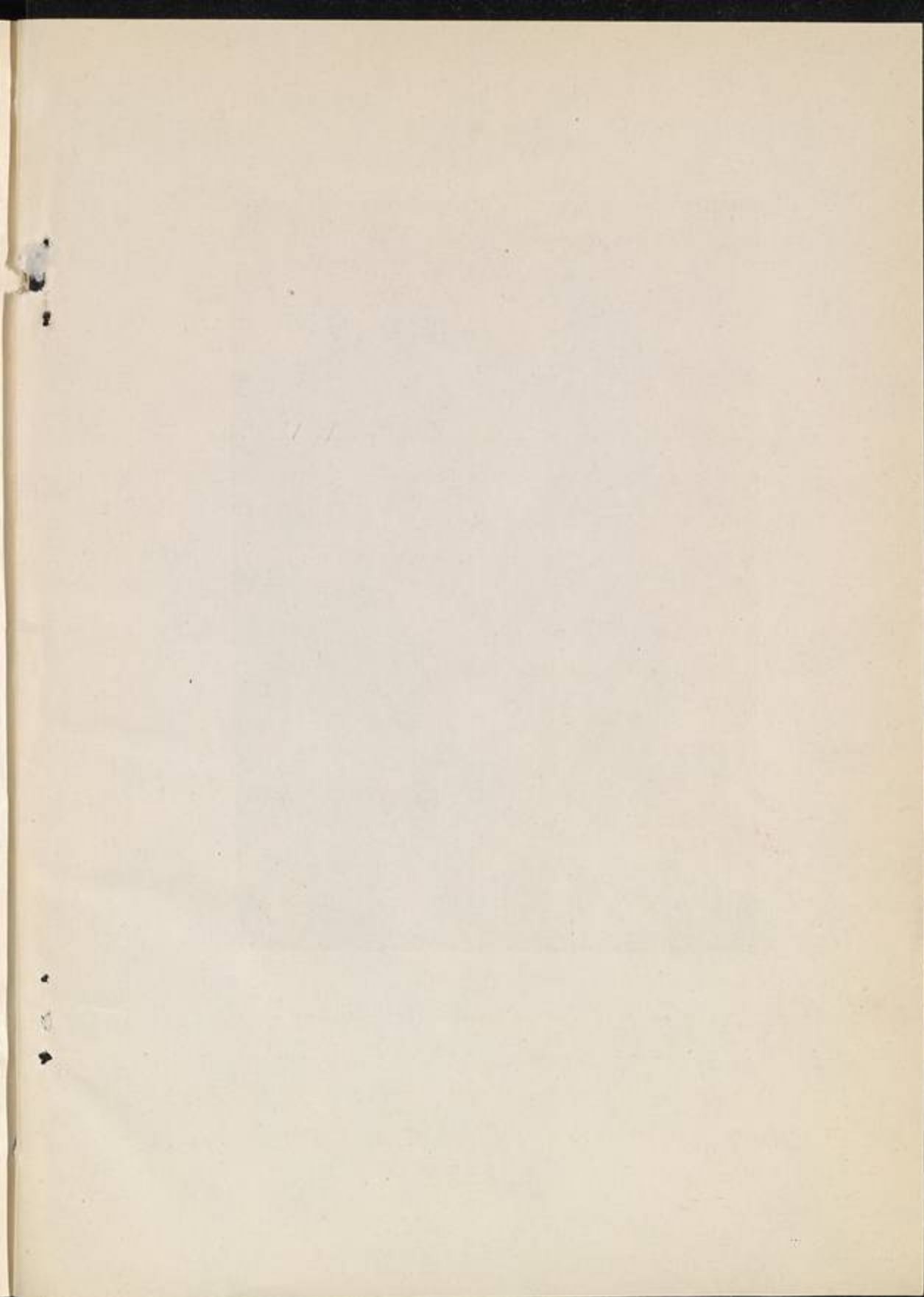
الطبعة الرابعة في سنة ١٣٧٧ هجرية - ١٩٥٨ ميلادية  
اعادة للطبعة الاولى مع اضافة سبعة فصول  
جديدة من المؤلف الى الكتاب  
أصدرته دار الاحياء للكتب الاسلامية  
في النجف الاشرف

الطبعة الخامسة في سنة ١٣٨٨ هجرية - ١٩٦٩ ميلادية  
حوت كافة الفصول المضافة والمقدمات ، مع ترجمة المؤلف  
أصدرتها رابطة النشر الاسلامي في كربلاء المقدسة





فقيه الاسلام والمسلمين الحجة الاكبر والمصلح  
الشهير السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني



# حياة المؤلف

## السيد محمد علي هبة الدين الحسيني

### الشهير بالشهرستاني

المتولد ١٣٠١ هـ والمتوفي ١٣٨٦ هـ  
الموافق ١٨٨٣ م - ١٩٦٧ م

بقلم علي الخاقاني

هو الحجة السيد هبة الدين محمد علي بن الحسين العابد بن محسن الصراف بن المرتضى بن محمد بن الامير السيد علي الكبير بن منصور بن شيخ الاسلام ابي المعالي محمد تقيب البصرة بن احمد بن شمس الدين محمد البازباز بن شريف الدين محمد بن عبدالعزيز النقيب بن علي الرئيس بن محمد ابن علي القليل بن الحسن النقيب بن ابي الفتوح محمد بن شريعة الملة الحسن ابن عيسى بن عز الدين عمر بن ابي الغنائم محمد بن محمد النقيب بن الشريف ابي علي الحسن بن ابي الحسن محمد التقي الساسي بن ابي الحسن محمد الفارس النقيب بن يحيى تقيب النقباء بن الحسين النسابة النقيب بن احمد المحدث بن عمر بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد ابن الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب .

وأسرته المعروفة في كربلاء بال سيد علي الكبير المتوفى في أوائل القرن الثالث عشر الهجري لها فروع في كل من كربلاء والنجف والكاظمية، أما في كرمشاه وهمدان وطهران فقد نزحوا إليها من العراق قبل قرن كامل واتسعت فروعها هناك ، وكذا اخواله الشهرستانيون فاسرتهم ايضا منتشرة في العراق ويران .

ولد في سامراء ظهيرة يوم الثلاثاء ٢٣ رجب من عام ١٣٠١ هـ ونشأ بها على ابيه الذي رعاه ووجهه كما يريد الله والناس من حب العلم واربابه وكان للمدرسة الاولى ( الام ) فضل كبير في زرع الثقافة بذهنه وصقل حسه المبكر ، وقد كانت كما تدل آثارها من الشاعرات الفاضلات ،

وهكذا نشأ بين أبوين صالحين عالمين ، نما وترعرع في جو كان يهيمن عليه  
أكبر زعيم ديني هو السيد ميرزا حسن الشيرازي الذي صدع الغرب بجرأته  
وقوته الدينية ، وزعزع أكبر جانب اقتصادي له بتحريمه وفرضه على الشاه  
ناصر الدين ان يلغي الاتفاق معه بخصوص امتياز التبناك وذلك عام  
١٣٠٧ هـ ، وكان الوليد الحي آنذاك يسمع بهذه العواصف ، ويتحسس  
هذه الزوابع التي تربي النفسيات على الاعتداد والاعتزاز ، خاصة وان رجل  
الدين هو فوق رجل السلطة والسياسة ، وراح ينظر سامراء وهي تعج  
بالافذاذ والاقطاب من اعلام العراق ويران والهند تحج بيت الشيرازي  
وتخشع بعد زيارة الامامين العسكريين (ع) .

رجع بعد وفاة الشيرازي مع والده الى كربلاء موطن الاباء وهنا تبدأ  
ادوار حياته التي رأيت ان اقسماها الى سبعة وهي :

١ - هاجر من كربلاء الى النجف في شعبان من عام ١٣٢٠ هـ بعد  
ان نشطت معارفه ، والفضل كما ذكره - حفظه الله - يعود الى الزاهد  
السيد مرتضى الكشميري فقد زار كربلاء في رجب من السنة نفسها وقصد  
المرجم له في بيته يعزیه بوفاة ابيه لقرب الزمن بالوفاة ودار البحث حول  
خواطر علمية وعلى اثرها حسن له الهجرة الى النجف والحظوة بانديتها  
العلمية والاستفادة من مركزها العالمي ، فأعذر له اولا لوجود موانع عائلية ،  
ثم التقى معه بالحرم الحسيني ليلة الجمعة اوائل شعبان فآلم الكشميري عليه  
وامره بالاستخارة في كتاب الله فاذا بالآية ( وجعلنا ابن مريم وامه آيتين  
وآويناها الى ربوة ذات قرار ومعين ) وكانت من الصدق ان ام المترجم له  
اسمها ( مريم ) واشبع له القول حول تفسير الآية ومصادفتها العجيبة ، وعلى  
الفور هاجر بوالدته وتوطن النجف مدة خمسة عشر عاما ، يختلف خلالها  
على الحلقات العلمية ويحضر الحلقات الادبية واول عمل قام به هو فتحه  
لابواب التدريس في العلوم الاربعة البلاغة ، المنطق والفلسفة ، الهيئة  
والنجوم ، اصول الدين وفروعه ، وكان لبقا عجيبا ومصورا بارعا

فانهالت عليه جموع من الشباب الذكي من مختلف الاسر الروحية كال  
الجواهري وآل كاشف الغطاء وآل الشيبلي وآل الجزائري ، ورمقه  
أساتذته امثال ابي الاحرار الشيخ ملا كاظم الخراساني وشيخ الشريعة والسيد  
كاظم الطباطبائي . وفي خلال السنين الثلاث الاول من بقاءه امتد طموحه فاتصل  
بصحف القاهرة وانديتها العلمية ومطبوعاتها التي صارت ترد عليه بكثرة  
مع فقدانها عند غيره ، فتجمع عليه المتعطشون من ابناء العلم الذين حجبت  
عنهم ، وفي هذه الآونة من اوائل حياته اتج اول اثر قيم له هو كتاب  
( الهيئة والاسلام ) الذي وسع افق الذهنية الدينية وفتح لها ابوابا جديدة  
من العلم والاتصال بالفكر الغربية والمخترعات الحديثة آنذاك .

٢ - بدأ اشتغاله بالسياسة في عام ١٣٢٤ هـ حيث قام العلماء في  
طهران يطالبون الحكومة بالعدل والشورى والدستور وكبيرهم آنذاك ابن  
عمه الامير السيد محمد الشهير بأية الله الطباطبائي والسيد عبدالله البهبهاني  
فصار المترجم له يستمد المعلومات السياسية والتطورات الفكرية حولهما،  
كما يتصل بالوقت نفسه باقطاب الفكر الحي في مصر ، واشتدت صلته  
باستاذه الخراساني وشجعه على استمراره بنشاطه ، وقوى نفسيته جموع  
من الشباب المتيقظ من احرار النجف وطلبوا منه اصدار مجلة علمية  
سياسية فلبى طلبهم واصدر مجلته ( العلم ) في ذلك الدور المظلم ، واستمر  
في اصدارها حولين كاملين كانت اعدادها كالشواظ تلهب النفوس وتوقظ  
العافلين من ذوي المواهب ، وحام حوله فريق ممن نما الوعي فيه واكمل  
فسانده على نشرها ، وكان صداها في العالم الاسلامي والعربي يردد بقوة  
كما كانت تصل الى ابعد الحواضر الغربية ، وكانت كمدرسة تعلم الشباب  
معنى الجهاد والعمل ، ومبادلاتها التي تأتياها من كتب ومجلات ممن  
مختلف الدنيا لها ابلغ الاثر في تغذية نفوس الشباب الحر الذي انزل عن  
الدنيا ولم يعرف ما يجري فيها ، فكان بفضل ( العلم ) ان اتصل بالعالمين  
الشرقي والغربي اتصالا فكريا وسياسيا وانبثقت اراء له حرة جرئة انعكست  
اصداؤها على الخارج ما دعا ان تلقب النجف بمدينة الاحرار وان يستفاد

بها كأداة صالحه لقلب مياديه ، وخلق دول حرة تستند على الشورى  
والرأى ونبذ الاستبداد ، وتعاون معها احرار طهران واستانبول لتفهم  
الرأى العام الاسلامي وحمله على مقاومة الشاهات والسلطين المستبدين  
من آل عثمان .

٣- وبعد ان انتشر صيته وتعالى اسمه قام بسفريات في مختلف العواصم  
الشرقية من عريية وايرانية وهندية ، فدخل سوريا ولبنان ومصر والحجاز  
واليمن وزار الهند فمكث بها اكثر من عام ، ولم يقتصر على الدعاية  
للدين والوطن فحسب بل راح يلهب شباب تلك الاقطار بتأسيس  
الجمعيات والنوادي واصدار الصحف ونشر المعارف والعلوم ، وقد سجل  
ذكرياته في رحلته هذه ووصف فيها ما دار بينه وبين اعلام تلك المدن التي  
دخلها ، وقد استغرقت رحلته هذه ثلاث سنوات بدأ فيها من اوائل عام  
١٣٣٠ هـ الى ١٣٣٣ هـ وعاد في اول رمضان من تلك السنة الى النجف  
حيث اخذ يقص على اخوانه وتلامذته ما شاهده ، ويوقظ فيهم روح الحماس  
للتطلع الى تلك الاقطار وما فيها من تطور .

٤- وهذا الدور يبدأ بجهاده ومناوئته للاستعمار وجيوش الانكليز  
التي صارت تزحف على العراق ، والروس الذين اخذوا يحتلون ايران ،  
واستأنف محاضراته على اخوانه وتلامذته بايقاظ الهمم والسعي وراء مطاردة  
المعتدين ، وعلى اثر حركته هذه زاره قائمقام النجف ( بهيج بك )  
وابلغه برقية رمزية من والى بغداد ( حسين جاويد ) ورغبته بالحضور الى  
بغداد لمشورة معه مهمة ، فسافر اليه في ١٢ رمضان من عام ١٣٣٣ هـ  
فسر اليه الوالى ان الحرب الالمانية الانكليزية بدأت في اوروبا ولا بد انها  
ستشمل الممالك العثمانية حسب ما علمت من ناظر الحرية ( انور باشا )  
فهل ترى من تدبير لمحافظة العراق وولاء العشائر لنا وصد هجمات الاعداء ،  
فأبدى له الخطة الراجحة والرأى السديد الذي اذا سلكه فسيفوز ، ومن  
ذلك الحين بدأ يحكم الصلات بين رجال الدين وبغداد ونظارة الحرية  
في الاستانة ، ووجد الرأى بين علماء كربلاء والنجف ، وكان في مقدمة المؤيدين

له السيد كاظم اليزدي الذي اعلن رأيه بوضوح وجرأة ، وصعد على منبر وضع له في مقام المهدي بوادي السلام وكان يوم الغدير وجموع العشائر احتشدت في النجف تزور هذا اليوم ، فكان الى جنبه المترجم له يوضح للناس رأي اليزدي باسلوب يقربه من فهم الجماهير له ، وكانت الحكومة العثمانية قد دخلت الحرب في اوائل عيد الاضحى من عام ١٣٣٣ هـ فسارت جموع العلماء من النجف لحفظ الثغور العراقية وفي مقدمة الجناح الايمن السيد محمد سعيد الجبوبي وقد اتجه نحو (الشعبية) ، وفي القلب (القورنة) شيخ الشريعة والسيد ابو القاسم الكاشاني والسيد مهدي آل السيد حيدر ، وفي الجناح الايسر السيد محمد اليزدي والشيخ جعفر آل الشيخ راضي وهو الاهواز ، وتحرك المترجم له في اوائل محرم من عام ١٣٣٣ هـ من طريق القران بجمع العشائر من آل قتله وبني حسن والعوابد وغيرهم الى السماوة فالمتفك فسوق الشيوخ الى ان التحق بالشعبية من الجناح الايمن ، وهناك مفرزة تحت أمره (على بيك) و (احمد اوراق) التحق بهم الوالي (سليمان عسكري باشا) وقد صور الحوادث التي وقعت فيها وما اصاب الجيش المجاهد من خذلان بكتاب اسماه (الخيبة في الشعبية) وبعد ان عادت الجموع وانسحبت الجيوش رجع المترجم له الى النجف وقد الم به المرض ، وفي هذه الحالة اتصل به (حمزه بك) متصرف كربلاء طالبا منه رسم خطة للكفاح الى الجهاد عن طريق كوت الامارة مع السيد الحيدري وجماهير العلماء والعشائر تحت قيادة (محمد باشا الداغستاني) والتحق بهم (خليل باشا) والي بغداد ، وزارهم من جهة الكوت (فندر غليج باشا الالماني) وكان النصر حليفهم في هذه المرة ، فقد اسروا الجيش الانكليزي الذي حوصر وعده اثنى عشر الف مع قائده الجنرال (تاوند زند) واخبار هذه الكفاح لا تقوى على تفصيلها الآن .

٥ - وهذا الدور الذي ظهر فيه كبطل في الثورة العراقية التي بدأت بعد احتلال الانكليز لبغداد والبصرة ، فقد قطن خلاله في كربلاء واخذ

يكون حلقات في مدرسة باب السدرة يلتقى فيها محاضرات في التفسير  
ويؤلف الكتب التي تشيد بهذا الفن وغيره ، واتعشت حركة الشباب  
الروحية ، وفي عهده هذا انتقل الحجة الخالد الذكر الشيخ محمد تقى  
الشيرازي من سامراء الى كربلاء فاتصل به المترجم له مع من اتصل به  
من احرار النجف وقوى صلاته به وكانت النتيجة ان تبنى الامام الشيرازي  
حركة الثورة المقدسة ومطالبة الانكليز بالغاء ونيل العراق للاستقلال التام  
فكان المترجم له احد اعضاء هذه الحركة الفعالة ، ومن ابطالها ممن  
ذوي الرأي والتدبير ، وقام بامر استاذه وقائده مثلاً كربلاء مع صديقه  
الشيخ احمد ابن الشيخ ملا كاظم الخراساني في بغداد عند السير ولسون  
الحاكم السياسى العام عام ١٩٢٠ م بعد ان القى الانكليز القبض على مجموعة  
كبيرة من رجال الحركة ومنهم الشيخ محمد رضا نجل الامام الشيرازي  
وعمر الحاج علوان ، ولما عاد المترجم له ورفيقه الى كربلاء بخفى حنين اطلقت  
على الانكليز اول رصاصة بالرميثة والتهمت عشائر آل قتلة الخزاغل وبني  
حسن والعوابد وغيرهم ممن سجل جهادهم التاريخ الصادق وتسربت الى  
كربلاء اطراف الحلة والنجف ونواحيها فاخرجوا الحكام الانكليز منها  
وقطعوا خطوط المواصلات عليهم ، واسقطوا نحو ثمانية طائرات حربية ،  
واغرقوا عدة سفن ، وربما بلغت خسائر الجيش الانكليزى حوالى العشرة  
آلاف ، غير ان نأ وفاة القائد الاعلى للثورة الامام الشيرازى جاء في وقت  
خرج في اوائل ذى الحجة من عام ١٣٣٨ هـ مما اثر على عزائم الثوار ،  
وزاد الطين بله ان احتلت قوى الانكليز مدينة كربلاء باستسلام الشيخ  
فخرى آل كموته في صفر من العام نفسه فالقوا القبض ليلاً على المترجم له  
واصحاه وبعثوه اسراء الى الهندية (طوبى له) ثم الى الحلة حيث بقى  
ورفاقه في السجن تسعة اشهر ، وبعدها اطلق سراحهم علم اثر فتنة (ميرزا  
كجك خان) في رشت ناد ان فصدر العفو من جورج الخامس في رمضان  
من عام ١٣٣٩ هـ فعاد المترجم الى كربلاء واستأنف نشاطه العلمى .

وفي ذى الحجة من العام نفسه دعاه عبد الحميد خان الحاكم السياسى



في كربلاء لمقابلة جلالة الملك فيصل الاول في الحرم الحسيني المطهر عندما يأتي من زيارة النجف وقد رشح للملوكية ، فحضر مع باقي العلماء واستقبلوا ضيفهم الكبير، وتبذلت بين الملك فيصل الاول والسيد الشهرستاني آيات الترحيب والتعظيم ، وبعد وصوله الى بغداد ارسل اليه الملك فيصل مؤكدا عليه قبول وزارة المعارف العراقية .

٦ - وفي هذه الدور برز السيد الشهرستاني بطلا جبارا فأخذ يرسم الخطط لتقليص ظل النفوذ الانكليزي من المعارف وتحديدته تجاه وضع المناهج الاستعمارية وتبديل الشارات الانكليزية بالشعائر الوطنية ، مما لفت نظر الاحرار آنذاك واعجبوا بصرامته وقوته ، والف الشاب الوطني المرحوم السيد محمد عبد الحسين الكاظمي المحامي كتابا سماه ( سر تقدم المعارف ) موضحا سيرة هذا الوزير الجليل واقدمه على ابعاد مستشاره دون باقي الوزراء ، واختلف مع زملائه لاجل ذلك ، ولما عرضت التوصيات بالانتداب كان المخالف الاول نبوده ، وقد سجل المؤرخ العراقي السيد عبدالرزاق الحسيني في كتابه ( تاريخ الوزارات العراقية ) مواقفه ومغامراته ، ولما لم يجد المترجم له عوناً على تنفيذ تقريره الطويل الذي قدمه بهذا الشأن فضل الاستقالة وعدم التعاون مع زملائه الوزراء ، وكان رئيس الوزارة السيد عبد الرحمن النقيب وتاريخ الاستقالة في ذي الحجة من عام ١٣٤٠ هـ .

٧ - وفي هذا الدور ظهر ممثلاً للقضاء الشرعي حيث اسند اليه منصب رئاسة مجلس التمييز الشرعي الجعفري باصرار من صاحب الجلالة الملك فيصل الاول ، وقد اعتذر له غير ان مجموعة العلماء اصرروا عليه بقبوله لتوفر الكفاءات عنده ، وساند الجميع الزام فخامة السيد ناجي السويدي وزير العدلية آنذاك بقبول هذا المنصب ، وبنى قبوله على اساس رفع درجة القضاء الجعفري من نواب قضاة الى قضاة ، ونفذ هذا الاقتراح بصدور الاوامر في ربيع الاول من عام ١٣٤٢ هـ فاتجه الى تنظيم هذا المجلس الذي هو الاول من نوعه وحدد موقف باقي المحاكم القضائية المرتبطة به ، وانتخب مجموعة من الرجال الصالحين للاتساب اليه ، وفي

خلال تنظيمه وانشغاله بذلك فاجأه القدر القاسي بذهاب بصره ولهذا القدر قصة لا تقوى على سردها ، ولكنه بقي يشغل هذا المقام اثني عشر عاماً لاقتتار السلطات القضائية اليه ، واخيراً ، احسن بالكلفة التي يعانها من جراء ادارته له ففضل الانسحاب منه والتمس من صديقه فخامة السيد علي جودت الايوبي ان يعفيه من الاستمرار في العمل ، فلبى طلبه ورشحه نائباً عن بغداد في البرلمان العراقي فدخله وبقي فيه مثلاً الى ان انحل ، وبعد ذلك فضل الرجوع الى حضيرة الروحية التي يتشوق اليها ويحن على عهدها السالفة فأثر الإقامة في الكاظمية وبقي فيها زمناً طويلاً يقوم بمحاضرات واسعة في كشف اسرار القرآن وتفسيره ، واسس خلال اقامته في رمضان من عام ١٣٦٠ هـ مكتبة الجوادين العامة فنقل كنهها وانهالت الكتب من مختلف الاقطار عليها مما اصبحت من امهات المكتبات العراقية .

والمترجم له من اشهر مشاهير الشرق ، ومن الاعلام الذين سرى ذكرهم الى الغرب مشفوعاً بالاكبار ، واصل جهاده الديني والعلمي منذ البدء حتى اليوم على ما هو عليه من تأخر في صحته وانشغال في مزاجه ، ولخبرته في فهم الصحة وثمنها فانه ظل يواصل المحافظة على مزاجه رغم الاعمال التي يقوم بها والامالي التي يواصلها ، وتفكيره سليم لا بعد حد فهو الرجل الديني الوحيد الذي عرفت انه لا يداجي ولا يدجل ولم يتقلب حسب رغبة الظروف ، واطهر مزاياه الاستقامة وهي كل شيء في الانسان يرجع اليه في التقليد عالم كبير في اقطار الشرق .

واجه مجتمعه من يوم ان اعتمد على خبرته في الفقه وفهم القرآن ، بامور يتصورها الناس انها جزء من الدين والدين منها براء ، وقد كوتتها بلادة اقوام او اغراضهم فبقيت تنخر في ذهنية العوام حتى انستهم اصول عقائدهم الصحيحة ، و ابو الجواد كله اصلاح وكله خير وكله عمل ، واول صدمة قام بها لمجتمعه الروحي هو تأليفه ونشره لرسالة ( تحريم نقل الجنائز ) وبها صار مضرب المثل في جرأته ، ولخبرته الواسعة بكتب آل

البيت (ع) وضبط ما جاء عنهم ، قام فصرخ في وجه الجبناء من الفقهاء طالبا منهم ان يوقفوا الناس على حقيقة الامر ، مدلا على ذلك بكل برهان جلي ، وصدمه ايضا بمقالاته التي واصلها في مجلته ( العلم ) التي انشأها عام ١٣٢٨ هـ واطلع بسببها كل من لم يعلم عن قيمة المذهب الصحيح ونقائه ، وصدمه يوم ان فصل المستشار البريطاني ( كبتن فاوول ) عن وزارة المعارف فحدث رجة في الاوساط السياسية ، وصدم مجتمعه يوم ان صرخ في تحريم ضرب القامة على الهامة ، ونبت تلك العادات الوحشية من ضرب السلاسل ايضا ، واستقام في مبدئه لم يحد عنه شبرا واحدا ، وبرهن على صحته بكونه لم يتغل مكائته الاجتماعية الخطيرة بامتلاك ارض او عقار .

وابو الجواد عرفته منذ زمن بعيد جدا وسره انه الملجأ للشباب الحائر والموئل للاحرار منهم وقد عرفته يوم ان اتصلت به نتيجة ماقراته من آثاره القيمة وكتبه الخالدة ومقالاته الملهبة ، وعرفته بعد ان اتصلت به كأمين لمكتبته العامة في الكاظمية فكان يأتيني في كل يوم بسر مجهول من اللطف والوداعة والشرف والابداع ، ووقفت على توجيهه لعائلته ذكورا واناثا بان لم يدخلوا ولم يشربوا الشاي ولا القهوة لانه ينهي عن شربها ويؤكد ، وكان يتضايق مني لاستعمالي لها ، ولكنه يغفر لي ذلك اعتزازا بما يلقاه مني من توجيه وتنظيم لمكتبته وايصال اسمها الى ابعد الامكنة وربط المؤلفين بها .

عرفته في مختلف الظروف انسانا يحب الخير ويدعو له فقد قلب سيرة الكاظمية في اليوم العاشر من المحرم من ضرب القامة الى اقامة حفل عظيم تتلى فيه اسرار نهضة الحسين من قبل اعلام الكتاب والشعراء ، وثابر على ذلك سبعة اعوام كانت نتائجها تملأ المجلات والصحف وتوجد الكتب القيمة في الموضوع نفسه ، ومن نتائجها الاعداد الخاصة بذكرى الحسين لمجلتي البيان ، كل ذلك كان يسعى اليه ليقلب صفحة التفكير ويوقف الناس على فهم الدين وما يريد الاائمة (ع) من سعادة للناس لا ان يشقوا ويتعسوا ، ولكن المغرضين وارباب الاطماع لم يرق لهم ذلك بل راحوا يعيدون الدور

السابق بارجاع العوام الى حضيرة لجهل والفناء ، وتغضبوا بفضل من يمدهم من انصار الاستعمار ، فلجأ الى بيته محتسبا اعماله وتضحياته عند الله والحق •

وعرفته بصاحبتي له في عام ١٩٦٥ هـ عند زيارته لايران حيث قضيت معه اكثر من شهرين متتابعين بغية الاستفادة من معلوماته ، وقد حصلت على ما اردت واملى علي كثيرا من الذكريات المهمة ووقوفه على الاحداث الفاصلة في تاريخنا معللا اسبابها ، وموضحا بواعثها ، وكنت اشاهده وهو يحنو علي اكثر من والدي ، ويرفق بي اكثر من ولده ، وعجبت من نفسيته الكبيرة التي تجلت بزيارة المسؤولين له في الدولة الايرانية وعدم اكرائه بسطوتهم ، وفعلا كنت يوما عنده في دار فخامة السيد صدر الاشراف ( تجريش ) وقد زاره فخامة السيد حسين علاء رئيس وزراء ايران وهو في الحكم فقابلته كما يقابل ابسط اصداقائه ، وعند القيام لم يخط معه خطوة واحدة عن كرسيه ، وهكذا رأته يقوم بمظهر الزعيم الديني الذي يجد نفسه اهلا لاحتلال المقام الروحي ومعرفة التصرف بشؤونه •

وصاحبته الى خراسان وقد ركبنا الطائرة سوية فشاهدت الانقلاب العظيم الذي خرجت فيه خراسان حكومة وشعبا لاستقبال وتقييل يده ، وهكذا رأته في كل من همدان وملاير وبروجرد ودرود واراك وقم وهذه المكانة وليدة ماقدمه من جهود خلال نصف قرن الى العالم الاسلامي والعربي من خدمة واستقامة •

هذا بعض ما اعرفه عن هذا العلم الفذ والمصلح المخلص ، والعالم العامل وهذا بعض ما وقفت عليه من سيرته المشرقة ، والمليئة بالصورة الناطقة •

### آثاره العلمية

واروع جانب من حياته هي هذه لآثار التي نسجلها ، وقد سدت فراغا كبيرا في المكتبة العربية الاسلامية وهي التي طبعت ، أما الذي لا يزال

مخطوطا واهمه في التفسير فأنسأ بفاه ، وایك أسماء مؤلفاته مرتبه  
حسب ازمنه الطبع .

- ١ - منظومه مواهب المشاهد في اصول العقائد ٢ - رواتح الفيوض  
في فن العروض واوزان بحور الشعر ٣ - اهيته والاسلام في استنباط مسائل  
الهيئين القديمة والجديدة من ظواهر الآيات والروايات وحل مشكلاتهما  
واتوفيق بين الانتشافات الجديدة وفواعل الفلكيات مع الافوال الماتورة  
الاسلاميه ترجمت الى لغة اردو انهنديه في لاهور باسم ( البدر التمام ) والى  
الفارسيه مصورة باسم ( اسلام وهيئت ) ٤ - مجله ( العلم ) وهي اول مجله  
عربيه ظهرت في العراق دامت سنتين في مجلدين ٥ - تحريم نقل الجنائز  
تكرر طبعها ثلاث مرات ٦ - ( تفتيش ) حول مضرات حلق اللحية وادلة  
التحريم باللغة الفارسية تكرر طبعها في انجف وتبريز ٧ - فغان اسلام  
بالفارسية طبعت في لاهور وكلكتا ٨ - التذكرة في احياء مجد عتره النبي (ص)  
٩ - التنبه في تحريم التشبه بين الرجال والنساء ١٠ - توحيد اهل التوحيد  
في جمع كلمة المسلمين على الأصول الاعتقادية تكرر طبعه في بغداد وطبعت  
ترجمته الفارسية في طهران وتقرر في المدارس رسمياً ١١ - منظومة أسماءها  
فيض الباري لاصلاح منظومة السيزوراي في فلسفة اللاهوت ١٢ - المنظومة  
الكمالية في تقرير نظرية الاستكمال وقواعدها ١٣ - الدلائل والمسائل ج ١  
وج ٢ في اجوبة سؤالات مشكلة وردت لسماحة المؤلف ونشرت في مجلة  
المرشد البغددي وبقي منه عشرة اجزاء لم تطبع ١٤ - جبل قاف في شرح  
هذا الرمز الاسلامي وحل مشكلاته ومأثوراته الشرعية حسب الهيئة الجديدة  
١٥ - نهضة الحسين في اسرار مقتل الحسين (ع) عن أوثق المصادر وسلسلة  
اسبابها وآثارها ، تكرر طبعه بعد سنة ١٣٤٤ هـ وطبعت ترجمته الفارسية  
والهنديّة والانكليزية ١٦ - الجامعة في تفسير سورة الواقعة نشرت ضمن  
مجلة المرشد ١٧ - ما هو نهج البلاغة في ميزات هذا الكتاب النفيس وتصحيح  
أسانيد ما فيه على الأخص الخطبة الشقشقية تكرر طبعه في مجلة العرفان ،  
وطبعت ترجمته الفارسية في طهران باسم ( نهج البلاغة جيست ) ١٨ - أدعية

القرآن أو زبور المسلمين ١٩ - الأمة والائمة في طرق تعيين خلفاء النبي (ص) طبعت ترجمتها الفارسية في طهران باسم (إمامت وامت) ٢٠ - ثقافة الرواة في اسماء المحدثين القدماء الذين تزكى كل واحد منهم بعدلين ٢١ - رهنماي يهود ونصارى يابيلها بالفارسية في تعليقات مهمة حول العهدين - التوراة والانجيل ٢٢ - ذو القرنين وسد ياجوج وحل مشكلاتهما التاريخية بالفارسية ٢٣ - المعارف العالية للمدارس الراقية في توحيد الله وفوائد الدين واعجاز القرآن المبين بادلة جديدة سديدة ٢٤ - وجوب صلاة الجمعة خلف إمام عادل ، طبعت ترجمتها الفارسية في ايران سنة ١٣٥٦ هـ وتجدد طبعتها في بغداد ٢٥ - المعجزة الخالدة في وجوه اعجاز القرآن وشرح اسراره وحل طلاسه تكرر طبعتها وترجمتها ٢٦ - تنزيه التنزيل في اثبات صيانة المصحف الشريف، من النسخ والنقص والتحريف ، طبعت ترجمته الفارسية في طهران ٢٧ - وظائف زنان بالفارسية في احكام النساء شرعاً وطبعاً وما لهن وما عليهن ٢٨ - حلال المشكلات ٢٩ - الدلائل والمسائل ، ج ٥ طبع ببغداد

#### آثاره المخطوطة

وآثاره المخطوطة تتضاعف بالعدد على ما طبع له وأليك اسماءها ١ - التقاط النقاط من فوائد الاسفاط ٢ - اضافات المصنفات ٣ - ارجوزة السلام ٤ - الأدلة من الأهله ٥ - ألف مشكلة ومشكلة ٦ - بلغة اللغة ٧ - بساط سليمان من طيارتي ٨ - بئر بن يوسف ٩ - بحر العلوم ١٠ - تنزيه التنزيل بالعربية ( بالعربية ) ١١ - تقويم الف واربعمئة سنة ١٢ - تسامح الأدلة في الأدلة ١٣ - الثورة العراقية ١٤ - الجواب الحسن من صلح الحسن ١٥ - الجنس اللطيف من الشرع الشريف ١٦ - جمهرة المعارف ١٧ - جمهرة الفتاوى ١٨ - جمهرة الفوائد والزوائد ١٩ - جابر من الحاضر والغابر ٢٠ - جوامع الكلم ٢١ - حياتي ٢٢ - حقايق من دقائق ٢٣ - الحواصل ٢٤ - حوادث الدهور من أيام الشهور ٢٥ - حقزن ( بالفارسية ) ٢٦ - حجة الاسلام ٢٧ - الحساس من ابن عباس ٢٨ - خريطة المدهشات ٢٩ - خير المخلفات من المؤلفات ٣٠ - خير الدلائل من اجوبة المسائل ٣١ -

خير الجواب عن فصل الخطاب ٣٢ - الخيبة في الشعبية ٣٣ - خطر الافيون  
 (بالعربية) ٣٤ - الدين في ضوء العلم ٣٥ - دابة الأرض ٣٦ - الصدر  
 والمرجان ٣٧ - ذو القرنين وسد يأجوج (بالعربية) ٣٨ - ذكرى الصوفية  
 ٣٩ - ذرى المعالي في ذرية ابي المعالي ٤٠ - رؤوس الدروس ٤١ - الرسائل  
 والمسائل ٤٢ - الرجعية ٤٣ - رسالة الاسلام للمسلمين ٤٤ - رهنمائي  
 تقوى وفتوى ٤٥ - رد الباب ٤٦ - زيادة خراسان ٤٧ - الزواج الموقت  
 ٤٨ - سجل الاحوال من الرجال ٤٩ - سحر السحر ٥٠ - سجل الزائرین  
 ٥١ - السفيانية والمروانية ٥٢ - سبت النبات ٥٣ - سماحة المذهب ٥٤ -  
 سجل المساجلات ٥٥ - سجل المسائل ٥٦ - سجل المجالس ٥٧ - سلسلة  
 الذهب في النسب ٥٨ - سلالة السادات ٥٩ - شذرات ٦٠ - شجرة العلوم  
 ٦١ - الشيطان من الميزان ٦٢ - شافية الامراض ٦٣ - شهرستانيات ٦٤ -  
 صدف اللثالي ٦٥ - الصدف أو الهدف ٦٦ - الضياء ٦٧ الطيف والنائم  
 ٦٨ - طب الضعفاء ٦٩ - الطلاسم ٧٠ - العزاء الحسيني ٧١ - عصارة  
 الحياء أو الكلمات ٧٢ - العرشية ٧٣ - العلم ٧٤ - غواصة المعاني ٧٥ -  
 الغالية ٧٦ - غرائب المذاهب ٧٧ - الفوائد في عدة اجزاء ٧٨ - فهرست  
 المجاميع ٧٩ - الفضيلة في اصلاح الوسيلة ٨٠ - فاروق الفرق ٨١ - قلم  
 الوحي ووحى القلم ٨٢ - قاموس الفلسفة ٨٣ - قاموس الفقه ٨٤ - قدم  
 العالم من صبح الأزل ٨٥ - كراستي من آية الكرسي ٨٦ - كشكول فارسي  
 ٨٧ - كهرباء القلوب ٨٨ - كهف المشكلات ٨٩ - كاظمياتي او مجموعة  
 الشتات ٩٠ - كلماتي ٩١ - كتب في كلمات ٩٢ - الكتاب المفتوح ٩٣ -  
 كنوز الرموز ٩٤ - المستحسن من اجوبة مسائل أندرسن ٩٥ - مشهد  
 الفصاحة ٩٦ - مشروع البث ٩٧ - مدرسة القرآن في رمضان ٩٨ -  
 مذكراتي ٩٩ - مفكراتي ١٠٠ - مجربات ١٠١ - مرآة المطالب ١٠٢ -  
 المحاضرات ١٠٣ - معجم الفقه ١٠٤ - المصلح ١٠٥ - المرشد ١٠٦ - المعرفة  
 في الفلسفة ١٠٧ - المحكى على المحك ١٠٨ - الموسوعة ١٠٩ - المذهب  
 العلمي ١١٠ المجموع في الفروع ١١١ - محصول الجيب ١١٢ المذهب

في سبيل الرب ١١٣ - الملل والنحل ١١٤ - منابر الأثير ١١٥ - مشكلات العلوم ١١٦ - المعتبر من الخبر ١١٧ - المقياس في القياس ١١٨ - ميزان العروبة ١١٩ - مسيح الاناجيل ١٢٠ - المهدوية ١٢١ - مختصر الهيئة والاسلام ١٢٢ - مفصل الهيئة والاسلام ١٢٣ - النهايات في النهايات ١٢٤ - النقيه في التقيه ١٢٥ - نقد دوزي ( بالفارسية ) ١٢٦ - نقض العمود واليهود ١٢٧ - الناطق بفضل الصادق ١٢٨ - نماذج الأقلام والقرايح ١٢٩ - الوصايا ١٣٠ - الوديعه في الشريعة ١٣١ - هادي العمى ١٣٢ - الهدية المصديه ١٣٣ - ياقوت النحر من ميقات البحر ١٣٤ - يمن العز أو الأربعين في مدفن أمير المؤمنين \*

ويؤسفني أني لم أقف على هذه الآثار الكثيرة كما يؤسفني ان لم يتها لها من المخلصين من ينشلها من ظلمة العدم ويخرجها إلى عالم الطبع خاصة والفرصة في وجود سيدنا الحجة هي مما تشجع المخرج وتقصّر زمن الاخراج.

#### المشروطة ولاستبداد

لهذا الحدث فصل كبير في تأريخ النجف الفكري ، ونظراً الى عشوري على مذكرات سيدنا المترجم له رأيت ان اثبت ما جاء فيها حول الموضوع بنصه :

يقول علماء الاجتماع ان للحوادث سلسلة فكرية ايجابية ، فكل حادث له علاقة بسابقه وان لم يتصوره المتصور ، واذ لاحظنا هذه الحركة الفكرية الدينية وامعنا النظر فيها وجدناها صدى لحوادث تقدمتها .

في شهر رجب من عام ١٣٣٤ هـ وردت النجف رسائل من قبل علماء طهران وفيها يستنجدون ويطلبون مشاركة الرأي للفكرة التي بدأوها وهي المطالبة بايجاد مجلس يركن اليه شاه ايران وهو مظفر الدين ويأخذ بمقرراته ( عين الدولة ) وهو رئيس الوزراء المعروف بالصدر الأعظم وحكومته ، وحاكم طهران العام علاء الدولة ، والمجلس يرتكز على فكرة ايجاد عدالة تحترمها الحكومة ولا تتعدها وتكف عن الظلم والحييف الذي لحق الناس من اعمالها واستبدادها . وقد اسموها ( عدالت خانه ) \*



وإن لهذه الفكرة أولا صدى ضعيفا عند الحكومة فلم يعبا بها عين الدولة لما لم يهتم بامرها اشاه مطرف الدين ، غير ان العلماء الذين ابدوا الفكرة وسجلوها في رسائلهم ومصابيحهم واصلوا الامر بجهد واهتموا في انجاح الموضوع مهما تلفهم من خساره ، واول عمل ايجابي قاموا به هو انسحابهم من مدينة طهران والتحالفهم بمدينة اشاه عبدالعظيم التي تعتبر آنذاك حصنا محترما وحضيرة مقدسه ، وعندما دخلوها في رمضان تلك السنة ، اخذوا يدعون مفرراتهم واراءهم ، فصار الطلاب المثقفون ومن هم دون مرتبتهم العلمية ينضمون اليهم ويساندونهم ، كما التحق بهم فريق من الخطباء والوجهاء الذين يحملون الشعور الديني والعدلي ، حتى بلغ عددهم الألف وبذلك ظهر الصدى وتردد على اذن اشاه وحكومته وشعر الجميع أن الأمر تطور وسيؤدي إلى ما لا يحمد عقباه وصاروا يفكرون في الأمر وفي إيجاد الحلول التي تقضي على هذه الظاهرة الخطرة التي قد تصل في خطرها إلى نفس الدولة وإيجاد غيرها ، وشعروا بأن الرأي العام الذي هو صدى العلماء صار يردد بجرأة جرائم الدولة القاجارية وانواع الظلم الذي قامت به .

أما العلماء الذين تبنا الحركة أولا جماعة هم (١) الحاج سيد عبدالله البهبهاني (٢) الآفا أمير السيد محمد الطباطبائي (٣) الحاج شيخ فضل الله النوري .

وأول رسالة بعثوها إلى علماء النجف وهم أبو الأحرار الشيخ ملا كاظم الخراساني ، والشيخ ميرزا حسين الحاج ميرزا خليل ، والشيخ عبدالله المازندراني ، والسيد كاظم اليزدي ، وقد طلبوا فيها منهم ارسال البرقيات والرسائل التي تنصح الحكومة والشاه وتطلب منهم النزول على رغبة العلماء والشعب والكف عن المظالم التي يقومون بها .

وفعلا باذر هؤلاء العلماء يبعث البرقيات والرسائل المؤثرة والمؤنبة والناصحة ، وكان لها صدى قويا في نفس الحكومة ، كما ان علماء طهران

وجدوا فيها سنداً وقوة للمجاوبة اسي سلت والاتفاق الذي تم بفهم قيمة الهدف وشرفه .

ولأهمية مركز النجف في العالم الاسلامي فقد اخذت الفكرة أولاً من طهران وتبنتها وصارت طهران اخيراً صدى الى النجف الذي هز بوقته عرش القاجار وزلزل مركزه واودى به ، ودارت الفكرة حول محورها الذي أصبح الشيخ الخراساني ، وأنداك صار كل انسان يحمل فكراً تقياً وثقافة واسعة وعقلاً فاضحاً ينظم إلى هذه الحلقة الذهبية التي قلبت تاريخاً واسعاً وخلقت تاريخاً جديداً ، وصار الرجال الابطال وأعلام الدين يهتمون بانخطط التي وضعوها والمقررات التي هيأوها وبذلك كثر العديد الذي لا أشك بأن الفرد منهم كان أمة ، وكان لاخواني الذين انظموا الى حلقتي الاثر الكلي في ترويج الفكرة وايصالها الى اكبر عدد من الناس فقد اجتمع العلماء ورجال الدين على ذلك ، وكان للحجة المازندراني ومن اتبعه أثر بارز في نشر الفكرة، كما ان السيد اليزدي كان في أول الامر مع الجماعة ومن المؤيدين ، غير أن الذين تبنوا الفكرة لم يشعروا ولم يلمسوا منه صدق العمل بالاستمرار فقد كونوا بأسلوب غير مباشر جواً معكراً ضده أدى بالاخير الى تشويش الأذهان نحوه وجفاء الناس له .

واستمرت الحركة من عام ١٣٢٤هـ الى عام ١٣٢٩هـ حيث توفي الامام الخراساني ، وفي خلال ذلك اجتمعت الكلمة من قبل رجال الدين ، غير أن المفاجئات التي داهمتنا أوجدت تفككا في الصفوف ، وإني كنت استغرب هذه الأسباب والاساليب التي تتولد في كل يوم ، غير أنني كنت اعلم ذلك بامور هي ان السلطين الايرانية والعثمانية اخذت تتجاوب تجاوبا سريعا لانهما كانتا عنى طريقة واحدة في الحكم الا وهي الاستبدادية المقيتة، وبذلك فقد فاجأت الحكومة التركية الرعايا الايرانيين بوضع ضرائب عليهم غير منتظرة ولا مأمولة مما حدا بالرعايا الايرانيين ان يستنجدوا بالعلماء وان يطالبوا لهم برفع ذلك ، والعلماء هنا وقعوا في حيرة من الأمر فهم غير منظورين من الاثراك بصورة رسمية لانهم من شعب ايران وقد اخلي الظهر

فصارت دولتهم ضدهم ، وهنا اتسع الخرق وحدثت مأساة فضيعة أدت الى مقتل العشرات من الناس وللانكليز اصبح آخر هو ادخال نفوذه المعدوم آنذاك في صفوف المسلمين .

والواقعة وقعت في كربلا وذلك عندما آيس الناس من نجدة العلماء لهم فصاروا يستجدون بقنصل الانكليز وهو محمد حسن النواب الكابلي القندهاري وهو بدوره يشجعهم على التمرد ويقدم لهم الظمانات الكاذبة ، والاساليب المعسولة ، وبذلك طمع الناس به وساقهم جهلهم الى الاطمئنان فتجمعوا حول داره وتحت العلم الانكليزي المئات من الناس ان لم اقل الألوف وصاروا يعلنون رجوعهم واحتماءهم بشخص القنصل وبالعلم البريطاني ، واستمروا في ذلك بعد ان انقطع الطريق ليلا ونهاراً وجاءوا بأفرشتهم وصاروا يأكلون وينامون في الجادة أكثر من خمسين يوماً ، وبذلك تصوروا ان الحكومة لا تستطيع طردهم لاستمرار بقائهم ، غير ان المتصرف ( رشيد باشا الزهاوي ) بعد هذا الزمن أرسل اليهم مدير الشرطة فانذرهم بالارتحال من هذا المكان وفتح الطريق ولكنهم كانوا يقابلون الرسول بالاستهزاء والمسخرة ، وكانت مدة الانذار اسبوعاً واحداً وبعد ذلك عززه بانذار آخر مدته اربع وعشرون ساعة ، وكذلك لم يعبأوا به ، وفي الانذار الثالث الذي كانت مدته ست ساعات وهي من أول الغروب الى نصف الليل فكل من يجدونه يكون طعمة للرصاص وايضاً لم يهتموا بالأمر ، وفي ليلة القدر من رمضان جاءت الشرطة ويدهم البنادق فصوبتها نحوهم ففى الاطلاقة الاولى وقع منهم سبعون والجرحى لا عدد لهم وفر الباقون بعد ان استجدوا بالنواب وطلبوا منه فتح الباب ليلوذوا به فلم يجدوا من مجيب ولا مجير .

وبعد أن وقعت هذه الواقعة المؤلمة ، والتي أشغلت بال ولاة الفكر المحترمة وهم العلماء ، صارت التعليقات تخلق ساعة بعد ساعة ، وصار الخصوم من اتباع الاستبداد يستظهرون على أبطال الديموقراطية ، وكانت واقعة كربلا خير وسيلة للترفة والتشنيع على جماعتنا فقد فرقت بين صفوف

العلماء حيث لم يتدخل شيخنا الخراساني بالأمر كما لم يتدخل المازندراني بالنظر لتجنب الشيخ الخراساني ، غير ان الحاج ميرزا حسين والسيد كاظم اليزدي تداخلا بصورة النصيحة والانذار حيث بعثا رسلا كما تدخل السيد محمد بحر العلوم صاحب البلغة وغيره في نصيحة القوم فلم يرتدعوا ولم يفد بهم النصيح .

وبعد فتك الحكومة العثمانية باهالي كربلا صارت تضايق رجال الدين الذين كانوا يتأسون للحادثة ، كما أن القنصل الانكليزي وهو النواب الذي ورط الناس صار يساند فكرة رجال الدين لتميتها من جديد، ولكن المتصرف وقف سداً دون إظهار استياء العلماء بعدم بعث البرقيات والرسائل ، غير ان زعيما دينيا معروفا وهو السيد علي الشهرستاني المرعشي استطاع ان يفلت بمغامرة لطيفه وهي تظاهره بالكسل وخروجه الى بعض الرساتيق للراحة وبذلك فلت من السياج الذي وضعه المتصرف على رجال الدين فقد غادر كربلا الى بغداد ودخل السفارة الايرانية واستطاع ان يعلم السفير عن التصرفات التي اجراها المتصرف والفتك الذي حل بالرعايا الايرانيين وصار هذا يستعمل الشفرة مع السلطان وعلماء طهران الذين تحصنوا في الشاه عبدالعظيم : كما استطاع ان يتصل بالوالي ببغداد ويعلمه سوء تصرف المتصرف وسوء المغبة التي ستجلبها اعماله .

وما ان حل شهر المحرم من عام ١٣٢٥ هـ حتى وضع الاختلاف بين اعلام الحركة ، وتفككت صفوفهم وصدرت الاوامر من استانبول بوضع الرصد عليهم وحجرهم بصورة غير مباشرة وحجب الصحف عنهم وهذا الحال اوجب ان ينشق الامر الى شعبتين الشعبة الاولى هي التي لاتزال ترتبط بايران . أما علماء كربلا فقد حصل لهم ربط باستانبول .

وهذه الحالة اوجبت ضعف علماء طهران لضعف المساندين لهم في النجف ومصادمة الاتراك لهم، وهذه المصادمة لا استبعد كما سبق انها نتيجة توجيه الحكومة الايرانية للحكومة التركية وافهامها مغبة المصير على الجميع فيما اذا قويت شوكة علماء الدين .

- ولما ضعف نفوذ العلماء في الشاه عبد العظيم اتبه (عين الدولة) ورجاله والشاه مظفر الدين وحاشيته فطلبوا منهم التفرق في البلدان والتحاق كل منهم بعمله الخاص فكان ما ارادوا غير ان الذين شايعوه في الرأي من الوجوه والاعيان ورجال البلد أحسوا بالشر فتحصنوا بالسفارة الانكليزية وصارت زوجة السفير وكانت مثقفة تفهمهم ان الطلب الذي تذرعوا به لا قيمة له وان (عدالة خاتة) لا قيمة لها في حين ان الغاية أوسع وأهم من ذلك بان تكون المطالبة بإيجاد الحرية والمساواة وإيجاد الشورى والمشروطة وبعد ان نضجت الفكرة في معظم هؤلاء انقلبت الاهداف والطلبات الى هذه العناوين مما أدى الى حدوث تطور جديد وفكر جديدة تمتاز عن الاولى بتبلور الفكرة وتنقيحها .

والذي طور الامر ولطفه وبسطه هي جريدة (حبل المتين) التي تصدر آنذاك بكلكتة فقد كانت لسان حال الاحرار في العالم الشرقي والاسلامي فكانت تهاجم الحكومة القاجارية وتاريخ القاجار واثبات معايهم وظلمهم ، كما تطري المجاهدين والمصلحين أمثال السيد جمال الدين الافغاني الذي وقف في وجه الاستبداد القاجاري والفوضوية القاجارية .

وكانت حبل المتين تأتي بغداد بلا رقابة غير أن وصولها الى كربلا والنجف كان عسيراً لوقوف السلطة الادارية ضدها وضد الفكرة ، ولكن بعض التجار الاحرار وهم الحاج علي اكبر الاهرابي وحاج ملا احمد اليزدي هما اللذان كانا يوصلانها الى اصحابنا الذين يتلهفون عليها بواسطة موادهم التجارية .

وفي الوقت الذي كانت جريدة (حبل المتين) تغذيها بالمعلومات كان الصديق الشيخ ضياء الدين النوري يطلب لنا من مصر جريدة (المؤيد) و (الواء) و (الهلال) كما يطلب لنا الكتب التي تتضمن سير المصلحين أمثال كتاب (مشاهير الشرق) وكنا نقف على كثير من الحقائق التي خفت علينا ، فقد وجهت كثيراً من النفوس كما خلقت من الكثيرين مناظرين ومجادلين

ومحاكمين لأقوال المأجورين من الخصوم ، وما أن تم عام ١٣٢٥ هـ حتى وجدنا كثيراً من الرجال استعدوا للهجوم عن طريق العلم والمعرفة والوقوف على كثير من الحقائق التي كانت ما وراء التصور وصار يدير الفكرة بطهران الذوات الذين تحصنوا بالسفارة الانكليزية .

غير ان الروس بالنظر لخصومتهم المعروفة للانكليز رأوا أن الانكليز قد توغلوا في صفوف الحكومة والشعب الايراني وصار يبذرون سمومهم عن طريق ايجاد الوعي فارتأوا ان ينزلوا الى ساحات العمل بايجاد مؤسسات تعارض وتصادم السياسة الانكليزية وان يتصل بالشاه محمد علي وجماعة المستبدين فاستت بطهران واسست في النجف قنصلية قائمة مشاغبة وقنصلا فخريا هو أبو القاسم الشيرواني وبذلك استطاعوا أن يعملوا بواسطة هذين المركزين ، وانظم الشيرواني الى فريق من الرجال من جماعة السيد اليزدي وهم الحاج محمود أغا وعبدالرحيم اليزدي خادمه وأمثالهما وهؤلاء هم الذين استطاعوا أن يستميلوا السيد اليزدي الى جانب الاستبداد ويفصلونه عن الشيخ الخراساني وجماعته .

وفي خلال عام ١٣٢٥ هـ بدأ النزاع على أشده بين جماعة شيخنا الخراساني والسيد اليزدي وقويت الخصومة التي بلغت منتهى الوحشية من ايداء العوام لآخواتنا وهيتتنا بتسميم فكرة العوام ، من اتنا نريد الحرية التي هي ضد الدين وكثيراً ما كانوا يضربونهم على رؤوسهم ، واعتقد أن بعض الشياطين منهم عملوا عملاً سيئاً خدموا فيه جماعة اليزدي بنشرهم اعلاناً الصقوه على الجدران رسموا فيه يداً وفيها مسدساً خاطبوا فيه السيد اليزدي وناشدوه النزول على رأى رجال المشروطة فان لم يفعل يقتلونه فكان لهذا الاعلان اثر سيء في نفوس العوام واتصارهم لليزدي ، فقد هاجت عواطفهم واعتبروا أن هؤلاء مجرمين يريدون القضاء على ابن رسول الله وانحاز الى جنب اليزدي فريقاً الشمرت والزكرت الذين عرفوا بمروقهم عن الدين وقتلهم الاتفس المحرمة واستغلالهم لأموال اليزدي ، واعلموه بانهم من انصاره واعوانه ، وصاروا يخرجونه من داره الى الحرم وهم مدججون

بالسلاح ويهتفون باسمه ، وعزز اليزدي مركزه الموقت بجلب اسرة علمية لها مركزها وهم اسرة آل كاشف الغطاء فقد دعا الشيخ أحمد واخاه الشيخ محمد حسين وطلب منهما مساندة والتعلق بهما وبآلهما وبذلك انقطعوا عن الحضور في حلقة الامام الخراساني ، بعد ان كانوا من الملازمين الثابتين فيها . غير ان انضمام آل كاشف الغطاء حفز اسرتين خطيرتين انذاك وهما آل الجواهري وآل بحر العلوم فانظما الى الامام الخراساني وتعصبا له ولجماعته وتطورت الخصومة بصورة خطيرة بين العلماء والعوام وصارت النجف كالاتون المستعر، واضطر اليزدي ان يضاعف عطاءه للعوام ولرؤساء الشمرات والزكرت لما عرف من سطوة رجال الدين واجماعهم ضده .

وكانت جريدة ( جبل المتين ) تأخذ هذه الاخبار وتشرها بصورة مكبره ضد السيد اليزدي وجماعته مما أثارت العواصم الاسلامية واحرار الهند من جماعة غاندي في اول الامر واتصلوا بالامام الخراساني وجماعته ومنوهم بالامدادات والنصرة ، وصارت النجف لها صدى عظيم في مختلف العواصم وخاصة طهران واستانبول ، كما انها اصبحت قبلة تتبع في اتخاذ الآراء والاستهداء بها .

وفي عام ١٣٣٦ هـ قامت قيامة الأحرار على السلطان عبدالحميدفاتعشت فكرة الاحرار في النجف ونفوسهم وصاروا يتنفسون الصعداء بعد الابتلاء الذي غمرهم من عوام النجف ومن جماعة اليزدي ، كما احس فريق اليزدي بانقلاب الجو ضدهم وتطور الوضع في تركيا فانعكس الصدى على النجف وزار النجف ( ثريا بك ) واجتمع في مدرسة الميرزا حسين ميرزا خليل بحضور اعلام النجف وزعماء الدين ، وتضاءل شخص اليزدي وحاشيته ، وتقارب أحرار الاتراك واحرار النجف لتجاوب الفكرة وصادف القدر بانزال ( مظفر الدين شاه ) الى رمنسه فكان لاحرار ايران أن أخذوا يوسعون الهدف ، وكان لأحرار الاتراك أن أعلنوا الدستور العثماني وقيدوا السلطان عبدالحميد بالعهود والخضوع للدستور .

أما الذوات الذين كنا نجتمع معهم بتدبير الاعمال ورسم الخطط بصورة

سرية في سراديب النجف خشية العوام وحاشية السيد اليزدي فهم فريق من  
الاحرار المخلصين اذكر اسماء المعظم منهم وهم ١ - الحاج أغا الشيرازي  
٢ - الشيخ محمد باقر الاصفهاني ٣ - ميرزا عبدالرحيم بادكوبي ٤ -  
ميرزا علي هيئت تبريزي ٥ - أغا ميرزا رضا ارواني ٦ - السيد عبدالله  
اصفهاني المعروف اخيراً بثقة الاسلام ٧ - ميرزا حسن رشتي ٨ - حاج أغا  
شريف رشتي ٩ - شيخ اسد الله المامقاني ١٠ - الشيخ عبد علي لظفي ١١ -  
السيد مهدي لاهيجي ١٢ - شيخ اسحق الرشتي ١٣ - السيد ابو القاسم  
الكاشاني ١٤ - ميرزا علي تقي طباطبائي طهراني ١٥ - ميرزا حسن رنكوني  
١٦ - أغا محمد محلاني ١٧ - الشيخ اسماعيل محلاني ١٨ - ميرزا مهدي  
الاخوند ١٩ - الشيخ جواد الجواهري ٢٠ - السيد محمد علي بحر العلوم  
٢١ - السيد محمد علي جبل المتين الكاشاني ٢٢ - السيد محمد امام  
الجمعة ٢٣ - الشيخ موسى النوري ٢٤ - الشيخ محمد تقي بن الحاج  
ميرزا حسين خليل ٢٥ - مرزّه حسين النائيني ٢٦ - الشيخ محمد رضا  
الشيبلي ٢٧ - السيد سعيد كمال الدين ٢٨ - السيد أحمد الصافي ٢٩ -  
الشيخ عبدالكريم الجزائري ٣٠ - الشيخ هادي كاشف الغطاء ٣١ - الشيخ  
حسين الاصفاني ٣٢ - السيد مسلم زوين ، وكان هذا الاخير عضواً مهماً في  
تحصن الكثير من اخواتنا بسبب سطوة اسرته وقوتها .

وفي عام ١٣٢٦ هـ تحسن الجو لفكرتنا المقدسة وجاءت الأوامر  
بالانتخابات فانتخبنا الأديب المعروف عبدالمهدي الحافظ الحائري عن مدينتي  
كربلاء والنجف وكان هذا الرجل من المخلصين للدعوة خاصة في كربلاء التي  
كانت تعارض فكرتنا بوضوح ، وكان معه في الهمة والحس والشعور السيد  
حسين القزويني وهيئة المدرسة الحسينية الايرانية ، في الوقت الذي تجاوبها  
المؤسسات المدرسة العلوية الايرانية في النجف، ومدرسة الاخوة في الكاظمية  
التي اسسها الحاج علي اكبر الاهرابي .

وكان الذي الهب شعور الكربلائين ضدنا هو السيد اكبر شاه الذي  
هاجر من طهران وسكن كربلاء وكان من مشاهير الوعاظ الذين يحسنون



الهيمنة على شعور العوام ، فكان كلما يوقد النار يظفيها عبدالمهدي الحافظ والقزويني •

وساند الحركة المقدسة ظهور جمعية ( انجمن سعادة ) في الاستانة فقد كانت هي الرابطة الوحيدة ، والواسطة التي تربط بين استانبول وطهران وأحرار النجف ، وتواصل بسط الفكر وبعثها الى احرار العالم والمتطلعين كما تمد النفوس الحرة بالقوى ، وقد مثل أحرار النجف الشيخ اسد الله المامغاني فيها عندما التحق باستانبول لدراسة الحقوق هناك •

وبذلك اصبحت النجف في هذا العهد مركزاً سياسياً مهماً وشبهاً مخيفاً بين عواصم الامم الاسلامية مما دعا ان يستجد بها احرار تركيا عندما أحسوا بان السلطان عبدالحميد سيفتك بهم ويقتلهم ، فطلبوا من أحرار النجف وزعيمهم الامام الخراساني ان يبقوا الى عبدالحميد ببرقية ينصحونه فيها ويؤنّبونه واجابة الى تدعيم الفكرة ، فقد بادر ابو احرار الخراساني ببرقية مطوية ملأت صحيفة كاملة وفيها انذارات وتهديدات ونصائح للرضوخ الى فكرة الاحرار ، وتسلمناها منه وذهبنا تواء الى مأمور البرق ( زينل افندي ) فامتنع عن بعثها ، وكلما أصررنا عليه لم يجد ذلك تفعا ، غير أن الامام الخراساني بعث عليه وطمئنه ووثقه بالعهود والاقوال من انه يدفع عنه كل خطر يأتيه من جراء ذلك ، واخيراً رضخ إلى رأيه بعد ان استكتبه كطلب شخصي من الخراساني ليرتكز عليه ، وبعث بالبرقية ولكن من الصدف قبل وصولها كان احرار الاتراك قد اجهزوا على عبدالحميد فاقصوه عن العرش وجعلوا مكانه السلطان محمد رشاد ، وكان القائمقام في النجف في هذا العهد هو السيد فاجي السويدي فقد كان من الاحرار العقلاء الذين ساندونا بقدر الامكان •

### وفاته :

في منتصف شهر شعبان من عام ١٣٨٦ هـ الموافق اواخر تشرين الثاني من عام ١٩٦٦ م انهارت صحته على اثر زكام شديد فنزلة صدرية حاده ، فالتهاب شديد في البروستات ، ولما كانت صحته العامة لا تساعد على اجراء

العملية الجراحية للبروستات فقد عالجها الاطباء بالمسكنات الموضعية ، وقد رافقها ضعف عام في صحته ، ثم اضطراب في الكليتين ، فالتهاب في الكبد ، وكانت العلاجات تتعارض بعضها مع بعض ، ومع كل هذه الاعراض الحادة تراه لم يفقد ظرفه ونكاته ومداعباته مع الاهل والمعالجين والمراجعين ، الى أن اشتدت به عارضة البروستات صبيحة الجمعة ٣ شباط ١٩٦٧م وأفقده وعيه ، وفي فجر يوم الاثنين ٢٦ شوال ١٣٨٦هـ الموافق ٦ شباط ١٩٦٧م وفي تمام الساعة الخامسة صباحا فارقت روحه الحياة بداره في محلة العيواضية ببغداد .

وما أن سمعت الاوساط الرسمية بخبر الوفاة حتى أذاعت ذلك من دار اذاعة الجمهورية العراقية ، وأصدر مجلس الوزراء بيانا ينعى الى العالمين العربي والاسلامي ، معربا عن خسارتها لهذا الجهد المصلح ، وخرجت بغداد بجماهيرها للمشاركة في تشييع الجثمان مبتدئة من جامع براثا في الكرخ الى الكاظمية في مواكب مشهودة ، وقد مشى خلفه ممثل رئيس الجمهورية، كما أوفد جلالة شاه ايران سفيره الدكتور السيد مهدي بيراسته ومعه أعضاء السفارة الايرانية للمشاركة في التشييع ، كما شاركت كافة الجهات الرسمية والشعبية في ذلك . وقد تقدمت المواكب امام الجثمان تنعاه الى مقره الاخير في مكتبة الجوادين العامة مؤسسته العلمية في الكاظمية في تمام الساعة السابعة من عشية اليوم المذكور ، وقد صلى عليه الحجة الكبير السيد محمد مهدي الاصفهاني مع جموع المسلمين في داخل الروضة الكاظمية ، وعند الدفن ارتجل الشاعر المعروف جميل أحمد الكاظمي قصيدة أبتن فيها الفقيد وعدد مزاياه ومآثره . وقد اقيمت له مجالس الفاتحة في داره بالعيواضية من قبل الاسرة وتلتها الفواتح في كل من الكراة الشرقية من قبل جمعية الصندوق الخيري الاسلامي ، وفي الكاظمية من قبل جامعة مدينة العلم ، كما أصدرت بيانا ساعة الوفاة ، وفي كربلاء من قبل الاسرة الشهرستانية ، وفي النجف من قبل الامام كاشف الغطاء والدكتور عبدالرزاق الشهرستاني ، والحجة السيد عبدالله الشيرازي ، كما اقيمت المجالس في مختلف مدن العراق كالبصرة

والعمارة وبعداد الضواحي \*

وفي ايران أمر جلالة الشاه باقامة مجالس التعزية في مختلف المدن الايرانية وشاركت الجماهير هناك بمثلها ، وابنته الاذاعة الايرانية في مقالات خلال اربعين يوما بعد وفاته ، وساهمت وزارة التربية والعدل باقامة مجالس الفاتحة وقد أقيمت في جميعها المقالات والقصائد ، ورثاه في العراق معظم الشعراء منهم :

- ١ - الاستاذ جميل أحمد الكاظمي ومطلعها :  
كيف يرثي الهدى وترثي الجلالة بالذي فيهما أصاب الاصابة
- ٢ - الشيخ محمد حسين الصغير ومطلعها :  
أمثل مجدك يستطيل رثاء وعلى يدك من الجهاد لواء
- ٣ - العلامة الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ومطلعها :  
حضنتك ساحات الجهاد رسولا فوعت بوحي بيانك التنزيلا
- ٤ - الاستاذ محمد حسين الشيببي ومطلعها :  
الحزن بعد المصلحين يطول والصبر ما وافى الحزين جميل
- ٥ - الاستاذ الخطيب الشيخ سلمان الانباري ومطلعها :  
أي شيء يقول فيك الاديب والخطب الموجّه الموهوب
- ٦ - الاستاذ حميد فرج الله ومطلعها :  
صه يا نعي ألم يخرسك منعاه وليس من ( هبة للدين ) إلاه
- ٧ - الاستاذ صادق محمد رضا آل طعمة بقصيدتين (١) مطلعها :  
نجم من العيياء خرّ الى الثرى وخبا سناه وكان قطبا نيرا  
والثانية مطلعها :

- هيتا نغزي الدين باسم حماته فالدين في حزن على صنيديه
- ٨ - الاستاذ سلمان هادي الطعمة ومطلعها :  
لا نجم يلعب فوق السهل والجبل وضجت الضاد اثر الحادث الجلل
- ٩ - الشيخ حسن الصغير :  
ليل دجا فسمنا الفضيلة مظلم وقسا فاخرس بلبل مترنم

١٠ - الاستاذ عبدالكريم العلاف وقد أرخ فيها اوفاة واليك المطلع  
والتأريخ :

فالوا ابو العلم قضى نجبه يا حرة الدنيا مع الدين  
للعلم والاصلاح في قبره أرخ ضجيعا هبة الدين

١١ - السيد عبدالله الجوادي واليك المطع والتأريخ :  
خدم الشرع والمعارف نهجا بهدى جده النبي محمد  
كان للدين يا مؤرخ ( طودا هبة الدين في الجنان مخلد

وقد اقيم للفقيد حفل تأييني بعد مرور اربعين يوما على وفاته من قبل  
لجنة من الاساتذة في ( جامع يراثا ) شارك فيه مشاهير الكتاب والشعراء  
كالدكتور عناد غزوان ، والاستاذ عبدالرزاق الظاهر ، والدكتور حسين  
محفوظ ، والاستاذ ناجي القشطيني ، والدكتور عبدالله درويش ، والاستاذ  
هادي محي الخفاجي ، والعلامة السيد احمد الشهرستاني .

#### نماذج من شعره

وسيدنا أبو الجواد صرح لي انه ليس بالشاعر الذي يهز الشعور ،  
بل انه ناظم يدلي ببعض الخواطر عن طريق الوزن والقافية ، ولان الشعر  
صفة طيبة فقد رأى ان لا يتعري منها ، وقد نظم في الرجز كثيراً واجاد وله  
منظومات كثيرة منها ١ - فيض الباري لاصلاح منظومة السبزواري ٢ -  
المنظومة الكمالية ٣ - ناظمة النحو ٤ - قاضية الامل في اعلام لا تقبل آل  
٥ - منظومة في الاصول والفقہ ٦ - منظومة في الاخلاق والاجتماع ٧ -  
المؤلؤ والمرجان في علمي المعاني والبيان ٨ - منظومة في المناظرة . وهذه  
المنظومات طبع بعضها ، وقد سجلنا من لسانه بعض ما اثبتناه في حين ان له  
مجموعة شعر كبيرة وفيها قصائد عامرة سجل فيها بعض الحوادث كشورة  
النجف ، وقصيدة الحرية التي وصف فيها ثورة تبريز واليك نماذج من شعره  
قوله :

بلد فيه خائن وحسود  
ليس يرضى السكنى به لاوربي  
وعلى جوه النفاق يسود  
فضلاء احرارهم والاسود

وقوله :

رمانى زمانى قسوة بقسيه  
غدا صخرة لما رآنى زجاجة  
كذلك من أمسى أيبا ومحتاجا  
ولما رآنى صخرة صار زجاجا

وقوله فاصحا :

هدأ الهائج بالقول العذب  
ليس يرضى الله والعقل اذا  
فمن الصالح تخدير العصب  
مرجل الامة يغلي بالشغب

وقوله مداعبا وفيه الاقتضاب :

واخلاء خلوا من فائده  
كلما مروا على بيتي دعوا  
لم يراعوا غير هذى القاعده  
رينا أنزل علينا مائده

وقوله عندما سمع عن بعضهم جملة ( دينارك كدمك ) :

درهمي مرهمي وقوة قلبي  
حاش لله ليس ربي ولكن  
مفزعى من نظام اكلى وشربى  
رازق للورى بقدرة ربى  
هو قاضى الحاجات كشاف كرى  
هو باب النجاة ستار عيبى

وقوله :

تكلم فان النطق للعقل آية  
فلو كان صمت المرء آية عقله  
ولا تلف سكيئا كمثل جدار  
فاعقل خلق الله كان حمصاري

وقوله يصف نفسه :

قد شاب شعري والاضراس ساقطة  
ضعف كسا الجسم من قرني الى قدمي  
وخانتي ثقتاي السمع والبصر  
وام اعراض امراضى هي الكبر  
وله وغوانها العلم روح وكل الكون كالجسد : قوله :

ومذهبي العلم بل شيخي ومعتدي  
والعلم حصني وسيفي ساعدي عضدي  
طول الحياة ومن مهدي الى اللحد  
بعد الممات فلا يفنى الى الابد  
به استضاء الى شرع النجاة هدى  
آمالنا ودليل الحي للرشد  
فالعلم روح وكل الكون كالجسد

العلم تاجي ومنهاجي ومستندي  
أداتي العلم أقضي ما أريد به  
غذائي العلم لا أبغي به بدلا  
والعلم كنزي وذخري في الحياة وما  
ومعهد العلم مشكاة الضياء فمن  
والعلم غايتنا وهو السبيل الى  
العالم العلم أعني الكون قام به

وقوله في عام ١٣٢٨ هـ :

لانفسهم في الكيساء وفي الجفر  
واحضار أرواح ومعرفة السحر  
نحول القوي خمص البطون من الفقر  
فهل هذه الاشياء تنفع في القبر

رأيت اناسا يدعون مهارة  
وفي كشف مستور بنجم وقرعة  
وهم بين خداع وصاحب جنة  
فقلت لهم ان ساء ظاهر عيشكم

وقوله في نبذ الفوارق ونشد ان اسلام والحب •

اينما كانوا ومن ظهورا  
شكلنا يجمعنا والصور  
خارطات الارض الا صور  
واستفاد الغاصب المستعمر  
ما في الازياء علينا ضرر  
في شؤون عدما لا يحصر

وطني الارض وقومي البشر  
نحن في النوع جميعا واحد  
ليس في التربة ألوان فما  
ما استفدنا من نزاع بيننا  
نحن اخوان لام واب  
وحدونا وجماعات الورى

ومن مزدوجاته قوله :

وأودع الدر نظام السديم  
أنى لها هذا النظام القويم

من ابداع الكون كعقد تنظيم  
طبيعة عياء جهلا تهم

☆☆☆

من خط ذي عين ولام وميم

فاقرأ كتاب الكون في نقطة

يدخر المحيط في قطرة رشح نداها بحر فضل عظيم

★ ★ ★

مظاهر القدرة في بذرة دوائر الاكوان فيها تقيم

وسنة اللقاح في زهرة تهدي الى صراطه المستقيم

★ ★ ★

مناظر الجمال في بقعة حقيرة مرآة رب عظيم

وسر الاستكمال في بيضة ينم عن تدبير حي رحيم

★ ★ ★

وخذ فنون العلم من نملة علمها استاذ فن قديم

ودودة أعد في صخرة معاشها رب ودود كريم

★ ★ ★

ظواهر الحكمة من نحلة تحكي تعاليم اله حكيم

وهيكل الانسان ذو فكرة منه ومنها حارب الفهميم

★ ★ ★

سيارة الحياة في نظفة تطوي سراها بدليل عليم

من نظم الافلاك في حكمة ( ذلك تقدير العزيز العليم )

وقوله في الدين الاسلامي :

وأقلامها ما فى البرية من غصن

لما بلغوا معشار ما فيه من حسن

اذا الابحر السبع اقلبن محابرا

وراموا بأن يحصوا محاسن ديننا

وله مشطرا :

نصرت ديني وطوقت الورى مننا

لقل لي أنت ممن يعبد الوثنا

كما استحلوا على اسلافي الحسننا

يرون اقبح ما يأتونه حسنا

يا رب جوهر علم لو أبوح به

لكنني صنته اذ لو نطقت به

ولا استحل رجال المسلمين دمي

راجين من ربهم زلفى بما فعلوا

وقوله :

على عكس ما كان عندي القوي  
رأيت اللئيم تجاه الضعيف

وقوله :

تسوج النفس بالشهوات فيكم  
عواطفكم متى ثارت عليكم

وقوله ناصحا :

لسانك فاحفظه فللناس ألسن  
ولاتك مكثار الكلام فكلما  
وعثرة انسان بفعل وقولة  
وكل امرئ تخفى سجاياه في الوري

بخيلا وصعبا ومخشوشنا  
سخيا ومستسلما لينا

ودينكم كريان السفينه  
فعقلكم كقاض في المدينه

وفي العين من سوء فلناس أعين  
بقلبك من طي البيان بين  
تقال باحسان اذا هو محسن  
فلا بد يوما في المجالس تعلن

وقوله بعنوان - التجدد الحقيقي - :

بسدارة كلا ولا بالبهلوي  
تقضي على الفوضى بمنهاج سوي

ليس التجدد بالتبرنط لا ولا  
إن التجدد نهضة أديبة

وقوله :

ما بين سعي ورأيي  
ما بين سقي ورعي

الفوز خير وليد  
كالنبت ينتج خيرا

وقوله مادحا آل البيت (ع) :

فلذ بيني علي الطيبينا  
يصير كل مشتبه يقينا

اذا ضافت بك الاوهام ذرعا  
فان حديثهم اكسير صدق

والحديث عن هذا العلم الفرد لا ينتهي لانه خصب في عقله ودينه  
ومروته واخلاقه ، حشره الله مع اجداده الطاهرين .

علي الخاقاني



## مقدمة المؤلف

اما بعد الحمد والصلاة :

فقد حدا بي الى تأليف كتابي هذا غفلة الجمهور عن تاريخ الحركة الحسينية واسرارها ومزايا آثارها - وهي النواة لحركات عالمية - حتى ان بعض الأغيار إذ وجد هياج العالم ، وحداد الامم ، ومظاهرات العرب والعجم اندفع قائلا : « ما هذا !؟ ولماذا ؟ وهل الحسين الا رجل خرج على خليفة عصره ثم لم ينجح ؟ » •

نعم ! سنعرفه ما هذا ؟ ولماذا ؟ ومن الحسين الناهض ؟ ومن المعارض ؟ وما هي غايات الفريقين ؟ كل ذلك بهذا الكتاب الذي جمع المحاكمات التاريخية الى النظرات لاجتماعية والمرويات الموثقة من كتب التواريخ المؤلفة قبل الاربعمائة الهجرية مثل :

- (مروج الذهب) لعلي بن الحسين المسعودي المتوفي سنة ٣٤٥ هـ
- (ومقاتل الطالبين) لأبي الفرج علي بن الحسين الأموي مرواني الاصفهاني مؤلف (الاغاني) المتوفى سنة ٣٣٦ هـ •
- و (تاريخ الامم والملوك) لمحمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ
- و (الارشاد) للشيخ المفيد محمد بن محمد بن نعمان المتوفى سنة ٤١٣ هـ
- و (العقد الفريد) لابن عبد ربه المغربي المتوفى قبل سنة ٣٢٨ هـ •

- و (الامامة والسياسة) لعبدالله بن مسلم الدينوري المعروف بابن  
قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ • وكتابه الآخر « المعارف » •  
• و (الأخبار الطوال) لأحمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٣٢٨ هـ •  
• و (الكافي) لمحمد بن يعقوب الكليني البغدادي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ •  
وذلك بأسلوب وجيز ، مؤملاً من المتأملين فيه ومن قراء ماتم سيدنا  
الحسين ان يتقبلوه مني بقبول حسن •

بغداد في ٢٤ رمضان ١٣٤٣ هـ

هبة الربيع الحسيني

## النهضة الحسينية

النهضة قيام جماعة أو فرد بما يقتضيه نظام الشرع أو المصلحة العامة كالحركة التي قام بها الحسين بن علي (عليهما السلام) (١) .

وحقيقة النهضة سيالة في الأشخاص والأهم وفي الأزمنة والامكنة ، ولكن بتبدل اشكال واختلاف غايات ومظاهر . وما تاريخ البشر سوى نهضات افراد وجماعات وحركات اقوام لغايات ، فوقتا الخليل ونمرود وحيننا محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وابو سفيان (٢) ويوما علي ومعاوية .

(١) الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) امه فاطمة الزهراء (ع) بنت محمد المصطفى (ص) من زوجته الكبرى خديجة أم المؤمنين (ع) . وهو احد السبطين «الريحانيتين» ، وخامس أهل الكساء . ولد في المدينة عام الخندق في السنة الرابعة للهجرة في خامس شعبان الموافق شهر كانون لسنة ٦٢٦ م ، وعاش مع جده النبي (ص) ست سنوات وشهوراً ، وبقي مع أخيه الحسن اعواماً وشهوراً وكان مجموع عمره ستة وخمسين عاماً ، وكانت شهادته بعد الظهر من يوم الجمعة عاشر محرم الحرام سنة ٦١ هـ الموافق سنة ٦٨٠ م بحابر الطف من كربلاء في العراق . واشترك في قتله شمر بن ذي الجوشن وسنان بن أنس وخولي بن يزيد من قواد جيش عمر بن سعد الذي ارسله والي الكوفة عبيدالله بن زياد بأمر من أمير الشام يزيد بن معاوية ليحصروا الحسين ورجاله ويقتلوه وهم عطاشى . فقتلوه ورجاله ، وتهبوا رجاله وسبوا عياله مسافرين الى الكوفة ثم الى الشام فالمدينة . وأن اشتهار فضائل الحسين والآثار المروية فيه ومنه وعنه في كتب الحديث والتاريخ ليغنى عن التوسع في ترجمته الشريفة .

(٢) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس . كان في الجاهلية يباع الزيت والادام ، ذميم الخلقة ، وهو من كبار قريش حتى قامت به قيامة قريش على الهاشميين قبيل الهجرة فتراس في المحالفة القرشية واخذ على عاتقه مناوأة الاسلام ومقاتلة المسلمين . وله في عام الهجرة نحو سبع وخمسين سنة . ولم تقصر عنه اخته أم جميل العوراء في ايذاء رسول الله (ص) وسعيها بالنميمة والفساد بين بني هاشم والقبائل ، إذ كانت

ولم تزل ولن تزل في الامم نهضات ائمة هدى تجاه أئمة جور • ونهضة الحسين من بين النهضات قد استحققت من النفوس إعجابا اكثر لا لمجرد ما فيها من مظاهر انفضائل وإقدام بمعارضيه على الرذائل ، بل لأن الحسين (ع) في انكاره على يزيد<sup>(١)</sup> كان يمثل شعور شعب حي<sup>(٢)</sup> ويجهر بما تضرره أمة مكتوفة اليد ، مكسومة الفم ، مرهقة بتأثير امراء ظالمين ، فقام الحسين (ع) مقامهم في اثبات مرامهم ، وفدى بكل غال ورخيص لديه باذلا في سبيل تحقيق أمنيته وأمته من الجهود ما لا يطيقه غيره فكانت نهضته المظهر الأتم للحق ، حينما كان عمل معارضيه المظهر الاثم المقوة فقط من غير ما حق أو شبهة حق •

تحت ابي لهب والمقصودة من آية « و امراته حمالة الحطب . . الخ » ولم يبرح يثير الاقوام ويشكل لاحزاب ضد رسول الله (ص) كما في بدر الكبرى وبدر الصغرى وفي احدوا الاحزاب وفي وقايعة الاخرى . ولم يهدأ ساعة عن معاداة النبي في السر والعلانية واثارة النفوس والجيوش ضده . ويجاهد المسلمين جهده الى يوم فتح مكة حيث اسلم مع بقية قريش .

وأول مشاهد بني سفيان مع المسلمين كان في غزوة حنين فمنحه الصطفى (ص) مائة بعير من غنائم الحرب منوها به وبمكانته . ثم اشترك ابو سفيان يوم الطائف فأصابته نبله في احد عينيه ففقدت واستعمل جابيا . ثم اشترك في واقعة اليرموك في السنة الثالثة عشرة للهجرة على عهد ابي بكر فأصاب نبله عينه لثانية ففقدتها وأصبح اعمى . ومقاتله فيها تنم عن ميله للروم . ومات في دمشق عند ولده معاوية سنة احدى وثلاثين هجرية عن ثمانين وثمانين سنة ودفن بها .

(١) يزيد بن معاوية امه ميسون الكلابية ولد سنة خمس وعشرين فسماه ابوه باسم اخيه ، وكان بدينا ، مجدرا ، رفيع الصوت ، على انفه فرجة ، شديد السمرة ، ولعا بلعب النرد والصيد بالفهد ، شفوفا بمعاقرة الخمر والفجور بأنواعها ، متجاهرا بالفسق حتى في سفر الحج وفي مدينة الرسول (ص) اخذ معاوية له بيعة الخلافة في حياته ثم استقرت له بعد وفاته في رجب سنة ٦٠ هـ ومات بذات الربة في منتصف ربيع الاول سنة اربع وستين عن ثلاثة عشر ولدا اكبرهم معاوية بن يزيد .

(٢) ان مشاهير الفضلاء يومئذ في الامة الاسلامية - كسيدنا الحسين (ع) وسعد بن أبي وقاص ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالرحمن بن ابي بكر - أنكروا على معاوية استخلافه ليزيد الخمر والفجور ، وقد توجس يزيد من مخالفة هؤلاء الوجوه خيفة ان يكون الراي العام في جانبهم ، واهتم في اضطهاد هؤلاء وإرغامهم ، فثبت بن الحسين (ع) يومئذ كان يمثل في قيامه على يزيد راى الجمهور وشعور الشعب الحى .

## خلافة يزيد وخلاف الحسين له

خلافة النبي نيابة عنه في الولاية على الأمة في جميع شؤونها أو جميع شؤونه إلا لوحى ، فهي أخت النبوة وشريكها في البيعة والعهد والرياسة العامة ، وسمي المتولي لهذا العهد إماماً يجب الاقتداء بأفعاله والاهتداء باقواله ، لذلك أجمعت أمة محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم ) على اشتراط العدالة فيه مع الفضل الديني كما نص عليه القرآن الحكيم في آية إبراهيم « اني جاعلك للناس إماماً ما قال : ومن ذريتي ؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين » كذلك اشترطوا في متن بيعته العمل بكتاب الله وسنة رسوله خوفاً من حصول سوء الاختيار أو فسوق المختار .

ولقد ثار المهاجرون والانصار ومسلموا مصر والأمصار على عثمان ابن عفان حتى كان ما كان من أمره وأمر مروان . كل ذلك إنكاراً منهم لاحداث تخالف الكتاب والسنة ، ولقد كان الاخرى بالجمهور واولياء الامور أن يعتبروا بهذا الحادث يأخذوا دروساً من الحوادث فلا يؤمروا إلا من ائتمنوه على الدين لكي يسير فيهم على الهدى والصلاح ، لكن ابن هند وعصبته - المستخفة بالحق - لم يتبعوا سبيل المؤمنين يوم ملكوا رقاب المسلمين واخضعوا أمام قوتهم حتى المهاجرين .

هذا ولم يحس من الحسين بعد الحسن ( عليهما السلام ) موجة خلاف أم ربيعة الخلافة ، بل أقام من سيرته الهادئة برهاناً ساطعاً على زهده عنها ، إذ كان يفضل هدوء الشعب على الشغب ولكن على شريطة حفظ الشرع وظواهره والدين وشعائره - ولو نوعاً ما - . أما ان يرى يزيد مثلاً عن جده الامين وخليفته في المسلمين مع استهتاره وفسقه وفسق اعماله فشيء لا يستطيع حمله صدر الحسين وأمثاله .

وبالرغم من صبر الحسين واحتسابه مدة أربعين عاماً من إمارة معاوية  
مرت حوادث مثرّة ضاق عنها صدر ابن علي الرجب وأوغرت صدر يزيد من  
الجهة الاخرى اخص بالذكر منها حدثين بارزين استثار الواحد منهما حق  
يزيد وكل ما في حفايظه من ضغائن وهو ما سنقصه عليك من أمر أرنب بنت  
اسحق سيدة الجمال<sup>(١)</sup> كما استثار الحدث الثاني من حسين الفتوة كل شهامة  
ومروءة ، وحول وقوة وذلك اهتمام ابن هند لاستخلاف ولده يزيد إماماً  
للمسلمين وأميراً على المؤمنين ، إذ كان معاوية الدهاء يحاول ذلك من شتى  
الوجوه بين الجد والهزل على السنة المتزلفين اليه .

تذاكر معاوية يوماً مع الناس في بيعة يزيد والاحنف بن قيس جالس  
لا يتكلم فقال : مالك لا تقول يا أبا بحر؟ قال : اخافك إن صدقت وأخاف الله  
إن كذبت .

وروا عن معاوية انه أظهر بعد موت زياد بن أبيه كتاباً مفتعلاً عن خطه  
بتحويل الخلافة وولاية عهدها الي يزيد<sup>(١)</sup> .

وعن الحسن البصري أنه قال : « افسد أمر هذه الأمة اثنان : عمرو  
ابن العاص في التحكيم والمغيرة بن شعبة ، فانه كان عامل معاوية على الكوفة،  
فكتب اليه معاوية : إذا قرأت كتابي فاقبل معزولاً . فابطأ عنه فلما ورد عليه  
قال : ما أبطأ بك ؟ قال أمر كنت او طوّه وأهيوه . قال : ما هو : قال : البيعة  
ليزيد من بعدك . قال : او قد فعلت ؟ قال : نعم . قال : فارجع الي عمك  
فلما خرج قال له أصحابه : ما وراؤك ؟ قال : وضعت رجل معاوية في غرزغي  
لا يزال فيه الي يوم القيامة » .

ثم حج معاوية وفي صحبته يزيد يقدمه الي المهاجرين كمرشح للخلافة  
بعده ، فدخل عليه الحسين في المدينة وهو على ما هو عليه من التظاهر  
بالفجور وشرب الخمر فلم يسؤه يومئذ الا التجاهر بانكار هذا العمل

(١) عقد الفريد ج ٢ ص ١٠٠

(١) العقد الفريد .

وانضم الى صوته أصوات ثلثة من اكابر الصحابة ، وابن صخر من ورائه ينثر الذهب والفضة وييث المواعيد حتى انحصرت أصوات المعارضين في أربعة ، فحس ابن الرسول بأول خذلان من أمته في مدينة جده .

وما عاد ابن صخر الى الشام حتى راجت في المدينة وصايتة بمبارات معارضية الأربعة ولا سيما الحسين بن فاطمة فهذأت سورة ابن البتول اذ وجد أيمامه متسعا ، ويرى أثر هذه الصدمة في قلوب الامة وموجة الحركات العامة أن قضى طاغية الشام نجبه ، فدبر ابن علي أمره حسبما تسمح له الظروف وتساعدده الاحوال ، الا انه فوجيء من يزيد بأخذ البيعة منه خاصة ومن الناس عامة وصحت مكيدة ابن هند في تخديره الاعصاب من وصيته بالحسين (ع) بينما كان ابن الرسول قالعا منهم بالسكوت عنه ، لكنهم لم يقنعوا منه بالحيدة ولا بالعزلة ولا بالخروج الى الثغور أو الى أقصى المعمور .

\*\*\*\*\*

## اهلية الحسين للخلافة

ربما اتخذوا إستجابة الحسين ( عليه السلام ) لدعوة الكوفة وإرساله ابن عمه اليها لأخذ العهد منها دليلاً على انه رشح نفسه للخلافة. غير ان ذلك لا ينافي خطته الدفاعية ولا يوجد نحوه مغزياً ، حيث اجتمعت نهضة الحسين وتبليته لدعوة الكوفة اسباب أربعة لو تعلق كل رجل من المسلمين بواحد من تلكم الاسباب لأصبحت مقاومة يزيد عليه حتماً والزمام :  
اولاً - أهلية يزيد للمخالفة وعدم أهليته للخلافة . فقد أمتلأت بطون التواريخ عن سوء سيرته وسريرته : من شربه الخمر ، وصيده بالنمر ، وخلاعه في فجوره حتى بالمحارم .

ثم انه لم ينل عهد ملكه بوصاية أو وراثة ممن استحقها من قبل ، فقد ابتز أبوه الامارة بالمكر والغدر وأخذ البيعة له بالعنف والقهر وبتهديد السنة الأسنة والحراب دون أدنى حرية للمسلمين في الشورى والانتخاب .

فكان الواجب على الأمة خلع هذا الخليفة الغاصب ، وفيما صح عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) قوله :<sup>(١)</sup> « سيد الشهداء عمي حمزة ، ورجل قام في وجه امام جائر يأمره وينهاه ثم قتله » وقد تم هذا التنبؤ في عمل الحسين قبل غيره .

ثانياً - علم ابن النبي من نفسه ومن آثار جده وأبيه واخيه : انه امام المسلمين دون سواه ، ورشحته السنة المتجاهرين بالحق ، وصدقته البقية تحت ستار التقية ، فهل يكون لأحد من الوجوه مثل هذا ثم لا ينهض؟! .

(١) صححه الحاكم والطبراني عن جابر و ( علي ) .



ثالثاً - تلوح من السيرة الحسينية المثلى انه مسبوق العلم بأنباء من  
جده وأبيه وأمه وأخيه وحاشيته وذويه بأنه مقتول بسيف البغي - خضع أو  
لم يخضع ، وباع أو لم يباع - فهلا يرسم العقل المناضح لمثل هذا الفتى  
المستتيت خطة غير الخطة التي شئى عليها حسين الفضيلة ، قوامها الشرع  
وزمامها النبيل ولسان حاله :

مشيناها خطي كُتبت علينا      ومن كُتبت عليه خطي مشاها

رابعاً - تواتر الكتب الى ابن النبي (ص) من العراق وخلاصة اكثرها :  
« أقدم علينا يا بن رسول الله ، فليس لنا امام غيرك ، ويزيد فاسق فاجر ليس  
له بيعة في اعناقك ، فعجل بالمسير الينا ، وإن لم تفعل خاصمناك عند جدك يوم  
القيامة » فماذا يكون - يا ليت شعري - جواب مثل الحسين لمثل هؤلاء ؟  
وهلا تره ملوماً او لم يستجب دعوتهم ؟!



## الحسين رمز الحق والفضيلة

لا عجب ان عدت نهضة الحسين (ع) المثل الأعلى بين اخواتها في التاريخ وحازت شهرة واهمية عظيمتين ، فان الناهض بها « الحسين » رمز الحق ومثال الفضيلة ، وشأن الحق ان يستمر ، وشأن الفضيلة ان تشتهر . وقد طبع آل علي ( عليهم السلام ) على الصدق حتى كأنهم لا يعرفون غيره ، وفطروا على الحق فلا يتخطونه قيد شعرة .

ولا بدع فقد ثبت في ايهم عن جدهم عن النبي (ص) : « علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار »<sup>(١)</sup> فكان علي لا يراوغ اعداءه ولا يدهان رقباءه ، وهو على جانب عظيم من العلم والمقدرة وتاريخه كتاريخ بنيه يشهد على ذلك ، فشعور التضحية - ذلك الشعور الشريف - كان في علي وبنيه ومن غرائزهم ولا سيما في الحسين بن علي (ع) وما في الآباء ترثه الابناء .

وقد تفادى علي لرسول الله (ص) بنفسه كرات عديدة ، كذلك الحسين تفادى لدين الرسول (ص) وأمته ، إذ قام بعملية أو ضحت أسرار بني أمية ومكائدهم وسوء نواياهم في نبي الاسلام ودينه ونواميسه .

وفي قضية الحسين حجج بالغة برهنت على انهم يقصدون التشفي منه والانتقام ، واخذهم ثارات بدر وأحقاها . وقد أعلن بذلك يزيدهم طغياناً - وهو على مائدة الخمر ونشوان بخمرتين خمرة الكرم وخمرة النصر - إذ

(١) استدل الرازي في تفسيره بهذا الحديث وثبوتته المتواتر على الجهر بالبسملة .

تمثل بقول ابن الزبيري<sup>(١)</sup> :

ليت أشياخي ييدر شهدوا  
جزع الخزرج من وقع الاسل  
واضاف عليها :

لعبت هاشم بالملك فلا  
لست من خندف<sup>(٢)</sup> ان لم اتقم  
خبر جاء ولا وحي نزل  
من بني أحمد ما كان فعل

### الحركات الاصلاحية والضرورية

إذا كان نجاح الامة على يد القائد لزامها ، واصلاحها يتوقف على صلاح إمامها فمن أسوء الخيانات والجنایات ترشيح غير الاكفاء لرياستها ورياسة أعمالها . وسيان في الميزان أن ترضى بقتل أمتك أو ترضى برياسة من لا اهلية له عليها ، واية أمة اتخذت فاجرها إماما ، وخوتها حكاما ، وجهالها أعلاما ، وجبناءها أجنادا وقوادا فرعان ما تنقرض ولا بد ان تنقرض .

هذا خطر محقق بكل أمة لو لم يتداركه ناهضون مصلحون وعلماء مخلصون والسنة حق تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر فيضربون المعتدي على يده ، او يوقفونه عند حده .

وبتشريع هذا العلاج درء نبي الاسلام عن أمته هذا الخطر الوييل ، ففرض على الجميع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد تهديده المعتدين وضمانه للناهضين وصح عنه ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : « كلکم راع وكلکم مسؤول عن رعيته » ذلك لكي لا يسود على أمته من لا يصلح لها

(١) بكسر الزاي وفتح الباء وسكون العين وفتح الراء المهملتين : كنية شاعر الحزب السفينائي .  
(٢) خندف : لقب ام مدركة بن الياس بن مضر جد قريش .

يفسد أمرها وتذهب مساعي الرسول ومن معه أدراج الرياح . وقد كان هذا الشعور الشريف حياً في نفوس المسلمين حتى عصر سيدنا الحسن السبط (ع) .

وناهيك أن أبا حفص خطب يوماً فقال : « إن زغت قوموني » فقام أحد الحاضرين يهز في وجهه السيف ويقول : « إن لم تستقم قومناك بالسيف » .

غير أن امتداد السلطان لمعاوية بن أبي سفيان، وإحداثه البدع، وإماتته السنن، وإبادته الأبرار<sup>(١)</sup> والاحرار بالسيف والسم والنار<sup>(٢)</sup> وغشه الافكار وبثه الأموال في وجوه الامة أخرست الالسن، وأعمدت السيوف، وكمت الافواه، وصمت الآذان، وحادت بالقلوب عن جادة الحق والحقيقة ورجالهما فمات أو كاد أن يموت ذلك الشعور الاسلامي السامي . وأوشك أن لا يحس أحد بمسؤوليته عن مظلمة أخيه ولا يعترف بحق محاسبة آمره أو معارضة ظالميه .

وكاد أن تحل قاعدة : « قبلوا يداً تعجزون عن قطعها » محل آية : « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله » .

(١) من سنة ٤٠ هـ الى سنة ٦٠ بعد ما استعمل على العراق الفجرة بن شعبة وزباد بن سمية لاستيصال شافة الحزب العلوي وقتل صلحاء الصحابة والتابعين - كمحمد بن ابي بكر واضرابه، وحجر بن عدي واصحابه - سرا وجهراً وغدراً وغيلة أو دفناً في التراب حياً وشق بطونهم وسمل عيونهم . عدا ما قتلوا حرباً أو صلباً أو نفهم وقطع اوزاقهم أو التعرض بأعراضهم ، كل ذلك ليحملوا الامة بكل وسيلة على سب ابي تراب والترحم على عثمان وتسويغ المظالم .

(٢) وقد افترط معارفة في قتل صلحاء الصحابة والتابعين بدس السم في مآكلهم - أمثال سعد بن ابي وقاص، والحسن بن علي، ومالك الأشتر النخعي .

وقال ابو الفرج الاموي في مقاتله : وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد فلم يكن شيئاً أثقل عليه من أمر الحسن بن علي وسعد بن ابي وقاص فدس اليهما سما فماتا منه . . الخ .

## آثار الحركة الحسينية

كان مآل الاحوال السالفة محق الحق بالقوة ، وسحق المعنويات بالمدادات ، وانقراض الائمة والأمة بانقراض الاخلاق والمعارف لو لا ان يقبض الرحمن لانقاذ هذه الامة حسينا آية للحق ، وراية للعدل ، ورمزاً للفضيلة ، ومثالاً للاخلاص يوازن نفسه ونفوس الأمة في ميزان الشهامة ، فيجد الرجحان الكافي لكفة الامة فينهض مدافعاً عن عقيدته ، عن حجته ، عن أمته ، عن شريعته ، دفاع من لا يتبغى لقرابته مهراً ، ولا يسألكم عليه أجراً ، ودون أن تلوي لواءه لائمة عدو أو لائمة صديق ، ولا يصده عن قصده مال مطمع ، أو جاه مصطنع ، أو رافة بآله ، أو مخافة على عياله .

هذا حسين التاريخ والذي يصلح ان يكون المثل الأعلى لرجال الاصلاح وقلب حكم غاشم ظالم دون أن تأخذه في الله لومة لائم . وقد بدت نهضته آثار عامة النفع جليلة الشأن فانها :

اولاً - اولدت حركة وبركة في رجال الاصلاح والمنكرين لكل امر منكر . حيث اقتفى بالحسين السبط ابناء الزبير والمختار الثقفي وابن الاشر وجماعة التوابين وزيد الشهيد حتى عهد سميهِ الحسين بن علي شهيد فخ وحتى عهدنا الحاضر ممن لا يحصون في مختلف الأزمنة والامكنة ، فخابت آمال أمية فيه ، إذ ظنت أنها قتلت حسينا فأماتت بشخصه شخصيته وبادت روحه ودعوته . كلا ! ثم كلا ! لقد أحيت حسينا في قتله وأوجدت من كل قطرة دم منه حسينا فأهضاً بدعوته داعياً الى نهضته .

أجل ! فان الحسين لم يكن الا هاتف الحق ، وداعي الله ، ونور الحق لا يخفى ، ونار الله لا تطفى ويأبى الله الا ان يتم نوره ويعم ظهوره .

ثانياً - إن الحسين - بقيامه في وجه الجور والفجور مقابلاً ومقاتلاً -  
أحيا ذلك الشعور الإسلامي السامي الذي هبات في حياة معاوية أو كاد أن  
يموت ، ونبه العامة الى حب الحياة ، ورعاية الذات والذات ، والتخوف على  
الجاه والعائلات . لو كانت تبرر لأولياء الدين مصافات المعتدين لكان  
الحسين أقدر وأجدر من غيره . لكنه أعرض عنها اذ رآها تنافي الايمان  
والوجدان وتناقض الشهامة والكرامة ، فجددت نهضته في النفوس روح  
انتدين الصادق وبعزة في نفوس المؤمنين عن تحمل الضيم والظلم وعن أن  
يعيشوا سوقة كالانعام واتتعشت إحساسات تحرير الرقاب والضائر من  
اغلال المستبدين وأوهام المفسدين .

ثالثاً - ان النهضة الحسينية هزت القرائح والجوارح نحو الاخلاص  
والتفادي ، واتبعت الصوائح بالنوائح لتلبية دعاة الحق واستجابة حماة  
العدل في العالم الإسلامي وانعاش روح الصديق وهو رأس الفضائل .

وبوجه الاجمال عدت نهضة الحسين (ع) ينبوع حركات اجتماعية  
باقية الذكر والخبر في ممالك الاسلام، خفت ويلات المسلمين بتخفيف غلواء  
المعتدين . فأبي خير كهذا ينبوع السيل والمثال السائر في بطون الاجيال .



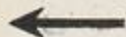
## الفضيلة والرذيلة

الفضيلة محبوبة الجميع والرذيلة مكروهة الا لدى صاحبها . وإذا عدت  
افضائل فضيلة ، فضيلة - من وفاء ، وسخاء ، وصدق ، وصفاء ، وشجاعة ،  
وإباء ، وعلم ، وعبادة ، وعفة ، وزهد - فحسين التاريخ رجل الفضيلة بجميع  
مظاهرها ، كما ان معارضيه رجل الرذائل بكل معانيها لا يتناهون عن منكر  
فعلوه .

فأتت من أجل ذلك ( نهضة الحسين ) - عليه السلام - أمثلة الحق  
والعدل ، إذ بطل روايتها أقوى مثال للفضيلة . وقد كانت حركة يزيد<sup>(١)</sup>  
أمثلة الباطل والظلم ، إذ بطل روايتها أقوى مثال للرذيلة والفجور . وما  
حربهما الا تمثيلاً لصراع الحق والباطل . والحق مهما قل مساعده وذل  
يساعده في البداية فان النصر والفخر حليفاه عند النهاية « وسيعلم الذين  
ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

(١) طفحت مدونات التاريخ بمظالم يزيد وهتكه لحرمة الدين والحرمين  
في أيامه القصيرة ، ويشترك معه - طبعاً - في الاثم كل من ساعده عليه او ساعده  
على استخلافه ، كالفيرة بن شعبة الذي حمل معاوية على استخلاف يزيد  
وقصته معروفة ، فصار ابوه لا يترث في ترشيحه للخلافة فولاه امانة الحج  
مرتين بعد ان استتب له الامر ، وولاه الصائفة تارة وقيادة الجيش اخرى  
- والصائفة غزاة الروم لانهم كانوا يغزون صيفا وصائفة القوم مبرتهم في  
الصيف - . كما واخذ له البيعة من المسلمين في حياته طوعا وكرها غير مبال  
بمن خالفوه وشنعوا عليه حتى مات معاوية سنة ستين ونادي يزيد بنفسه ملكا  
على اسلمين وخليفة عن اسلافه .

وقد استمرت ولايته ثلاث سنوات تقريبا فكان عمله في السنة الاولى قتل  
الحسين ريحانة النبي (ص) والبقية من آله - على الوجه المشروح في هذا  
الكتاب - وسبي ذريته وعياله الى الشام بأسوء من سببايا المشركين .



## سلسلة عوامل النهضة

ينمى مؤرخة الغرب معارضة بني أمية لبني علي (ع) الى زمن أبعد مدى مما اشتهر ، والى قطيعة حدثت بين هاشم وشقيقه عبد شمس ولدي عبد مناف القرشي . وكانت المعارضة إذ ذاك بينهما فقط ، ثم تفشت بعد مائة عام بين حزبين قويين : حزب التوحيد وعميده المصطفى (ص) ، وحزب الشرك وأقطابه أبو سفيان وأبو جهل والحكم والوليد وخمسة عشر آخرون . وبقيت نار الجدال والقتال مستمرة بين الحزبين ١٩ عاما حتى إذا جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا ودخل معهم هؤلاء طوعا أو كرها ، فخدمت تلك النار الموقدة إلا في الافئدة بضعا وثلاثين سنة حتى استثارها مروان في إمارة عثمان وأثار مع الحفاظ نيران الفتنة والاحن .

وعميد الحزب الهاشمي علي (عليه السلام) رجل الحق وفي أنصاره

ولم تقف سوء نيته عند هذا الحد حتى ثنى الفاجعة الاولى بالاخري - وتسمى الحرة - فأخاف مدينة الرسول وجيرانه سنة ٦٣ هـ لأجل إنكارهم عليه منكرات اعماله المخالفة للشريعة، وفي صحيح مسلم عنه (ص) : « من أخاف اهل المدينة أخافه الله وكانت عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين » وأمر يزيد باباحة حرم النبي (ص) لجيشه ثلاثة ايام فعبثوا بها سلبا ونهبا وقتلا وبغيا ، حتى قيل في سفك دماؤها وهتك نساها ما يقشعر منه الانسان ، فلم يبق بعدها بدرى في العرب واخذ منهم بالقهر إقرارهم على انهم عبيده وامأؤه لا يملكون في جنب اوامره مالا او عرضا لمؤ رقبة، وقتل كل ممتنع عن هذه البيعة القاسية ما عدا علي بن الحسين (ع) ، وختم سني إمرته بحصار الكعبة ورميها بالحجارة من المنجنيق المنصب على جبل ابي قبيس ، وباستباحة القتل في البلد الحرام وفي الشهر الحرام : أي محرم سنة أربع وستين بفرض إرغام عبيد الله بن الزبير - المستجير هو ومن معه بالمسجد الحرام - ورمي الكعبة بالنار يوم السبت ثالث ربيع الاول فأحرق استارها وسقفها وقرني كبش اسماعيل فيها ، وبقيت النار مضطربة احد عشر يوما وفي أثناء ذلك كان هلاك يزيد في رابع شهر ربيع الاول الموافق لعاشر نوفمبر سنة ٦٨٢ م .



المهاجرون والبدريون وأبطال مصر والعراقيين وشعارهم الحق ، والفضيلة، وحفظ الحرمات . كما اقام الجانب المعارض أمره على دعائم الغدر ، والمكر، وطلب الملك ، والشهوات هم معاوية وزيد بن أبيه وعمر بن العاص ومروان والمغيرة بن شعبة واشباههم . فاستخدموا في سبيل الانتصار كل وسيلة وحيلة زهاء ربع قرن ملؤه الفجائع والفظايع حتى احتجب الحق وتوارى اهله، وفاز ابن ابي سفيان واهلوه في كل منكر فعلوه حتى في إقامة الجعة في غير يومها وحتى في استلحاق زياد واستخلاف يزيد<sup>(١)</sup> وحتى .. وحتى .. استنشقوا الجمل وظنوا موت الحق ، ولكن الحق حي لا يموت . هنالك دعي طغيان الغرور يزيد الجور والفجور ان يطالب اياه باقتران ارينب (ام خالد) ربة الخدر والجمال وهي مبتعلة بزوجها عبدالله .

قالوا : « إن يزيد بن معاوية كان يتحرى أخبار الفتيات الحسان فبلغه من وصف ارينب بنت إسحاق القرشي وكمال جمالها ما استثار هواه وظل يترقب فرصة إعلام ابيه برغبته اليها فيزوجها منه . فسمع يوماً بزواجها من ابن عمها عبدالله بن سلام فشق عليه ذلك وابلغ اياه معاوية بما هو فيه وانه مشرف على المهلكة من خيبة الأمل ، فأمره ابوه ان يكتفم رغبته حتى يتمكن من استدراك ما فاته . ثم استدعى عبدالله بن سلام الى الشام واكرم ضيافته وارسل اليه ابا هريرة ليطلبه الى مصاهرة معاوية وتزويج اخت يزيد اياه ، فرحب عبدالله برغبة معاوية ولبي هذا الطلب بكل شكر وثناء ، فرجع ابو هريرة بذلك الى معاوية ، فقال معاوية : سر يا ابا هريرة الى ابنتي واعلمها برغبتي الى زواجها ، فان الاقدام على ما فيه رضاؤه أحوط وأقرب الى رضا الله تعالى ، وكان معاوية قد بيت الكلام مع ابنته وعلمها الذي تقوله في الجواب . ولما اتاها

(١) قال الحسن البصري : « أربع خصال في معاوية لو لم تكن إلا واحدة منها لكانت موبقة : إنتزاعه على هذه الامة بالسيف حتى أخذ الامر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذووا الفضيلة، واستخلافه من بعده سكيراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعائه زياداً وقد قال رسول الله : « الولد للفراش وللعاشر الحجر » ، وقتله حجراً واصحاب حجر ويابيل له من حجر واصحاب حجر « الكامل لابن الاثير .

أبو هريرة بمقالة ابيها معاوية وامتدح عندها عبدالله بن سلام أجابت بانها لا تأبى ما اختاروا لها لولا انها تخشى وجود زوجته (أرينب) فيدركها ما يدرك المرأة من ضررتها مما يفضب الله ويفضب أباه ، فخرج ابو هريرة الى عبدالله بن سلام بالخبر واستقر رأيهم على طلاق أرينب فطلقها عبدالله بن سلام طمعا في مصاهرة معاوية وجلالة ملكه ، وبعد ما توثق معاوية من طلاق أرينب جهز اليها أبا هريرة ليخبرها بأمر زوجها عبدالله وأن يزوجها من ابنه يزيد بما شئت من صداق ، وظل ابن سلام يطالب معاوية بانجاز ما وعده ومعاوية يماطله ، حتى سمع بأن مخطوبته تكره قبوله زاعمة ان الذي يطلق ابنة عمه التي فاقت أقرانها مالا وجمالا وكمالا وشرفا لا يصعب عليه أن يطلق الثانية يوماً ما . وشاعت مكيدة معاوية في الملاء وانه يبغى وراء حرمان عبدالله بن سلام من زوجته أرينب ان يزوجها من يزيد . وخرج ابن سلام من الشام غضبان اسفاً . اما ابو هريرة فسر بالحسين بن علي (ع) في طريقه فسلم عليه فاحتفل به الحسين (ع) وسأله عما جاء به من الشام فقص عليه خبره فنأشده الله أن يذكره عند أرينب عسى أن ترضى بالحسين زوجا لها ، فقبل ذلك ابو هريرة وجاء الى أرينب واخبرها بما فعل زوجها عبدالله ابن سلام . . . بائنة فبكت أرينب ولما هدأ روعها واسترجعت قال لها ابو هريرة : « انك لا تعدمين طلاباً خيراً من عبدالله بن سلام وقد رغب الى زواجك يزيد بن معاوية والحسين بن علي (ع) وهما معرفان لديك بأحسن ما تبتغينه في الرجال ، ويذلان لك ماتشائين من الصداق » . ثم لما عاودها على اختيار رأيها في الرجلين قالت : « انك خير من استشيره في الأمر فاختر لي » فقال ابو هريرة : « لا أختار فم أحد على فم قبله رسول الله تضعين شفتيك في موضع شفتي رسول الله » . قالت : « فلا اختار على الحسين بن علي أحداً وهو ربحانة النبي وسيد شباب أهل الجنة » فعقد عليها الحسين . ولما بلغ ذلك معاوية سخط سخطاً شديداً وقال :

انعمي أم خالد رب ساع لقاعد<sup>(١)</sup>

(١) النصائح الكافية ص ٩٧ . وام خالد كانت كنية ارينب .

حنق يزيد على الحسين بن علي حنقاً لا مزيد عليه ، واستهون الأمر  
 عبدالله بن سلام وخف عليه حزنه وجاء الى الحسين (ع) وطلب منه أن يسأل  
 أرينب رد امانته التي أودعها لديها عندما سافر الى الشام وهي خلاصة ما  
 يملكه من دنياه . فجاء الحسين إلى أرينب وقال لها : « ان زوجا عبدالله بن  
 سلام يطالبها بوديعة أودعها لديها » فقالت : « صدق وها هي وديعته »  
 واخرجت بديراً مختومة ، فدعا الحسين عبدالله وقال له : « ادخل عليها واستلم  
 وديعتك من يدها كما استلمتها من يدك » . فدخل عبدالله وبكى وبكت معه  
 واستلم الودائع منها سالمة ثم قال لهما الحسين : « ارجعا إلى ما كنتما عليه ،  
 فاني اشهد الله انها طالقة وإني لم ألسها وما أدخلتها في بيتي وتحت نكاحي  
 إلا محافظة لها من يزيد ومن كيد أبيه ، فخذ بيدها واذها حيث شئتما » .  
 فبكيا من الوجد طويلاً وأرادت أرينب أن تعيد إلى سيدها الحسين  
 صداقها فوهبها الحسين قائلاً : « إن الذي أرجوه من الله تعالى خير لي من  
 ذلك » ولم يسترجع منها شيئاً كرامة منه وإحساناً .

نعم دفعت سجية الفضيلة حسينها الى صيانة عرض عبدالله من عدو الله  
 بعد أن عرفت من سجايا هتك الحرمات ، وعرف من سجايا أبيه تبديل آثار  
 جده وتبديد مجده ، وتذكر بعد ذلك اسم أخيه وسب أبيه ، وما فعلت هند  
 بعمه ، وأذى صخر لجده ، وان الذي اضمره له ولاسرتة - أو بالأحرى  
 لامته - في مستقبل الزمن أسوء من ماضيه . كل هذه الذكريات دفعت  
 حسين الشرف إلى إبراز هذه المآثر التاريخية المتلألئة في سماء الفضائل .  
 لقد أثرت عملية الحسين (ع) تأثيرها الحسن في نفوس بني الضاد رقة  
 الشرف ودعاة مكارم لاخلاق ، كما أنها أثارت من يزيد أحقاداً خمد نارها  
 أو كادت فوق ما ذكرته اندحار أبيه أمام جدال الحسن ، وقتال أبيه ، ومصرع  
 عتبة وشيبة وحظلة وسائر أشياخه ، والذل الذي لحق جده يوم عرض نصرته  
 لعلي (ع) ويوم عرض إسلامه للنبي (ص) وعند استجارته بهما في المدينة . .  
 فصمم من فوره على الانتقام من حسين الفضيلة أشد الانتقام حينما أصبحت الأمور له  
 متسقة والجماهير به مستوثقة وفيهم عبيدالله بن زياد إن لم يكن زياد .

## مبادئ قضية الحسين

كل الذين دونوا قضية الحسين (ع) أخذوا سلسلتها من أوساطها ، أي من حين البيعة ليزيد . في حين أن القضية - كما سبق - تبتدىء من عهد أبي سفيان ومحمد (ص) - إن لم نقل من قبل ومن عهد هاشم<sup>(١)</sup> وعبد شمس - فإن أبا سفيان جد يزيد إذ رأى محمداً جد الحسين قد نهض في مكة سنة ٦١٠م يدعو العرب الى توحيد المعبود والاتحاد في طاعته ، حسب انه سيهدم مجد عبد شمس ورئاستهم ويبنى لبني هاشم (٢) بيت مجد مرصوص الأساس ويعم ظله الوارف عامة الناس . فاندفع بكل قواه الى معارضته ففعل ما فعل في مقاومة النبي (ع) واهاته ، وتفريق أعوانه ، وتحشيد الجموع لمحاربتة حتى كان في أيام بدر واحد والاحزاب وهما مثالان للحق والباطل ، وامر محمد (ص) يقوى انتشاره ومناره حتى رمى حزب أبي سفيان آخر نبلة من كناتته ولم يفلح « يريدون ليطفؤا نور الله بأقواهم ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون » ، وذلك أن الله سبحانه فتح لنبيه مكة فتحاً مبيناً ، ونصره على قريش نصراً عزيزاً . إنتهت الحركة السفينية ، ولكن في الظاهر .

(١) هاشم وعبد شمس اخوان أبوهما عبد مناف بن قصي . قبل ولداً توأمين متلاصقين بقطعة لحم في ظهرهما فالجأت الحالة الى فصلهما بالسيف ، فطير المشتمون من ذلك واستدلوا منه على استمرار السيف بين ذراريهما فكان كما قالوه ، وكان الامويون من بني عبد شمس والهاشميون من بني عبد المطلب طرفي الخصام في الجاهلية والاسلام ، وكان هاشم اسمه عمرو - ويقال له : عمرو العلاء - ولقب هاشماً لكثرة هشمة الثريد لاضيفه ولزوار البيت الحرام .

(٢) كان بنو هاشم صفوة قريش حينما كانت قريش صفوة العرب ووجوه ابناء الجزيرة وامتاز بنو هاشم من بين القبائل كلها بالسماحة والفصاحة وطلاقة الوجه واللسان واقراء الضيوف ونجدة المظلوم وحسن السمة وشرف النفس وطيب الولد وطالما اعتلت عليهم قريش بسبب تمسكهم بالحقوق ودهانتهم للعهود ومحاماتهم عن الحرم .

أما الحزب الخاسر المنكسر فقد كان يعمل ليلا ونهارا في تلافي خسراه  
وارجاع سلطانه ، ولكن تحت الستار وبأخفى من ديب النمل على الصفا ،  
يرسم الخطة للقيام بحركة وسيعة الدائرة حتى إذا قضى النبي (ص) نجسه  
تنفس وانتهاز الفرصة لاستعادة مجده .

أجل ! لقي محمد (ص) ربه وأبو سفيان حي يسمع الناعية عليه ، ولكن  
لا يسعه إظهار شيء وكان العباس عم النبي (ص) يعرف من امره شيئا إذ كان  
صديقه الحميم في الجاهلية والاسلام ، فأشار على علي (ع) ابن أخيه أبي  
طالب - وهو يغسل جنازة النبي (ص) - قائلا له : « يا علي مديك لأبايعك  
حتى يقول الناس : عم رسول الله بايع ابن عمه ، فلا يختلف عليك إثنان »  
فلم يسمع من ابن أخيه جوابا سوى كلمة : « يا عم أولها غيري » وقبل أن  
يدفن النبي (ص) نجم الخلاف حول خلافته بين المهاجرين والانصار .

لكن الذي نعلمه أن أبا سفيان لم يكن من الانصار ولا من المهاجرين  
عندما قال : « منا أمير ومنكم أمير » حتى يحسب لنفسه حسابا في التحيز الى  
طرف ، ورأى انضمامه الى اضعف الاحزاب - أي حزب علي (ع) - أقرب  
الى مقصده من ايجاد موازنة في القوى وخلق عراقيل تكاد تمنع من حسم  
الخلاف ، فجاء عليا قائلا له : « لو شئت ملأتها لك خيلا ورجالا وعلي (ع)  
يومئذ يطرق الأبواب على المهاجرين والانصار يتمنى فاصرا لقضيته ، فلو كان  
ممن يضيع رشده بالمواعيد الخلافة لاغتتم من أبي سفيان هذا العرض ، ولكن  
الامام عرف سوء قصده - وقصده الصيد في الماء العكر - فأجابه بالرد  
والاستنكار قائلا له : « مه يا أبا سفيان أجاهلية واسلاما » أي إنك تتربص  
دوائر السوء بدين محمد (ص) في عهدك : عهد الجاهلية وعهد الاسلام ،  
وتفرس سوء مرامه من كلامه وانه انتهاز فرصة الخلاف من حاشية النبي (ص)  
وقصد إحتلال مدينة الرسول عاصمة الاسلام بحجة نصره الضعيف أو تسوية  
الخلاف ، وما جيوشه سوى مرده العرب من أهل النفاق ، فاذا نزل هؤلاء في  
عاصمة التوحيد سادت منافقة العرب ، وعادت مبادئ الجاهلية - والناس  
حديثو عهد بالاسلام - فيكون الرجعيون أولى بالقوة والنصرة والموحدون

أولى بالضعف والذلة «ويخرجن الأعرس منها الاذل» . قرأ هذه الشروح وأكثر منها علي (ع) من كلمة أبي سفيان فرده رداً قارصاً ، لأن علياً رجل الحق وبطل الايمان لا يضحى الدين أو المصلحة العامة في سبيل نفع ذاتي أو شهوة وانتقام .

ولما عرف أبو سفيان ان علياً (ع) لا ينخدع وانه عند تداخل الأغيار ليصافح إخوانه المسلمين ويتحد معهم لحفظ بيضه الدين - مهما كان ضدهم وكانوا أضداده - ندم أبو سفيان على لفظته ، ومرع الى الحزب الغالب ، وانضم اليهم ليحفظ مركزه الاجتماعي قبل أن يخسر الطرفين وتأخرت منوياته الى حين - حينما يخضر عود أمية بامارة معاوية على الشام وعود سلطانهم .

وبعد ما نبغ فيهم معاوية أخذ على عاتقه القيام بنوايا أسلافه ومعه يومئذ أبوه ينصب علياً (ع) - دون المسلمين - هدفاً لسهامه الفتاكة ، إذ عرفه النبيوع الوحيد لسيال وحي المصطفى (ص) ، وانه البطل المناوىء لهم بكل قواه ، والعميد القائم بيت بني هاشم ، والمركز القوى لابادة الحركة السفيانية ، وان علياً هو وأبوه نصيراً محمد (ص) حين لا ناصر له حتى انه فداه بنفسه ليلة ميته على فراشه ، وضع على قريش هجرته ، ونقض ما أبرموه عليه ، وعلي القاتل صناديد قريش وأركان حزبهم في بدر وغيرها ، ولولاه لقضوا على حياة رسول الله (ص) في بدر وأحد والخندق ، وعلي الفاتح قلوب أهل مكة في وجه محمد المصطفى إذ تلا عليهم سورة البراءة في الموقف العام العصيب بكل ثبات وجسارة وإقدام - الأمر الذي لم يكن يقوم به أحد من المسلمين - الى غير ذلك من مواقفه المهمة التي ضيع فيها على أمية مكايدها وكانت صدور أمية تغلي كالمرجل على رجل الايمان .

## دوافع يزيد الانتقامية

لقد تستر ابن هند والحزب الأموي في إخفاء غرضه تحت مخابي، السياسة المطلية بدهانهم ، لكننا أخلافه - أمثال يزيد والوليد - كشفوا القناع بأفعالهم وأقوالهم عن كل ما أجنبي وأخفي على الملاء ، فتجلى كالشمس أنهم يتنفون التشفي والانتقام من محمد وأهل بيته بكل معاني التشفي ، إذ لم يسكت عن الحسين كما سكت عن ابن الزبير ، وخالف في ذلك وصاية أبيه وبرنامجه ثم لم يسالم الحسين كما سالمه ولم يقنع بخروجه عن مناطق نفوذه وحدود سلطانه - كما قترح عليه الحسين نفسه - ولم يجالدا ابن النبي مجالدة عربي لعربي ، بل ضيقوا عليه سبل الحياة ، ومنعوه من ورد الفرات ، وحاصروه بنسائه واطفاله في اقلات ، ومثلوا به وبصحبه بعد القتل شر مثله ، وجردوهم تاركين اشلأهم عراة على العراء تسفى عليهم الرياح ، وقطعوا رؤوسهم وداروا بها على فوق الرماح ، وسبوا صبية الحسين ونسائه يظاف بهن في الآفاق وفي الأزقة والاسواق ، مربقين بالرجال كالاغنام وحولهم طبول وابواق ، يضع أميرهم الرأس الشريف بين يديه وينكت برأس الخيزران ثناياه وشفتيه ويقول شامتا :

يا حبذا لونك يا حسين كحمره الوردة في الخدين .. الخ

ويسبون الحسين وأباه وأخاه سرا وجهرا ، وينتحلون الاحاديث القادحة في علي وصحابته ، ويهتكون حرم الله ورسوله وحرمت الدين ، ويفعل يزيدهم طغيانا في مدينة الرسول (ص) ما فعله فرعون ، ويزيد يقتل أبناءهم ويستحبي نساءهم فرائث خيلهم في روضة النبي (ص) واستباح عسكره المدينة ثلاثة ايام ، واقتضت بها اثني عشر ألف عذراء ، ولم تسلم حرة في واقعة الحرة ، إلا من لذن ببيت السجاد علي بن الحسين - عليه السلام - وهن ستمائة من

الهاشميات وغيرهن، فقد استثنى يزيد بيته وشخصه من الاضطهاد والاستعباد  
إذ أمر قائده ان يجدد مبايعة اليثاربة له على أنهم عبيده ان شاء باعهم وان  
شاء اعتقهم •

وروى الجاحظ : « إنهم وسوا العباد ، ووشموا الاجساد » - كما  
يفعل بالانعام والكلاب - علامة أنهم خول لبني أمية ، ورأوا انس بن مالك  
- خادم رسول الله وصاحبه - وفي عنقه قلادة مختوم عليها بالرصاص علامة  
عبوديته لهم ، واحرقوا ستار الكعبة ، ورموها بالمنجنيق ، وقتلوا الطائفين  
والعاكفين ، وسفكوا الدم الحرام ، في البلد الحرام ، وفي الشهر الحرام ،  
وحولوا قبلة واسط الى الشام •



## معاوية وتعقيباته

ناصر معاوية وحزبه علياً وصحبه وكان ما كان من أيام البصرة وصفين والنهروان وعلي (ع) في كلها غير مخذول ، ولا يزداد معاوية الاحقداً عليه وموجدة ، وتعقب الضعائن إثر الضعائن • وكان معاوية رجل الغدر وحليماً إلا على علي (ع) وخاصته •

فلما توفي علي (ع) سنة ٤٠ هـ بسيف ابن ملجم الخارجي ساجداً في محرابه ، زال من بين عيني معاوية ذلك الشبح الرهيب الذي كان يخفيه في منامه وفي خلواته ، وقويت غزائمه وتوجهت شطره أكثر النفوس التي كانت رهن سجايا علي (ع) وعلومه ومنقادة لصوته وسوطه وصيت شجاعته وسماحته ، لا سيما وان الاثار النبوية المشهورة فيه كانت لا تقاس كثرة وشهرة بما ورد في شأن غيره ، والخدمات التي قام علي بها كانت قاطعة الألسن فضلاً عن طول عهد الامارة لمعاوية وانتشار حزبه الفعال وتوزيعه الاموال •

هذه العوامل وغيرها ضيقت دائرة النفوذ على الحسن بن علي (عليه السلام) وخليفته ووسعت المجال لمعاوية وحزبه ، فاتقم من علي بعد وفاته وسبه علياً على المنابر ، والمنائر ، والالسن ، والكتب •

ويؤسها من حيلة ووسيلة لاستئصال مجد بني هاشم بثلب كبير هم وقد قال ابن عباس : « إنهم يريدون بسب علي سب رسول الله » ثم لم يقنع بذلك فأخذ يتتبع خاصة علي (عليه السلام) بالسم والاسل ويقول : « إن لله جنوداً من عسل » يعنى السم المعسول الى اعدائه ، ولم يسع حلمه أصحاب علي وبنيه قط فدرس سما ذريعاً الى زوجة الحسن السبط فقتلته اغتراراً بموعد زواجها من يزيد •

## تأثرات الحسين الروحية

هذا حري بنا ان ندرس حالة الحسين ( عليه السلام ) ذلك المتقاني في حب شقيقه الحسن ماذا يجري على قلبه وهو يرى احشاء اخيه مقدوفة في الطست من سم معاوية ، ثم تمنع بدسياسة مروانية جنازة اخيه من زيارة جده - وهما ريحانتاه - ويسمع سب أبيه واخيه في المعابر وعلى المنابر ، وتنعى اليه صحابة أبيه من فتك معاوية بهم ، وسحق العهود الشريفة ، ومحق شعائر الاسلام ، وتبديل سنن جده بالبدع ، وتحويل الاسلام من روح دينية عالمية الى روح قومية ملكية ، وتمهيد أسس للرجعة الى الجاهلية .

هذا كله عدا ما سبق من امر معاوية وعلي (ع) في حروب وفتن أوجدها معاوية لاغراض ذاتية ، وفت في عضدالدين ، وشتت بها شمل المسلمين . أضف عليها ما جرى على جده المصطفى (ص) من الحزب السفيفاني اثناء البعثة وبعد الهجرة . أفلا يكون بعد ذلك كله قلب الحسين دفتراً ملؤه المؤلمات؟! ولا بد وان تكون هذه الموجدات في الحسين ( عليه السلام ) وفي صدره بركانا قويا مشرفاً على الانفجار ، وحسين الشهامة لم يكن بالذي يقيم على الضيم لولا ان الوصية تتلو الوصية من اخيه وجده وابيه وخاصة مواليه بالصبر ، « والصبر أمر من الصبر » .

## كيف يبايع الحسين

غريب والله ان يزيد المشهور بالسفاسف ولفجور يريد التقمص بخلافة النبي محمد (ص) المبعوث لتكميل مكارم الاخلاق، وذلك في حياة الحسين (ع) ابن ذاك النبي وحيبيه . فيزيد يعلم نفسية الحسين ويعلم أن صدر الحسين (ع) أصبح بركاناً قريب الانفجار ، ومع ذلك لا يقنع بسكونه وسكوته عما هو فيه بل يريد منه فوق ذلك كله ان يعترف له بالخلافة عن الرسول ، وهل ذلك الا رابع المستحيلات ؟ فان اعتراف الحسين (ع) بخلافة يزيد عبارة أخرى عن أن الحسين ليس بالحسين ( أي إن معنى قبوله البيعة ليزيد بيع دين جده ، وكل مجده ، وكل شعور شريف للعرب ، وكل حق للمسلمين ، وكل آمال لقومه يبيعها جمعاء برضى يزيد عليه ) وهذا مجال على الحسين (ع) وعلى كل أبطال الفضائل ، فان قبوله بيعة يزيد عبارة أخرى عن اعترافه بتساوي الفضيلة والرذيلة ، واستواء العدل والظلم ، واتحاد الحق والباطل ، وتماثل النور والظلام ، وإن العلم والجهل مستويان ، وإن الخفيف والثقيل سيان في الميزان . فهل يسوغ بعد هذا كله سكوته وسكونه ؟؟

وقد يزعم البسطاء ان الحسين (ع) لو استعمل التقية وصافح يزيد لاتقى بيعته شرأمية ، ونجا من مكرها ، وصان حرمة ، وحفظ مهجته ، لكن ذلك وهم بعيد ..

فان يزيد المتجاهر بالفسوق لا يقاس بمعاوية الداهية المتحفظ ، فبيعة مثل الحسين (ع) لمثل يزيد غير جائزة بظاهر الشريعة ولذلك تخلف عن بيعته سعد بن أبي وقاص ، وعبدالرحمن بن أبي بكر ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله ابن الزبير أيضا فانكروا على معاوية استخلاف يزيد وامتنعوا عن بيعته حتى فارقوا الحياة ، وكان سيدنا الحسين (ع) أولى بهذا الامتناع والانكار .

وأما مع غض النظر عن التكليف الشرعي ومطالبة وجه غير التمسك  
 بظواهر الكتاب والسنة فنقول : إن التحري في الوثائق التاريخية والكتب  
 المعتبرة يؤدي الى الاعتقاد بأن سيدنا الحسين (ع) كان يعلم بانطواء خصومه  
 على نية التشفى من قتله ، وقد صرح في مواطن عدة بأن بني أمية غير تاركيه  
 حتى لو كان في جحر ضب لاستخرجوه وقتلوه ، وقال ( عليه السلام )  
 للعكرمي في بطن عقبة : « ليس يخفى على الرأي ولكنهم لا يدعونني حتى  
 يخرجوا هذه العلقة من جوفي » وأكد ابن زياد نية التشفى من قتل الحسين  
 (ع) في كتابه لابن سعد قائلا : « حل بين الحسين وأصحابه وبين الماء فلا  
 يدوقوا منه قطرة ، كما صنع بالتقي الزكي عثمان بن عفان » • وأعلن يزيد  
 نفسه بما يضره من الانتقام من آل محمد كما قال :

لست من خدف ان لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل

إلى غير ذلك من الشواهد التي نستنتج منها ما قصده الأمويون من  
 الانتقام من آل الرسول (ص) علم ابن النبي ( صلى الله عليه واله وسلم ) من  
 كل هذا تصميم آل حرب على انتقامهم من آل علي مهما تظاهر هؤلاء  
 بمسألتهم ومطاوعتهم ومهما تظاهر آل حرب لهم بالأمان والأيمان ، وقد أكد  
 هذا العلم غدر ابن زياد بابن عمه مسلم واعطاؤه الأمان حتى اذا خلع سلاحه قتله  
 شر قتلة ، وأجلى من ذلك غدر معاوية بأخيه الحسن (ع) ودسه السم الى من  
 قتله بعد أن صالحه وصافحه وتنازل له عن خلافته المعقودة له • فهل ترى ابن  
 النبي (ص) بعد ذلك كله يعيد الامتحان ويجرب المجرب ؟ كلا ! إذن فالحسين  
 وجد نفسه مقتولا إذا لم يبايع ومقتولا اذا بايع ، لكنه ان بايع اشترى مع  
 قتله قتل مجده وقتل آثار جده أما إذا لم يبايع فانما هي قتلة واحدة تحيا بها  
 آماله ، وشعائر الدين ، والشرف المؤبد •

## البيعة يزيد

صفا لمعاوية الجو وملك نحو أربعين سنة ملكا قلما يسمح الزمان بمثله، وهو في خلال ذلك لا يفتر عن عمله ليله ونهاره، فيستكثر أعوانه، ويعزز إخوانه، ويستحوذ على من يشاء بما أوتى من مال ودهاء، واستمال إلى أهوائه أمثال زياد وابن العاص والمغيرة من الدهاة فمد أطناب حزبه ورواق مآربه، وانقادت إليه حتى آل هاشم \* ولكن الرجل استحب دوام هذا السؤدد لبيته ومن يخلفه في إنقاذ نواياه، اذ عرف أن سلطانه وقتي وقسري - وما كان بالقسر لا يدوم - فاراد إثباته في بيته ما دام حياً لأنه يخشى من موته إنقلاب الأمور على بنيه \* لا سيما وابنه يزيد موضع تقمه الجمهور وفي الناس من هو أقدم منه وأولى، فاخذ البيعة ليزيد حال حياته - بعد أن ذل الصعاب ومهد السبل لغاياته - غير أن الأباة أبوا عليه البيعة ليزيد، واتخذت عملية معاوية هذه كمناورة يمتحن بها مخالفيه، ثم أوصى ولده يزيد بأن لا يمس هؤلاء بسوء إذا أبوا عليه البيعة بعد موته إلا ابن الزبير، والسرفيما ارتآه داهية قريش هو أن البعض من هؤلاء ضعيف النفس وغير مسبوق بغضاضة \*

وأما الحسين السبط فنفس أبيه بين جنبيه ويخشى على البيت الأموي من التعرض له، وبما أنه رجل الفضيلة يؤمل فيه أن يستمر على سكوته وسكونه اذا عمل برغائبه ومداراته، ويخشى من قيامه أن يقوم الخجاز والعراقان معه حين لا معاوية لديه ولا ابن العاص \*

أما ابن الزبير فذو نفسية حرية مع اعدائه وذو دهاء مع رقبائه ولكنه كأبيه شحيح لا مطمع فيه، فالعدو لا يأمن منه والصديق لا يأمل فيه، فاستهان القضاء عليه من دون توقع محذور في معاداته \* لكن يزيد لم يعمل

بهذه الوصية إذ أنه عاش عيشة ترف قضاهها في الصيد والسكر والمهو ، ومثل هذه التريبة تسوق صاحبها لعبدة الهوى والاعتزاز بسلطان الشهوات ، فلا يحترم قديماً ، ولا يحتشم عظيماً ، ولا يحتفل بالدين ، ولا يرغب الجمهور .  
وعليه فمات معاوية إلا والأوامر تتري من يزيد على ابن عمه الوليد - والي المدينة - باخذ البيعة له من الناس عامة ومن الحسين وابن الزبير خاصة فتلقي الوليد بن يزيد بن ابي سفيان أوامره بكل رهبة واحتياط ، وكان يعرف سوء سمعة يزيد كما يعرف حسن شهرة هؤلاء عند المسلمين عامة وعند أهل الحجاز خاصة ، فأدت سياسته الى إعلام هؤلاء بالأمر بصورة ودية مع المداراة لرغائبهم وحركاتهم قبلما ياخذ البيعة العامة في مسجد النبي ليزيد كخليفة ، فأرسل الى الحسين والي ابن الزبير ليحضرا لديه فجاءه الحسين (ع) ومعه ثلثة من أقربائه ، ولم يدخلوا معه فاستقبله الوليد بالترحاب ومروان<sup>(١)</sup> جالس متغير وتكاد تقرأ ما في قلبه من سحنات وجهه . وابتدأ الوليد ينعى معاوية فاسترجع الحسين (ع) ثم قال الوليد : « إن يزيد استحج اقتراح البيعة عليك فمذا ترى ؟ » فأجابته الحسين : « إن البيعة تحسن من مثلي لمثل يزيد أن

(١) هو مروان بن الحكم بن العاص بن أمية . ولد في السنة الثانية للهجرة وطرده النبي (ص) مع ابيه الى الطائف لأن اباه الحكم أسلم مع ابي سفيان يوم الفتح كرها ونفاقا . وكان يستهزأ بالنبي (ص) إذا غاب عنه ويجس الى المشركين بأخباره ، فدعا النبي (ص) عليه وطرده فأواهما عثمان في خلافته وتخذ مروان كاتباً عنده ، فنقم المسلمون ذلك عليه لا سيما بعد تزويره كتاباً عن لسان الخليفة يأمر فيه عامل مصر بقتل محمد بن ابي بكر ورسول المدينة .

وكان مشاراً امتن يوم الدار وفي الحروب التي أقامها معاوية ضد لامام علي - عليه السلام - وبإيع الامام نفاقاً كما أسلم ابوه نفاقاً وسرعان ما نكث البيعة وخرج مع طلحة الى حرب البصرة ثم رمى طلحة . ولما أسره الامام (ع) تشفع فيه الحسن (ع) فخلا سبيله . ولما تقدم ليحدد بيعته ابعده الامام قائلاً : « لا حاجة لي في بيعته انها كف يهودية ، اما ان له امرة كلعقة الكلب أنفه ، وهو ابو لاكش الارسية ، وستلقى الامة منهم يوماً أحمر » . ثم هرب مروان الى معاوية وخرج الى صفين . وبعد صلح معاوية مع سيدنا الحسن (ع) تولى إمارة لمدينة فالحجاز كله ، واخذ فدكا لنفسه ، ثم أساء معاوية الظن فيه فعزله . وبعد موت معاوية بن يزيد تولى الخلافة ثم خنفته زوجته سنة ٦٥ هـ بالشام .

تكون علانية وببلا من الناس ، فالأولى أن تؤجلها إلى موعد اجتماع الناس في المسجد » فأجابه الوليد بكل لين وتساهل ، غير أن مروان عكر صفو السلم ، وقال : « يا أمير لا تدع حسيناً يخرج من عندك بلا بيعة فيكون أولى منك بالقوة وتكون أولى منه بالضعف ، فاجسه حتى يبايع أو تضرب عنقه » فوثب عندئذ حسين المجد قائلاً : « يا بن الزرقاء ! أنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله ولثمت » ثم انصرف هو وبنو هاشم .

كان الوليد ومروان كلاهما يغيان إخضاع الحسين (ع) ليزيد ولكن ذلك بالسياسة وهذا بالتهديد ، وكان الوليد أراد أن يستميل قلب الحسين ويسترق من لسانه كلمة القبول - ولو سراً - لعلمه أن الحسين رجل الصدق والثبات ، فلا يعدل عن كلمته وليس بذي لسانين ، إسرار وجهار ، ولا ذا وجهين محضر ومغيب .

أما مروان فكأنه علم أن المسلمين إذا اجتمعوا في مسجد النبي بين قبره ومنبره ، وحضر لديهم ريحانة النبي ( وبنو هاشم وقوف وبنو الأنصار جلوس ) فإن المؤثرات المعنوية والحسية لا تسفر إلا عن البيعة للحسين وخسران صفقة يزيد . وبالجملة فإن مروان نقض على الوليد أمراً كان قد أبرمه ، غير أن الخبر لم ينشر خارج المدينة لمراقبة الوالي وفقد وسائل المخابرات . أما الحسين (ع) فقد عرف أن مروان سوف يخبر يزيد على عزل الوالي أو يحمل الوالي على الوبيعة بالحسين وآله ، وأن يزيد وحزبه ينقادون لأرادات مروان بشخصيته البارزة في الحزب السفيناني ، وقديم عداوته للنبي وآله . وقد كان هو وابوه طريدي رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وملعونين على لسانه<sup>(١)</sup> فلا بد وأن ينتقم من ريحانة الرسول (ص) بالمثل أو يزيد ، فلم يجد الحسين (ع) بداً سوى الهجرة سراً إلى حرم الله .

(١) قال الجاحظ في رسالة المفاخر : إن مروان بن الحكم كان هو وابوه ملعونين على لسان النبي (ص) وطريديه من المدينة مدة حياته ، ثم في عهد أبي بكر وعمر كلما تشفع عثمان فيهما وفي إيوائهما لم يجد حتى ولي عثمان فأوى مروان إلى المدينة على كره المسلمين ذلك حتى كان هذا الأمر أحد أسباب قيام المسلمين على عثمان وقتله .

## نظرة في هجرة الحسين

يصف الواصفون لتاريخ الحسين (ع) اشد ليالي حياته عليه ليلة مقتله في الطف ، تلك الليلة التي حوصر فيها هو وذووه في بقعة جرداء وضائق عليه الارض بما رحبت، ومنع حتى من شرب الماء المباح فلم تهجع عيناه حتى الصباح ولا يبعد ان يكون اشد ليالي الحسين ليلة مرجعه من مجلس الوالي في المدينة وحيرته في سيرته مع القوم الظالمين ، إذ كان الحسين (ع) ليلة مقتله على بصيرة من أمره ، وان ليس بينه وبين الجنة سوى سويغات لكنما الحسين (ع) في ليلة هجرته من مدينة جده كان في جهاد فكري وألم عقلي يفكر في متابته ليزيد وكونها ضرباً من المحال ، ثم يفكر في بقاءه في حرم جده ، لكن ذلك استسلام لمروان فيما يفعل به وبأسرته من قتله المستلزم لقتال رجاله وذبح اطفاله ونهب أمواله وإرسال بناته مع رأسه الى يزيد .

كان مروان ممن يفعل ذلك ويزيد عليه تشفياً لنفسه وانتقاماً لأمية وتزلفاً ليزيد . ولم يكن ابن مرجانة بأوتر منه ولا اشقى ، اذن فماذا يصنع الحسين (ع)؟ الا ان يهاجر الى مكة ابتغاء الابتعاد من المنطقة المروانية ، ولقاء وجوه المسلمين في الحج ، وانتظار الفرج . ولكن كيف يهاجر بأسرته الوفيرة العدد بلا عدد؟ والهجرة بالاهل ليس بالسهل ، لاسيما في مسالك وعرة غامضة الحال مبهمة الاستقبال . وفي النهاية اختار الحسين (ع) هذا الرأي الاخير على حراجه ، وأوحى بذلك الى إخوانه ورجال أسرته وهم يلبونه فيما يرغب ( مهما كانوا كارهين مع التأهب لما يجب كما يجب ) الا محمد بن الحنفية فانه سأل أخاه البقاء في حرم جده بين أنصاره ، فأجابته الحسين (ع) بمبلغ عداوة يزيد معه وسوء نيته فيه وضعف ثقته في ناصريه . فقال ابن الحنفية : « ان كان ولا بد من ذلك فما معنى حملك النسوة والذرية؟ » فلم



يجد الحسين (ع) مقنعاً لأخيه الا أن يقول له انه من فرط الحب المتبادل بينه وبينهن لا يستطيع فراقهن كما لا يرضين بفراقه ، ولو جرى عليهن ما شاء الله أن يجري . فقال ابن الحنيفة : « انك يا أخي أحب الناس الي وأعزهم علي ، ولست أدخر النصيحة لغيرك ، تنح بييعتك عن يزيد ، ثم ابعث رسلك الي الناس ، فان بايعوك حمدت الله وان اجتمعوا على غيرك لم ينقص دينك ولا فضلك ولم تذهب به مروتك » قال الحسين (ع) : « فأين اذهب يا اخي ؟ » قال : « انزل مكة فأن اطمانت بك الدار فيها والا لحقت بالرمال والجبال ، ومن بلد الي بلد حتى تنظر ما يصير اليه الناس فتكون أصوب رأياً » فجزاه الحسين خيراً .

وقد استبقاه أخوه لضرورة وجود من يعتمد عليه في مركزه عماداً للبيت ومحافظاً لودائع أهله كما استبقى على مثل ذلك ابن عمه عبدالله ابن جعفر الطيار .

وكان عبدالله بن جعفر ختن الحسين على أخته وشقيقته زينب العقيلة بنت علي (ع) . ولما علم عبدالله بتوجه الحسين من مكة نحو العراق ، ألحقه بولديه عون ومحمد<sup>(١)</sup> وكتب على أيديهما اليه كتاباً يقول فيه : « اما بعد فاني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي ، فاني مشفق عليك من الوجه الذي توجهت له أن يكون فيه هلاكك واستيصال أهل بيتك ، وإن هلك اليوم طفي نور الارض ، فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين ، فلا تعجل بالمسير فاني في اثر كتابي والسلام » .

وسار عبدالله الي عمرو بن سعيد فسأله أن يكتب للحسين (ع) اماناً ويمنيه ليرجع عن وجهه . فكتب اليه عمرو بن سعيد ولحقه يحيى بن سعيد وعبدالله بن جعفر بعد نفوذ ابنيه ودفعوا اليه الكتاب وجهداً به في الرجوع

(١) في مقاتل الطالبين : « ان عون بن عبدالله بن جعفر امه زينب العقيلة ( الي أن قال ) والعقيلة هي التي روى ابن عباس عنها كلام فاطمة (ع) في فدك فقال : حدثني عقيلتنا زينب بنت علي « اما ام محمد فهي الخوصاء .

فقال : « إني رأيت رسول الله (ص) في المنام وأمرني بما أنا ماض له » فقلا :  
« فما تلك الرؤيا ؟ » قال : « ما حدثت أحداً بها ولا أنا محدث حتى ألقى  
ربي عز وجل » فلما آيس منه عبدالله بن جعفر أمر ابنه عوناً ومحمداً بسلازمة  
الحسين والمسير معه والجهاد دونه .

لقد فشل ابن سعيد - والي الحجاز بعد الوليد - في تدابير لاقناع  
الحسين بالرجوع الى مكة كي يحصره فيها وفي منطقة نفوذه ، وقنع عبدالله  
ابن جعفر الطيار عن الامام باجازه بقاءه في وطنه وقنع الحسين ( عليه السلام )  
منه بارسال شبابه الباسلين ، وقد كانا ناصريه بالنفس والنفيس وكانت أمهما  
زينب نصيرته في نهضته ، وخليفته على صبيته ، وسلوته من كل أحزانه ،  
ومديرة أمر عياله وبيوت أصحابه ورجاله ، ولولاها لانقرط عقد يتماه بعد  
قتله ، ولولاها لانتثر نظام أهله بعد انتهاء رحله ، ولولاها لقصي على خلفه  
العليل وانقرض نسله الأصيل .

## هجرة الامام من مدينة جده

سار حسين النهضة من حرم جده ولم يقتصر في الوداع على قبره الطاهر إذ المسافر يودع من وطنه المحبوب كلما وقع نظره عليه من صحاب وأحباب وغيرهما حتى الماء والتراب، أما ركب الحسين (عليه السلام) فكانوا يودعون الربوع وداع من لا يامل الرجوع •

خرج الحسين من حرم جده (ص) خائفاً يترقب يناجي ربه لينجيه من فراعنة مصره ونماردة عصره ذكراه رحمة ربه ، ومبدؤه خوف ربه ، وغايته بيت ربه • سائراً في المنهج الأكبر - أي الشارع السلطاني - فقيل له : « لو تنكبت الطريق كما فعل ابن الزبير لثلا يلحقك الطلب » فقال : « لا والله لا أفارق الطريق الأقوم حتى يقضي الله ما هو قاض » ونزل مكة يوم الجمعة ثالث شعبان وهو يتلو : « ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل » •

## الهجرة الحسينية

### وانقلابات حول الستين

للحوادث أدوار تتعاقب كالليل والنهار ، والتاريخ يعيد نفسه باختلاف الأطوار ، فما أشبه هجرة الحسين (ع) باهله من المدينة الى مكة خوفاً من آل أبي سفيان بهجرة جده محمد (ص) باهله الى المدينة من مكة خوفاً من أبي سفيان وحزبه ، وبين اليومين نحو ستين عاماً ، كذلك مجد امية وأبي سفيان انقرض في فتح مكة على يدي محمد بن عبدالله النبي الهاشمي (صلى الله عليه وآله وسلم) وانقرضت ثانية دولة آل أبي سفيان بعد مقتل الحسين (ع) ببضع سنين ، وبين اليومين نحو ستين عاماً . ثم بنيت على أنقاضها حكومة مروانية عاشت نحو ستين عاماً ، ثم انقرضت هي وكل مجد لأمية على يدي محمد بن عبدالله القائد الهاشمي ، وألو المبادئ والهمم والعلماء بمجاري الحركات في العالم لا تبرد عزائمهم مهما خابت مساعيهم ويواصلون المسعى بالمسعى وإن فشلوا والدهر دوار ، وللتاريخ تكرر ، وللنفوس إقبال وإدبار . فالناهض بفكرة صالحة لا بد وأن يثار على نشرها والدعوة اليها ثابت العزم راسخ القدم لا تزحزحه عواصف العواطف ولا تزلزله قواصف المخاوف . ولكن عليه أن يستخدم في سبيلها العبر والغير والأحوال ، وبقاء الحال محال ، حتى لو وجد محيطه بالغ الفساد غير صالح للإصلاح استبدل عن المكان بمكان ، وعن الجيران بجيران ، تلك سنة الانبياء والمصلحين حتى اذا فاز بهيئة صالحة وقوة مسلحة عاد الى مركزه - والعود أحمد - كذلك محمد (ص) من مكة ثم اليها وذياك موسى من مصره ثم اليه . وليس حسين التاريخ بدعاً من رسل الإصلاح اذا هاجر من موطنه خوفاً على مسلكه او املاً بنهضته وكيف كان فقد سمعت الأسباب التي دعت حسيناً أن يغادر يثرب خائفاً يتربق فاسمع

الآن آثار هذه الهجرة وحسن إنعكاسها في العالم الاسلامي ، وقد سبق أن  
المخابرات بين المدينة والمدن كانت تحت المراقبة ومفقودة الوسائل والوسائط  
فصارت حركة الحسين (عليه السلام) قضية ذات بال تناقلتها المحافل والقوافل  
والناس بعد حلوله أم القرى ومن حولها سوابل جارية الى الجهات • فانتشر  
الخبر بأهمية لا مزيد عليها حتى صار حديث كل اثنين يجتمعان •

س - ما وراك ؟

ج - هاجر الحسين (ع) من مدينة جده •

س - لماذا ؟

ج - لأن يزيد قصد إرغامه على مبايعته •

س - نعم ! نعم ما صنع الحسين (ع) فانه لو بايع يزيد الجائر المتجاهر  
بفسقه فعلى الاسلام السلام ، إذن ما ترى أن يكون ؟

ج - ليس سوى اجتماع المسلمين حوله ونصبه خليفة كآبيه علي (عليه  
السلام) ليحيي بعلمه معالم دين جده ، ويحامي بغيرته الهاشمية عن مصالح  
المسلمين ، وينفذ بقوة إيمانه العلوي أحكام القرآن النازل في بيته •

هذه وأمثالها كانت أحاديث أكثر المجامع يومئذ في الحجاز اولا وفي  
سائر الأقطار بعده • وما فاز الحسين بهذه الاذاعة والاشاعة الا بخروجه من  
المدينة مظلوماً وناقماً على الظالمين •

## الحسين وابن الزبير

استقوت بحركة الحسين (ع) عزائم ابن الزبير ، وجهر بخلاف يزيد ، ورفض بيعته ، ولازم مكة أم القرى يسلك مسلك الحسين ، الا ان غايته كانت الدعوة الى نفسه في حين ان الحسين - عليه السلام - لم يصرح بالدعاء الى شخصه وانما أجهر برفض بيعة يزيد فقط وبالتقية من شر أمية راضياً بان يخلي له السرب كي ينفذ الى ثغر من الثغور ، كذلك الشريعة تقضي على المسلم اذا لم يسعه إظهار دينه في بلده ان يهاجر منها الى ما من لا يضطر الى التقية ، وسبط الرسول (ص) اخرى بالتزام شريعته . وكان يتسع نطاق شيعته يوماً فيوماً لإخلاص الحسين (ع) في أمره ، وجلي فضله ، وسمو شرفه ، وكرم محتده . لكن حزب ابن الزبير - وان كان صغيراً - قد نفع الحسين في تنفير العامة من بني أمية وكانت لابن الزبير وأبيه سابقة سوء مع علي ( عليه السلام ) في بدء خلافته بالرغم من القربى الماسة بينهم حتى قال عنهما علي : « لم يزل الزبير منا حتى نشأ ابنه عبدالله » لكننا الغاية المشتركة من خوف وضعف تجاه العدو القوي دعتهما الى تجديد عهد الود والولاء ونسيان سوانف البغضاء، فصار يزور كل منهما الآخر عشية وضحاها وقد صار لمظهر اتحاد ابن الزبير مع الحسين أثر حسن ورهبة في نفوس من عاداهم ومن عداهم ، وذهبت الرسائل من الحرمين الى يزيد بأخبار مذعرة وبصورة مكبرة دعت الى التأهب عليهما بكل ما أوتي من قوة ومكيدة . فأرسل عمرو بن سعيد والياً على المدينة واميراً على الموسم مزوداً بالتعاليم وموعوداً بالتأييد ، فقدم مكة ليلة التروية .

## وضعية الامام في مكة

حل الحسين في حرم الله مستجيراً به ممن يريدون إرغامه على مبايعته لرجل الجور والفجور ، وقد استحسن المسلمون اعتصامه واعتصامه بالتقاليد المقدسة عند المسلمين فأخذ القادمون الى الحج يتهافتون عليه ، ويهتفون بالدعوة اليه ، ويطوفون حوله هذا يلتمس العلم والحديث وذلك يقتبس منه الحكم النافعة والكلم الجامعة ليهتدي بأنوارهما في ظلمات الحياة والرجل بينهم مرآة الكرامة والشهامة ومثال الحكمة والسلامة ، فطارت في الاقطار اخباره وآثاره ، لوتواترت الكتب والرسل والوعود والوفود لاسيما من كوفة العراق - عاصمة أبيه - من وجوه شيعته ومواليه اذ بلغهم هلاك معاوية فأرجفوا بيزيد وعرفوا خبر الحسين وامتناعه من بيعته وما كان من أمر ابن الزبير في ذلك وخروجهما الى مكة ، فاجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي فذكروا معاوية فحمد الله سليمان وأثنى عليه . ثم قال : « إن معاوية قد هلك وإن حسيناً أعلن على القوم خلافه وخرج الى مكة وأتم شيعته وشيعة أبيه ، فان كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا اليه ، وإن خفتهم الفشل والوهن فلا تغروا الرجل في نفسه » قالوا : « لا ، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه » كتبوا اليه في أواخر شعبان ، وشذان ترى في الكتب المرسلة اليه كتاباً بامضاء الواحد والأثنين ، وإنما هي رقاع ( مضابط ) موقعة باسماء آحاد وعشرات من وجهاء ورؤساء وشيوخ يعترفون بامامته ويتمنون قدومه اليهم . بالفاظ جذابه ولكنها كذابة ، ومواعيد جلابة لكنها خلافة ، المشهور أحصوا عليه في أيام قلائل اثني عشر الف كتاباً ، فاختلقت عند ذلك الاشارات عليه من أصحابه وخاصته : فمنهم المشير عليه باقامة مكة وارسال عماله ودعاته الى الجهات ، ومنهم المشير عليه بالذهاب الى اليمن منبت الاخلاص والايامن ومهب الحكمة والعروبة . وقد

سبق منهم لايه ولاؤهم الصادق منذ ولاء النبي (ص) عليهم - لولا أن المتوجه الى اليمن ينقطع خط رجعتيه كما تنقطع موصلاتيه مع الآفاق - ومنهم المشير عليه بالمسير الى العراق عاصمة آبيه ، وموطن أصحابه ومواليه، ومعدن الفروسية والفراسة ، ومنبت الأموال والرجال - وهما قوام كل حكومة -

## الحسين يختار الكوفة

كانت خطة الحسين (ع) الى حين تواتر الرسل والكتب اليه خطة دفاع عن نفسه والالتجاء من آثام بيعة يزيد الى ملجأ حصين .

غير أن صريخ البلاد والعباد وهتاف الانصار والامصار به وله واليه حولاً فكره من دفاع محدود الى دفاع وسيع النطاق ، رجاء نصره الدين ودفع عادية الظلمة عن المسلمين ، فاستخار الله وندب الى العراق - بعد ما كتب اليهم - ليث بنى عقيل مسلماً بن عمه حتى إذا وجدهم على ما كتبوا اليه توجه اليهم بنفسه وأهله . وكان مسلم كبقية آل علي رجل الصدق والصفاء ومثال الشجاعة والايمان ، فقام لأمر صهره وسيده الحسين (ع) وما قدم الكوفة الا وتكونت جماهير الرؤساء لاخذ يمينه يبايعونه نائباً عن الحسين وقد كان لآل علي (ع) وفي صدورهم عتاب مع أهل الكوفة في خذلانهم الحسن بن علي (ع) واغترارهم بدراهم معاوية . إلا أن لحسن إستقبالهم لمسلم محا كل عتاب وكفر كل ذنب ، لاسيما وان الكرام سريعو الرضا والمصلح لا يحفظ غلا أو حقداً .

فكتب مسلم الى الحسين (ع) باقبال العامة وإخلاص الخاصة نادمين على ما فرطوا في جنب البيت الهاشمي الذي كان سلطانه أنفع لدينهم وديناهم ، وحث الحسين (ع) على القدوم الى العراق ليجدد على ربوعه معالم اسلافه .



## بنو امية والخطر الحسيني

اخذت قضية الحسين (ع) تحرك العزائم وتنبه المشاعر في الدوائر الأموية ، وساد القلق على حلفائهم واوليائهم وهم عالمون ان حسيننا يضرب على ايدي الجائرين ولا يولي فاستقا أمر المسلمين ، فعدت رجال الحكم الاموي السنة وعيونا واقلاما وسيوفاً ضد الحركة الحسينية - لا سيما في مناطق العراق والحجاز - واستنفروا قبل كل شىء حكومة الشام والهيئة المركزية بالتأهب للخطر الهاشمي . فكتب عمر بن سعد وعمارة بن عقبة وعبدالله بن مسلم وأضرابهم الى يزيد : « اما بعد ، فان مسلم بن عقيل قدم الكوفة وبايعته الشيعة للحسين (ع) فان يكن لك حاجة فابعث اليها رجلا قويا ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك ، فان النعمان بن بشير - والسي الكوفة - رجل ضعيف او يتضعف » وكأنهم ورسلم استلقتوا أنظار حكومة الشام الى أنه إذا رسخت أقدامه بين النهرين وأهلوهما شيعة أيه ومدائن كسرى تواليه - منذ وليها سلمان وتزوج بشاه زان - فأنوار مبادئه تشع ربوع ايران فيكون له منهم أنصار المال ، وأنصار الحرب ، وأنصار الرأي والادارة ، وأنصار لنشر معارف القرآن وعلوم شرع جدّه الزاهر . فاذا توفيق بهم على تكوين حكومة راقية صار أولى من امية بالولاية على الأقطار حتى الحجاز والشام ، لان المهيمن على العراق يهدد الحرمين وخطوط مواصلات الشام اليهما ، وربما يجدد العراق على الشام حرب صفين حينما أرض الشام خالية من الداهيتين معاوية وابن العاص .

أما يزيد فلم يكن منه بادىء بدء سوى استشارة « سرجون » موسى أبيه معاوية في كتب القوم اليه ، فأشار عليه باستعمال عبيدالله بن زياد على

العراق ، وكانت بينه وبين يزيد برودة وأبرز سرجون ليزيد عهداً كان معاوية قد كتبه في هذا الشأن قبيل وفاته حسب ما ذكره المؤرخون<sup>(١)</sup> فوافق يزيد على ذلك وانهى الى ابن زياد عهده وكتب اليه : « اما بعد ، فانه كتب السي شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني ان ابن عقيل فيها يجمع الجموع ليشق عصا المسلمين ، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتى تثقفها وتوثقه أو تقتله أو تنفيه » فأخذ ابن زياد من كتاب يزيد ورسوله قوة وبصيرة وصلاحية واسعة في المال وبث المواعيد •

رأت حكومة يزيد من الدهاء والحزم سكوتها عن ابن الزبير موقتاً حتى يحسم الزمان أمر الحسين (ع) الذي أصبح يهدد كيان أمية أي تهديد ، فإذا قضت أمية لباتتها من الحسين سهل أمر ابن الزبير عليها لان الرعب يسود على أضداد يزيد بعد الاجهاز على الحركة الحسينية ، ولان موقع ابن الزبير في النفوس ليس كموقع الحسين منها ، لاسيما وابن الزبير شحيح - ولا يسود الا من وجود - ولان ابن الزبير لم يرتبط ببلاد ذات خيرات وبركات كالعراق حتى يستفيد من ميرتها وذخيرتها لجيشه لو اتضى له جيش • فلو فرض استمراره على خلاف يزيد بعد الحسين فجنده أمية يحاصره في بلاد الحجاز القاحلة بين الجبال والرمال حتى يسلم هو وجنده أو يقاتل وحده والوحيد مغلوب •

(١) كما في العقد الفريد ج ٢ ص ٣٠٦ وأرشاد المفيد ص ٦٤

## الكوفة بنظر الحسين

شاعت مبايعة العراق للحسين (ع) بالامامة ففرح اولياؤه واهل الحرمين وتفاءلوا من ذلك بعود الحق الى اهله ، عسى ان تموت البدع وتحيا السنن . لكن خاصة الحسين - بعد الاطلاع على سفر مسلم الى العراق - كانوا بين محبذ ومخطيء ويثقل الاخير عبدالله بن عباس فجاء الى الحسين (ع) يحذره من الرواح الى العراق ويذكره بخذلانهم اخاه وعصيانهم اياه في حين أنهم لم يكونوا يحلمون بامام كأبي الحسن (ع) أشرف الناس ، واذكاهم ، وافصحهم واسخاهم ، واعلمهم ، واتقاهم يلبس الخشن ويكسوهم حمله ، ويبيت طاويا وينفق عليهم مأكله ، ويكد من سعي وسقي ، ويتصدق على الفقراء . واذا شنت عليهم الغارات فهو في مقدمة المدافعين عنهم ، يخوض بنفسه حومة الوغى حتى يهزم الجمع ويولون الدبر . فأى إمام يكون لهم كعلي وكيف كافئوه واهله في حياته وبعد وفاته !؟

نعم ابن عباس كان حبر الأمة وولي الائمة رباه أمير المؤمنين (ع) وعلمه وأسر اليه من صفوة معارفه ، وكان راجح العقل والفضل والخلق ، وكان من أعز أقرانه على الحسين ، فان علياً قام في سنوات اعتزاله الخلافة بتربية غلمة في المدينة من أسرته وأحبته .

لكن الامام لم يأخذ برأي محذر اذ كان يحسب نفسه في واد والمحذر في واد . فحسين الفتوة - ونفس ابيه بين جنبيه - لا يسعه إلا أن يلبى المستغيث به ولا يطيق الصبر على محق الدين وسحق الموحدين ولو ذاق في جهاده الأمرين .

إن غاية ما كان يراه (ع) في تحذير المحذرين أن العراق لا يفي بوعدده

ولا يقوم على عهدہ ، فہب إن ذلك كذلك فما ضر الامام أن يتم الحجۃ علیہم قبل ان يتموا الحجۃ علیہ ، فان ظفر بمطلبہ من إبادۃ الظالمین فیہا ونعمت وإلا سار عنہم الی الثغور القاصیۃ حتی یفتح اللہ علیہ بالحق وهو خیر الفاتحین ، أو یأتیہ الموت فیلاقی ربہ غیر خاضع لاعدائہ •

أما رحل الحسین (ع) وفتیتہ فكانوا كلما ذکروا العراق تجلت لدیہم ذکریاتہ الحسنی ، وتذکروا حنانہ نحو الغریب وطلاوۃ الحدیث الجذاب والعواطف الرقیقۃ ، وذکروا عدوۃ مائہ وطیب ہوائہ علاوۃ علی ذکر من القوہ باکوفۃ ممن تبودات بینہ وبینہم الحقوق وانعم والعواطف والحسنات •

فکان ہذہ والتي سبقت خواطر مہمۃ أدت الی المسیر نحو العراق وقبول ما استدعاه وکیلہ الامین ( مسلم ) فی کتابہ ، غیر أن الجمیع واثقون من أن الرحیل الی العراق لو کان فانما یكون بعد فریضۃ الحج وبعد الأضحی •

## خروج الحسين من مكة

كان الحسين (ع) اوسع علماً وأقوى ديناً ممن انتقدوا عليه الخروج من مكة قبل إكمال الحج مستبدلاً حجه بعمره مفردة ليتسنى له الخروج يوم التروية<sup>(١)</sup> ومجاوزه حدود الحرم بأقرب وقت ممكن إذ صار بين جاذب ودافع تجذبه ظاهراً أبناء حجاج العراق بأن ابن زياد تأهب للخروج من البصرة نحو الكوفة ، والحسين يعرف مبلغ دهائه وريائه وقوة إقدامه وجسارته ، وانه اذا سبق الحسين (ع) الى الكوفة قلب القلوب وقطع عليه الدروب واستعمل لخدلان مسلم كل وسيلة وحيلة ، وان مسلماً بنفسيته الحربية قد تخفى عليه الحركات السياسية فلا ينجح مع ذلك الشيطان وهو رجل المروءة والايمان . فخرج الى الكوفة مسرعاً انقاداً لمسلم وللمسلمين .

واما دفاعه عن الحرم فعلمه بالمكايد المدبرة من خصومه لحصره أو اغتياله في مكة من حين تفرق الحاج منها . فيصبح إما مقتولاً او مقاتلاً وفي كلا الأمرين هتك للحرم المنوع فيه سفك الدماء ، وقد بلغت بوادر مناوآته من قدوم عمرو بن سعيد عامل يزيد قبل التروية بيوم ، وتقدمه الى الصلاة بالمسلمين ، وبثه العيون حول الحسين وحول ابن الزبير فصلى الامام وطاف وسعى وحل الاحرام ثم خرج . وبعد ما عرف عمرو بن سعيد صرخ بالناس قائلاً : « اركبوا كل بعير بين السماء والارض واطلبوا حسيناً » ولم يحتشم حرمة البلد الامين ولا النبي الامين .

بادر الحسين (ع) بمسيره قبل ان يبادر العدو الى صدّه واحصاره واغتياله ، وألجأته الضرورة الى حركة غير منتظرة وخارجة عن الحساب ، وأوجد بمسيره هذا ثورة فكرية أو جيت انتشار خبره بسرعة البرق . وحقاً

(١) وقصة خروجه المذكورة في إرشاد المفيد ص ١٩٨ .

أقول : ان الحسين (ع) مجتهد في نيته ومستفرغ كل ما في وسعه لنشر دعوته في كل عصر ومصر شحت وسائل النشر فيها ، فكان لخروجه في غير أو انه دوي يرن صدها في الداخل والخارج والناس يتساءلون عن نبأ العظيم وعن ان الحسين هل حج وخرج ؟ ولماذا ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ والى أين ؟ .

هذا والحسين (ع) يسير بموكبه الفخم وحوله أهله كهالة حول القمر كأن موكبه داعية من دعائه ، فأن الخارج يومئذ من أرض الحج والناس متوجهون الى الحج لا بد ان يستلفت الى نفسه الأنظار وان كان راكباً واحداً فكيف بركب وموكب ١٠٠ ! إنه لأمر مريب وغريب يستوقف الناظر ويستجوب كل عابر .

وهذه أيضاً عملية من شأنها شهرة أمر الامام وانتشار خبره الهام . ومن كان قادماً الى الحج واستجلب نظره الركب والموكب الفرزدق الشاعر قال : « حججت بامي في سنة ستين فيينا انا أسوق بعيرها حين دخلت الحرم إذ لقيت الحسين بن علي - عليهما السلام - خارجاً من مكة مع أسيافه وأتراسه فقلت : « لمن هذا القطار ؟ » قيل : « للحسين بن علي » فأتيته وسلمت عليه وقلت له : « اعطاك الله سؤلك بابي أنت وأمي يا بن سول الله ، ما أعجلك عن الحج ؟ » فقال : « لو لم أعجل لأخذت » ثم قال لي : « أنت ؟ » قلت : « امرؤ من العرب » فلا والله ما فتشني عن أكثر من ذلك ثم قال لي : « اخبرني عن الناس خلفك » فقلت : « من الخير سألت ، قلوب الناس معك وأسيافهم عليك والقضاء ينزل من السماء » وسألته عن أشياء من نذور ومناسك فاخبرني بها وحرك راحلته وقال : « السلام عليك » .

وكان موكب الحسين (ع) يسير في بطون الفيافي والمفاوز وقوافل القلوب تشايعة من بعد بعيد وخفيف الحاذ من عشاقه مصمم على الالتحاق بموكبه بعد أداء فريضة الحج باقرب ساعة ، لكن الامام يجد في مسراه والقمر دليل الركب ورفيقه ولما بلغ بطن عقبه لقيه شيخ من بني عكرمه فسأله . « أين تريد ؟ » فقال الامام : « الكوفة » فقال الشيخ : « أنشدك الله لما انصرفت ،

فو الله ما تقدم إلا على الأسنة وحاد السيوف ، وان هؤلاء الذين بعثوا اليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطأوا لك الاشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً» فقال له الامام : « ليس يخفى علي الرأي<sup>(١)</sup> ولكن الله تعالى لا يغلب على امره » ثم قال (ع) : « والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي ، فاذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل فرق الامم » .

---

(١) هنا حق الجواب عن اعترض على حسين الشرف : ولماذا لم يصلح يزيد كصلح الحسن (ع) معاوية فينجو بنفسه وعياله من الهلكة ؟ .  
بلي جرب آل النبي لغدر بني امية عدة مرات ولم ينجحوا ، اذ تصالح الحكمان في دومة الجندل ، وغدر ابن العاص مندوب معاوية بابي موسى الأشعري مندوب الامام (ع) وصالح سيدنا الحسن معاوية ففدته هذا في وعوده وعهوده وأخيراً دس اليه السم فقتله ، ثم جردوا ابن عمه مسلماً من سلاحه بالإيمان والعهود وسرعان ما حثوا ونكثوا وقتلوه . أفبعد هذا كله يثق حسين العلاء بعود هؤلاء أو يظن في صلحهم السلامة ؟ ومن جرب المجرم حلت به الندامة . نعم علم الحسين (ع) انه مقتول اذا بايع ومقتول اذا لم يبايع . وفي حالة خطرة كهذه لا يسوغ شرع او عقل اختيار قتلة خبيسة على قتلة شريفة ( فقتل امرئ في جانب الله افضل ) لا سيما وفي اعلانه الخلاف ظن النصرة والنجدة ومظنة ارجاع مجده واحياء شعائر شرع جده (ص) .

## ابن زياد على الكوفة

أما عبدالله بن زياد فقد ضم يزيد الكوفة اليه مع البصرة فحسب ذلك ضرباً من الرفعة لا سيما وقد أعطي سعة النفوذ والسلطة التامة العامة . فمهد أمره في البصرة وعهد بازمته الى أخيه عثمان والى أعوانه المجربين خوفاً من الدعاية فيها لابن الزبير أو الحسين (ع) وتأهب الى الكوفة ومعه شريك الحارثي من حيث لم يعلم العامة أمرهما ، وسرعان ما قدمها بكل جسارة ودخلها متتكرراً ومتلثماً وعليه عمامة سوداء يوهم الناس انه الحسين بن علي (عليهما السلام) (١) وصار من يصادفونه في خطط الكوفة وطرقاتها يزعمونه الحسين السبط فيسلمون عليه بالامامة ، ويحيونه بكل كرامة ، ويقبلون يديه ورجليه ، وهو لا يكلم أحداً فوق راحلته ، حتى بلغ قصر الامارة ، فطرق الباب على واليها المحصور النعمان بن بشير ، حتى اذا عرفه فتح الباب ودخل .

عند ذلك فشي خبره ، وأنه ابن زياد فباتت الكوفة تلك الليلة تغلي كالمرجل ، والناس بين مثبت ومثبط ، وابن زياد دخل البلدة وحده وعلى حين غرة ولم ينزل الا في مركز الحكم ، واخذ في قبضته المال والاسلاح ، ورتب في ليلته على الدوائر المهمة من لم يتجاهروا بصحبة مسلم ، وأصبح مناديه يجمع الناس لخطابته في الجامع الأعظم ، فرقى المنبر بكل جسارة - وجسارة الخطيب تعطي لكلامه قوة وتأثيراً على الاوهام - فصار يعد ويوعد لاعن الله ورسوله بل عن لسان أميره يزيد ، فبلغهم سلامه ولكن الناس لم يردوا السلام عليه أولاً حتى اخذ يطمع المطيع بمواعد حسام ويهدد مخالفه بحد الحسام - والسيف وصلت بيده - فعند ذلك رد السلام عليه نفر قليل ثم أضحى مناديه يجمع الرؤساء والعرفاء اليه لأخذ المواثيق وانجاز المواعيد وتوزيع العطايا ، ومعاقبة المتخلفين عقوبة صارمة ، فهرع لندائه خلق كثير وانقلبت القلوب وانحرفت الوجوه وتبدلت لهجات الأندية ونشرات الشيع .

(١) كما في الارشاد ص ١٨٥ .



نعم ! لا ينقضى العجب من حيبة الكوفة في نهضتها الا بعد التدبر في اسبابها وأسرارها ، إذ باغت ابن زياد الكوفيين بزي الحسين (ع) حتى استقر في دار الامارة بين حامية مستعدة ، وقد كان الواجب على أهل الكوفة بعد ما لبي الحسين دعوتهم وإرساله مسلماً وكيلاً عنه أن تجتمع أحيائها ويتحدث رؤسائها فيخرجوا عامل يزيد وحاشيته ، ويسلموا دوائرها الى وكيل الحسين (ع) ، وان يقترحوا عليه من الاعمال المهمة ما هم أدري به وأعرف ، ومسلم لم يقدم عليهم كوال مختار أو مفوض مطلق ليستقل في أعماله واعمالهم بالتصرف والمسؤولية، وانما بعثه الحسين (ع) كعمد يشرف على أمرهم ويستطلع حقيقة خبرهم . لكن الكوفيين - ياللاسف - غروا مسلماً واغتروا ، ولم يعتنوا صفاء جوهرهم وتواني عددهم الى أن دهمهم ابن زياد وفرق جمعهم بالوعد والوعيد وسكن فورتهم بالطمع والتهديد ، حتى إذا سكت الضجيج من حول مسلم نفى الرجال العاملين لمعونة مسلم من بلده ، وزج في السجن من وجوه الشيعة - امثال المختار الثقفي ، والمسيب بن نجبة ، وسليمان ، ورفاعة وغيرهم - ممن لم تؤثر عليهم التضييقات ولا اغتروا بباطل الوعد واستوظف آخرين ، ثم اختفى بعد ذلك اكثر المتهوسين في زوايا البيوت .

## مقتل مسلم وهانئ

إن مسلماً - وهو الذي بايعه أكثر من ثلاثين الف مسلم - بقي وحيداً فريداً بعد القبض على الوجوه من أوليائه ، فلاذ بصديقه هانئ - أكبر مشايخ الكوفة سناً وشأناً وبصيرة وعشيرة - إذ كان معهما فوق الثمانين وشيخ كندة أعظم ارباع الكوفة ، وكان إذا صرخ لباه ثلاثون الف سيف ، وكان هو وابوه من احبة علي (ع) وأنصاره في حروبه العراقية الثلاث .  
فأنزل هانئ مسلماً على الرحب والسعة والحفاظ حتى يفرج الله عنه ، وتظاهر هانئ بالتمارض مجاملة مع ابن زياد في عدم إجابتة لدعوته ، لكن ابن زياد يطمع في هانئ وسابقتة معه ويرى في جذب أمثاله من المنتفذين معونة كبرى لأتفاذ مقاصده .

ويروى أن هانئاً (١) اقترح على عميد آل عقيل ومندوب الحسين (مسلم) الفتك بابن زياد غيلة وغفلة لكن مسلماً لم يجب بسوى كلمة :  
« إنا أهل بيت فكره الغدر » .

كلمة كبيرة المغزى بعيدة المرمى ، فان آل علي (ع) من قوة تمسكهم بالحق والصدق نبذوا الغدر والمكر حتى لدى الضرورة ، واختاروا النصر الآجل بقوة الحق على النصر العاجل بالخديعة ، شنشنة فيهم معروفة عن أسلافهم وموروثة في أخلافهم ، كأنهم مخلوقون لاقامة حكومة الحق والفضيلة في قلوب العرفاء الأصفياء ، وقد حفظ التاريخ لهم الكراسي في القلوب .  
وبالجملة ، فقد دبر ابن مرجانة حيلة الفتك بهانئ فأحضره لديه بحجة مداولة الرأي معه في الشؤون الداخلية .

(١) كما في العقد الفريد ج ٢ ص ٣٠٦ ، ومقاتل الطالبين وتاريخ الطبري وغيرها .

غير أن هائناً بعد ما حضر لديه سر به ابن زياد ، وشتم عرضه ، وهشم  
أفه ، وقطع رأسه •

وكان لهذه الحادثة دوي في الرؤوس وفي النفوس ، واستولت بذلك  
دهشة على الجمهور أدت الى تفرق الناس من حول مسلم ، فأمسى وحيداً  
حائراً بنفسه ومييته ، واشرف في طريقه على امرأة سالحة في كندة - تسمى  
منوعة ، وهي ام ولد حازت شرف التاريخ ، إذ عرفت قيمة الفضيلة ، بينما  
قومها ضيعوا هذا الشرف الخالد وغرتهم المطامع - جالسة على باب دارها  
فاستسقاها ماء فجاءته به وشرب ثم وقف يطيل النظر الى مبدء الشارع تارة  
والى منفضه أخرى - كأنه يتوقف من يتلطفه - فتوسمت المرأة فيه غربته  
وسألته فقال : « نعم أنا مسلم بن عقيل ، خذلني هؤلاء » فاستعظمت طوعة  
ذلك ودعته الى بيتها لتخفيه حتى الصباح ، وفرشت له في بيتها وعرضت عليه  
العشاء فلم يأكل ، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها وقد كان مع الغوغاء ،  
فأوهمه تردد أمه الى البيت وقال لأمه : « والله ليرينى كثرة دخولك هذا  
البيت » ثم ألح عليها فأخذت عليه العهد كسي لا يفشى سرها وسر مندوب  
الحسين (ع) وأخبرته بالامر بعد الايمان ، ثم إن الغلام غدا عند الصباح الى  
ابن الاشعث وأفشى له سر مسلم ومييته ، فأبلغ بذلك ابن زياد فأرسل  
الجموع للقبض عليه •

بلى ! إن أبطال صادقين كبني هاشم إن تأخروا في ميدان السياسة  
والخداع فلهم قصب السبق في ميادين العلم والدين والجود والشرف  
ومقارعة الكتاب •

وكان ندب بني هاشم يتلو القرآن دبر صلاته إذ سمع وقع حوافر  
الخيال وهممة الفرسان ، فأوحت اليه نفسه بدنو الأجل ، فبرز ليث بنى عقيل  
من عرينه مستقبلاً باب الدار والعسكر - وعليهم محمد بن الأشعث -  
واتتهى أمر المتقابلين الى النزال ونزيل الكوفة راجل وهم فرسان ، لكن فحل  
بني عقيل شد عليهم شد الضرغام على الانعام وهم يولونه الأدبار ،  
ويستجدون بالحاميات ، وقذائف النار ترمى عليه من السطوح •

اضطر ابن الأشعث الى وعده مسلماً بالامان إذا ألقى سلاحه فقال :  
« لا أمان لكم » وبعد ما كرروا عليه رأى التسليم فريضة محافظة للنفس  
وحققنا للدماء فسلم اليهم نفسه وسلاحه ثم استولوا عليه فعرف انه مخدوع  
فندم ولات حين مندم .

ولما أدخلوه على ابن زياد هم يسلم عليه بالامرة فقال له الحرس : « الا  
تسلم على الامير » فقال : « إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه ؟! » فقال له  
ابن زياد : « لعمرى لتقتلن » قال : « فدعني أوصي بعض قومي » قال :  
« افعل » .

فنظر مسلم الى جلساء عبيدالله وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص فقال :  
« يا عمر ان بيني وبينك قرابة ولي اليك حاجة وهي سر » فامتنع عمر أن  
يسمع منه . فقال له عبيدالله : « لم تمتع أن تنظر في حاجة ابن عمك ؟ »  
فقام معه فجلس حيث ينظر اليهما ابن زياد فقال له : « إن علي بالكوفة دينا  
استدته منذ قدمت الكوفة وهي سبعمائة درهم ، فبع سيفي ودرعي فاقضها  
عني ، وإذا قتلت فاستوهب جثتي من ابن زياد فوارها ، وابعث الى الحسين  
(ع) من يرده ، فاني قد كتبت اليه وأعلمته أن الناس معه ، ولا أراه إلا مقبلاً ،  
ومعه تسعون إنساناً بين رجل وامرأة وطفل » .

فقال عمر لابن زياد : « أتدري أيها الأمير ما قال لي ؟ » فقال له ابن  
زياد : « أكنتم على ابن عمك » قال . « هو أعظم من ذلك ، ، إنه ذكر كذا  
وكذا » فقال له ابن زياد : « إنه لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن .  
أما ماله فهو له ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت ، وأما جثته فانا لا نبالي  
إذا قتلناه مما صنع بها ، وأما الحسين فان هو لم يردنا لم نرده » ثم قال لعمر  
ابن سعد : « اما والله اذ دلت عليه لا يقاتله أحد غيرك » .

ثم أقبل ابن زياد على مسلم يشتمه ويشتم الحسين وعليا وعقيلاً ومسلم  
لا يكلمه ، ثم قال ابن زياد : « اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه ثم  
أتبعوه جسده » فصعدوا به وهو يكبر ويستغفر الله ويصلي على رسوله  
ويقول : « اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا » فضربت عنقه واتبع

كان مقتل مسلم يوم الأربعاء لتسع مضي من ذي الحجة - يوم عرفة -  
سنة ستين من الهجرة وقد كان خروجه في الكوفة يوم الثلاثاء ثامن ذي  
الحجة - يوم التروية - وهو اليوم الذي قتل فيه هانيء ويوم خرج فيه  
الحسين (ع) من مكة يقصد الكوفة مليا دعوتها •

أجل : قتل مسلم وقتل به أمل كل مسلم وأسقطوا بجسمه من أعلا  
القصر - سقوط الجسم لا سقوط الاسم - •

هذا ، وعيون الناس ترى هائثا في السوق وابن عقيل ، وما جثة الرجلين  
بذلك المنظر الفظيع إلا آية انحراف الحزب السفيناني عن سنن الدين ، وموعظة  
موقظة للعاقبين ، وفي ذلك عبرة لمن يعتبر ، وفي كوفة الخذلان ما أكثر العبر  
وأقل الاعتبار •

## حالة الحسين بعد مقتل مسلم

روى عبدالله بن سليمان والمنذر بن المشعل الأسديان قالا :

لما قضينا حجبنا لم تكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين (ع) في الطريق ،  
لننظر ما يكون من أمره ، فأقبلنا ترفل بنا ناقتانا مسرعين حتى لحقناه بزود ،  
فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى  
الحسين ، فوقف الحسين (ع) كأنه يريد ، ثم تركه ومضى . فقال أحدنا  
لصاحبه : (إذهب بنا الى هذا لسأله ، فان عنده خبر الكوفة ) فمضينا حتى  
اتهمنا اليه فقلنا : (السلام عليك) فقال: (وعليكم السلام) قلنا «من الرجل؟»  
قال : (أسدي) قلنا له : (ونحن أسديان ، فمن انت ؟) قال : «انا بكر بن  
فلان» واتسب واتسبنا ثم قلنا له : ( اخبرنا عن الناس وراءك ) قال : (نعم  
لم اخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة ، ورأيتهما  
يجران من أرجلهما في السوق ) فأقبلنا حتى لحقنا الحسين فسايرناه حتى نزل  
الثعلبية ممسيا فجنناه حين نزل ، فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا له :  
(رحمك الله إن عندنا خبراً إن شئت حدثناك علانية وان شئت سرا) فنظر  
الينا والى أصحابه ثم قال : ( ما دون هؤلاء سر) فقلنا له : ( رأيت الراكب  
الذي استقبلته عشية أمس ؟) قال : ( نعم ، وقد أردت مسأله) فقلنا : قد  
والله استبرأنا لك خبره وكفيناك مسأله ، وهو امرؤ منا ذو رأي وصدق  
وعقل ، وانه حدثنا انه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم وهانيء ، ورأهما  
يجران في السوق بأرجلهما ) فقال : (إنا لله وإنا اليه راجعون ، رحمة الله  
عليهما ) يردد ذلك مرارا . فقلنا له : ( ننشذك الله في نفسك وأهل بيتك الا  
انصرفت من مكانك هذا ، فانه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة ، بل  
تتخوف أن تكون عليك ) .

فنظر الى بني عقيل فقال . - ر - رون ؟ فقد قتل مسلم ) فقالوا : ( والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا او نذوق ما ذاق ) فأقبل علينا الحسين (ع) وقال :  
( لا خير في العيش بعد هؤلاء ) فعلمنا أنه قد عزم رأيه على المسير<sup>(١)</sup> .

سمع الحسين (ع) حوالي (زرود) نعي عميد بيته ولكنه لم يتحول عن نيته ، ولا غير وضعيته مع صحبه وأهله ، ولا أبدى من مظاهر الحزن سوى الاسترجاع ، وأخفى كل حزنه في أعماق قلبه ، لان العيون لدى الشدائد شاخصة إلى الزعيم ، فان بدا عليه لائحة حزن عم الغم اجبائه ، وتوهم كل منهم ما شاء الله أن يتوهم ، وارتبك على الزعيم أمر نظمه وحكمه . غير أن حسيناً دخل خياه وطلب طفلة مسلم واجلسها في حجره يسح على رأسها بيده يسلي بها نفسه ويسئها بذلك .

نعم ! حس الجميع وفي مقدمتهم الحسين (ع) بالانكسار النهائي بعد ما جرى على مسلم وتبدل حالة الكوفة . وكانت هي المطمع الوحيد لصحب الحسين (ع) والملجأ الحصين لرحله وأهله ، فاذا كانت آمال الحسين معقودة على الكوفة وقد انقلبت هي عليه وقتلت معتمد الحسين فما معنى التوجه إليها ؟ وأي اعتماد بقي عليها ؟ لكن ثبات الحسين على سيرته ومسراه ضرب على هذه الاوهام وصانها من التفرق .

وشبل علي (ع) يرى في توجهه الى الكوفة - بعد كل ذلك - ابلاغ الحجة ، والاعلام بأنه أجاب دعوتهم ولبي صرختهم ، وانه لم ينحرف عن نصرته وقتلهم مبعوثه مع شيعته - فان الامام يعامل الامة دون الاشخاص والشخصيات ، وهو يأمل مع ذلك في مسلكه التحاق الانصار ، وتليية الامصار ، وانقلاب حالة الكوفة كرة أخرى .

ولما شاع نعي مسلم في ركب الحسين (ع) وانقلاب الكوفة ضده بعد أن كانت المطمع الوحيد لتحقيق آمال أهله وصحبه ، لا سيما بعد

(١) الارشاد ص ٢٠١ وغيره .

ما خطب فيهم الامام وحل عنهم البيعة والذمام صار كثير من ذوي الطمع وذباب  
المجتمع يتفرون عنه سراً وجهاراً ليلاً ونهاراً ، وسلموا ولي نعمتهم حين  
النوثة ، وخذلوه عند النكبة ، بعد ما كانوا يضيّقون فسيح خوانه  
حتى على أخوانه .

لا ضير ! فان خف رحل الحسين (ع) من القش وذوي الغش فقد  
ملا فراغهم ابطال صدق ممن عشقوا الحسين (ع) فالتحقوا به لا خوفاً من  
رجاله ولا طمعا في ماله ، بل وجدوا من اختار نفسه وتقيسه فداءً للإسلام  
فقدوه بكل ما عز وهان .



## مقابلة أئمة الكوفة للامام

بعد ما تمكن ابن زياد من ابطال الحركة الحسينية في داخلية الكوفة، واستأصل جذورها، وباد بذورها بالوعد والوعيد والسجن والتباعد والفتك والهتك والتخويف والتوظيف واستعماله السيف والرغيف ومزاج الضرب بالضرب، واطمأن من داخلية الكوفة، وكسب الامنية التامة عمد الى الخارج وتمسك بالوسائل الفعالة ضد الحسين (ع) حينما استخبر نزوله في ذات عرق ودخوله العراق - وبابه القادسية (الرجبة) - فأرسل اليها جيشا عليه الحسين بن نمير - صاحب شرطة عبدالله في الكوفة - ليقطع على القادمين من الحجاز طريقهم، ويؤمن الضواحي والنواحي من الغارات والثورات، ويحفظ خطوط المواصلات بين الكوفة والشام. فأمر ان تؤخذ الطرق بينها وبين واقصة الى البصرة فلا يدعون احدا يخرج، وحصرها بنطاق جيشه الى جذعان (خفان) من جهة والى الققطائية من الاخرى، فاحتلها حصين بجيشه وحصنها. ثم ارسل الى العيون والآبار التي على طول طريق الحجاز مفرزة من العسكر، اذ القوافل مهما حادت في مسيرها عن الطريق المعروفة فهي مضطرة الى النزول على الآبار والعيون سقيا للراحلة او ترويحاً للسابلة.

وكان ممن ارسله الى حراسة البر الحر بن يزيد الرياحي، وقد تلقى ركب الحسين (ع) بعد وصوله الى اشراف امره بالتزود من مائها فوق قدر الحاجة بكثير ولم يعرفوا سر ذلك، حتى اذا بلغوا ذي حسم كبر رجل من اصحابه تكبيراً الاعجاب زاعماً انه رأى نخيل الكوفة، وبعد ان اجتمعوا على استبعاد رأيه وتحققوا علموا انها رؤوس رماح وطليعة كفاح، فتحيز الحسين (ع) برحله الى هضاب ذي حسم قائلاً: «نحط بالرحل وراءه لنلق القوم من وجه واحد».

واخذ الحسين الاحتياطات الحربية ليلوذ رحله بالهضاب فيدفع الرماح من فوقها تأميناً لخطة الدفاع عن النواميس بكل معانيها ، وما لبثوا حتى اسفرت الآثار عن الحرب بن يزيد الرياحي ومعه الف فارس ارسلته القيادة العامة الاموية لحراسة البر ، ولكي يقطعوا على الحسين ( ع ) طريقه اينما صادفوه ثم لا يفارقونه الى ان يأتوا به الى اقرب مركز للحكومة حتى اذا اطأنا من مسالته ومبايعته ادخلوه على ابن زياد .

اما الحر واصحابه فقبل ان يظهروا مهمتهم اظهروا بلسان الحال والمقال عطشهم المفرط ، وانهم من طول جولاتهم في البر والحر حيث لا ماء ولا كلاء ، وقد اشرفوا على العطب فأمر حسين الفتوة فتياهن وغلماناه بسقاية الاعداء وارواء خيهم<sup>(١)</sup> .

فعرف عندئذ صحب الحسين ( ع ) سر استعداده بالماء ليوم سماح و كفاح ، ولما استعبد الحر بالبر - وبالبر يستعبد الحر - سأله عن غايته ، فأجاب على استحياء بانه مرسل اليه ليوفده على ابن زياد . ولما قال له الحسين : « قم الى اصحابك فصل بهم ونحن نصلي مع اصحابنا » اجابه الحر : « بل تقدم الى الصلاة يا ابن رسول الله ونحن نصلي بصلاتك » كأنه يذكر الحاضرين ان الحسين ( ع ) امام حق وابن امام ، وان صلاة غيره بصلاته تصح وبصلاته تقام .

ثم ان الحسين ( ع ) لم يسمعه - بعد ان رأى من كتبوا اليه كتائب عليه - الا الذكرى والاحتجاج ، فقال : « يا أهل الكوفة ! انكم كتبتم الي ودعوتموني الى العراق لانقاذكم من سلطة الجور والفجور ، فجتكم مليا دعوتكم فان كنتم قد تغيرتم عما كنتم عليه فاتركوني ارجع ممن حيث اتيت » .

قال هذا واخرج لهم الكتب اعتمادا على شهامة الحر - وصدور الاحرار قبور الاسرار - ولاتمام الحجة على الحاضرين من اصحابه فأعترض الحر بانه ليس ممن كتب اليه .

(١) في الارشاد ص ٢٠٣ والطبري وغيرها .

ولا تنسى ان الحر هاجت عليه في ذلك الموقف الرهيب افكار  
متضاربة لم تسمح له الظروف الحاضرة ان يختار منها سوى طريقة وسطى  
عرضها على الامام ، وهي : ان يسلك من فجاج البر سبيلا وسطا لا يؤدي  
الى الشام ولا يدخله الكوفة حتى يكون بذلك نجات الطرفين . فاستحسنه  
الحسين (ع) لانه يريد الاتقاء من شر الاشرار دون ان يبلغ احدا بسوء ،  
وظن الحر لنفسه في ذلك مناصا من مظلمة ايداء العترة النبوية ، ومقنعا  
لامراء امية ، فيدفع عن عراقهم نهضة الحسين (ع) وازاحهم منها  
بدون سفك مهج ، ولا خوض لجج . فكتب بعد نزوله ( اقساس ) مالك  
كتابا الى ابن زياد يتضمن الرأي والرواية .

## الكوفة نقاد الى الحرب

خضعت الكوفة لدهاء ابن زياد بعد مقتل مسلم ، وانقادت اليه احيائها ورؤسائها ، وذلك صعبا تديلا لكنه لم يزل قلق البال لعلمه بمبلغ تأثير الدعوة الحسينية في المجامع والمسامع وماله في العراق من سابقة ولاء واولياء . وكان ابن زياد محنكا قد درس هو وابوه حالة العراق الروحية وسرعة انقلاب هوائه واهوائه ، وان لابنائهم قائمة وقائمة ، كم اغترت بهما اولياء الامور والساسة ، فجأئز ان يأتيها الحسين (ع) بجنود لا قبل له بها ، او يتمركز بالقادسية فتلتف حوله قبائل بادية الشام وعشائر انقرات - ما بين الكوفة والبصرة - او يحدث من اقترابه دوي ينعكس صداه في داخل الكوفة فيستفز الحسيات والنفسيات فيثورون عليه ويستخرجون من سجونه وجوه الشيعة ورؤوس القبائل ، فلا يسمي ابن زياد الا قتيل او اسيرا .

وعلى اي يتهدم كل ما بناه ولا يعود عليه التسامح الا بالخران وعليه اندفع ابن زياد بجميع قواه الى تأمين الخارج بعد تعزيز الامن في الداخل وتحشيد الكوفيين لمحاربة الحسين (ع) ، فبادر الى احتلال القادسية قبل ان يسبقه اليها الحسين والنقاط المهمة في الحدود على خطوط سابلة الحجاز ، وما لبث ان ورد عليه كتاب الحر الرياحي واتته البشائر تترى على ان الحسين (ع) ورد وابعده عن حدود الكوفة الى جهة الشمال الغربي مسافة قاصية هو ونفر قليل من خاصته ، بحيث لا يعود من الممكن ان يهيم على ضواحي الكوفة فضلا عما بينه وبين البصرة ، وان جيش الحر الرياحي أصبح يراقبه في المسير وهو كاف لصدده او رده .

بات ابن زياد ليلته هاديء الببال ، وكتب بذلك كله الى يزيد  
لتأمين خواطر الهيئة المركزية ، والمبادرة بتسجيل خدماته عند سلطانه .  
وكأني به قد نبه على ميلان الحر وصلاته بجيشه مع الحسين (ع) وقال ابن  
رسول الله جذاب النفوس بهديه ومستملك القلوب بحديثه ، فلا يبعد  
ان يعلن الحر في صحبته ولاءه وانضمامه اليه ، ويسري نبأ تمرده في امثاله  
من اركان القيادة العسكرية ، ويتسع الخرق على الراقع ، او يتمركز  
الحسين في الانبار فيحصر على ابن زياد الميرة والذخيرة ، ولا يسع ابن زياد  
الميرة والذخيرة ، ولا يسع ابن زياد ان يحاصره بسبب شكل النهر ،  
وموالاته عشائر البر ، وقربه من مدائن كسرى .

واينما حل سبط الرسول (ص) ناشرا دعوته الصالحة - سواء  
العراق وايران - فانها تصادف انتشارا ولا تعدم انصارا . فوثب ابن زياد  
بيث المواعيد ثانية ويوزع الاموال بين العشائر والاكابر ليؤلف منها  
اجنادا وقوادا .

## ولاية ابن سعد وقيادته

كان التخوف من تسرب الدعوة الحسينية الى وراء الفرات وحلود العجم لا يقصر عن التخوف من قدومه الكوفة ، لان القطرين العراقي والفارسي بينهما علائق متواصلة ومصالح متبادلة . حتى لقد كان اعزاز عمر بن سعد الى حرب الحسين (ع) مع ترشحه لولاية الري بعض فصول هذه الرواية المحزنة ، فان ولاية ايران لا تكاد تستقر لابن سعد والحسين (ع) متوجه اليها بدعوة نافعة وحجة بالغة وعائلة من لحمه النبي (ص) وبين الحسين وبين الفرس مصاهرة في العائلة المالكة المنقرضة .

وكل هذه عوامل قوية لنفوذ الدعوة الحسينية في بلاد كسرى ، فلم يجد والي العراقين سبيلا الى اماتة هذه الظنون خيرا من ترشيح عمر بن سعد لولاية الري ، وقد كان ابوه سعد بن ابي وقاص من قواد جيشها الفاتح ، فلهم من شهرته كل الرعب وله تمام الرغبة فيهم ، اذ كانت ولاية جمة المنافع متنوعة المطامع ، وظاهر ان ولايتها يومئذ كانت ذات صلة قوية بايقاف الحركة الحسينية ليتسنى لواليها حرية الادارة والارادة لذلك لما رأى من ابن سعد تزلفا اليه والى يزيد ، ونقمه على نهضة الحسين (ع) يوم كتب الى يزيد بقون امر مسلم في الكوفة ، ويوم افشى الى ابن زياد سر ابن عقيل في وصيته البه اقنع ابن زياد عمر بأخذ التدابير اللازمة لاختضاع نحسين الشرف قبل التوجه الى مهمته الاولى في ايران .

نعم ! وجد ابن زياد عمر اصلح الناس لاختضاع الحسين (ع) سواء بغرض الاختضاع او الاقناع ، اذ كان يومئذ امس الكوفيين رحما بالحسين (ع) وعليه مسحة شرف من قريش ونسبة الى الحرمين ، فسرجه لمقابلة الامام خداعا واستظماما . - واكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع - .

اما ابن سعد فقد استمهل ابن زياد ليلته ليفكر مستعظما اقدامه الى  
مقابلة الحسين (ع) لئلمه ان الحسين داعية حق ، وانه كأييه علي (ع)  
أفضل من ان يخدع واعقل من ان يخدع ولا يسع ابن سعد اذا قابله  
ان يقاتله ، بل يقضي عليه واجبه الديني والرحمي ان ينضم اليه ويقاتل  
خصومه بيس يديه ، غير ان له في ملك الري قرّة عين ، وبهجة نفس ، وراحة  
عائلة ، وتأمين مستقبل مديد فبات قلقا ارقا بين جاذب ودافع ، يجيل فكرته  
بين المضار والمنافع ، ويردد ابياته المعروفة :

فوالله ما ادري واني لحائر	افكر في أمري على خطرين
أتترك ملك الري والري منيتي	م ارجع مأثوما بقتل حسين
حسين ابن عمي والحوادث جنة	لعمري ولي في الري قرّة عين
وان إله العرش يغفر زنتي	ولو كنت فيها اظلم اثقلين
الا انما الدنيا بخير معجل	وما عقل باع الوجود بدين
يقولون ان الله خالق جنة	ونار وتعذيب وغل يدين
فان صدقوا فيما يقولون اني	أتوب الى الرحمن من سنتين
وان كذبوا فزنا بدنيا عظيمة	وملك عقيم دائم الحجلين

وكان خاطره الاخير حدثه بانه : ان اظهر على الحسين (ع) فيها ، والا  
فحسين الفتوة اكرم من ان يعاقبه او ينتقم منه .

وبالجملة ، فتم يشعر بنفسه الا قائدا جيشا كثيفا الى حرب الحسين (ع)  
في نينوى ، إذ بها يلتقى الخط العراقي الايراني بالخط العراقي الحجازي  
وهي المرحلة المشرفة على نقطة الانبار ، فبلغه نزول الحسين (ع) بكر بلاء  
قبله بيوم ولد مع قائد المفزة الحر الرياحي .

## منزل الحسين بكر بلا

ان عوامل اليأس التي تبعت نعي مسلم وسوء صنيع الكوفة به لم تؤثر في عزيزه الحسين (ع) ، ولا ما بلغه من فاحش فعلهم برسوليه عبدالله ابن يقطر وقيس بن مصهر الصيدائي ، ولا ما رآه في ملتقاه بجيش الحر ، لان داعي الحق لا يقنط من روح الله . ولكننا جيش الكوفة هو الذي صده عنها وعن كل آماله فيها فسلك ركبته وموكبه سيلا وسطا لا يدرون الغاية ولا يعرفون النهاية . الحر يساير الامام كي يخرج عن حدود اميره حتى يعود اليه ببشارة تؤمن باله وتطمئن خياله .

ويخيل للمناظر في الحركة الحسينية ان في خلد الامام ان يعبر الفرات الى الانبار والمدائن عسى ان يجد لدعوته انصارا وشيعة وبيئة وسيعة ، فيبناهم والحر في تيامن وتياسر اذ لحقهم راكب متكب قوسه فسلم على الحر واصحابه ودفع اليه كتاب ابن زياد ، فقرأه الحر على الحسين (ع) واذا فيه : ( اما بعد فجمعج بالحسين حين يبلغك كتابي هذا ، ولا تتركه الا بالعراء في غير خضر وعلى غير ماء ) .

فعرضوا عليه النزول فسأل الحسين (ع) عن اسم الارض فقيل : ( كربلا ) فقا : ( نعوذ بالله من الكرب والبلاء ، هل لها اسم غير هذا ؟ ) فقيل له : ( العقر ) فقال : ( نعوذ بالله من العقر ، ما شاء الله كائن ) ثم قال للحر : ( دعنا ننزل في هذه القرية - يعني نينوى - او هزه - يعني الغاضرية - ، او هذه - يعني الشفئية - ) فقال الحر : ( هذا رجل قد بعث الي عينا علي ) فقال زهير بن القين : ( اني والله لا ارى ان يكون بعد الذي ترون الا اشد مما ترون ، وان قتال هؤلاء القوم الساعة اهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم ، فلعمري ليأتينا من بعدهم مالا قبل لنا به ) فقال الحسين (ع) : ( ما كنت لا بدأهم بالقتال ) ثم نزل وذلك يوم الخميس ثاني محرم .



## جغرافية كربلاء القديمة

ان لهذا البحث صلة قوية بوضوح مقتل الحسين (ع) وحوادثه التاريخية . واستيفاء هذا البحث يكلف صاحبه ، اذ لا يجده المنافع الوافية بالتفاصيل الجغرافية عن كربلاء القديمة في ايام قتل الحسين (ع) . واني اجتزيت في اداء هذا الواجب بالممكن ، فحسب ما افننه .

ان كربلاء اسم قديم مأثور في حديث الحسين وايه وجده - عليهم السلام - ومفسر بالكرب والبلاء ، وان كربلاء منحوتة من كلمة ( كور بابل ) العربية بمعنى مجموعة قرى بابلية منها نينوى القريبة من اراضي سدة الهندية ، ثم الغاضرية - وتسمى اليوم اراضي الحسينية - ، ثم كربلاء - بتفخيم اللام بعدها هاء - وتقرب اليوم من مدينة كربلاء جنوبا وشرقا ثم كربلاء او عقر بابل وهي قريه من الشمال الغربي من الغاضريات وباطلالها آثار باقية ، ثم النواويس<sup>(١)</sup> وكانت مقبرة عامة قبل الفتح الاسلامي ، ثم الحير ويسمى ( الحائر ) وهو اليوم موضع قبر الحسين (ع) الى حدود رواق روضته المشرفة او حدود الصحن . وكان لهذا الحائر وهدة فسيحة محدودة بسلسلة تلال ممدودة<sup>(٢)</sup> وربوات تبدأ من الشمال الشرقي

(١) « النواويس » جمع ناووس ، وهو ظرف من خزف او من خشب . كان البابليون يضعون موتاهم فيها، ثم يدفنونها، والنواويس مقبرة في كور بابل. وقد جاء في خطبة الحسين (ع) المروية في الارشاد: « وكاني باوصالي تقطعها غسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء ... الخ » .

(٢) ويستنبط شكل الحائر على هذه الوضعية مما ثبت في تاريخ المتوكل العباسي عندما اجري الماء على قبر الحسين لمحو مزاره وآثاره ، فحار واستدار حول القبر والماء بطبعه يجري على الارض المنخفضة . وجوانب الحائر كانت ولا تزال نواشر لا يعلوها الماء غير الجانب الشرقي مما يلي نهر الفرات يومئذ ، حيث كان الفيضان يشكل فيه من المشرعة احوارا واجاما، ثم يعود طفا ايام الفيضان.

متصلة بموضع باب السدرة في الشمال وهكذا إلى موضع الباب الزينبي من جهة الغرب ، ثم تنزل إلى موضع الباب القبلي في جهة الجنوب ، وكانت هذه التلال المتقاربة تشكل للناظرين نصف دائرة مدخلها الجهة الشرقية حيث يتوجه منها الزائر إلى مثنوى سيدنا العباس بن علي - عليهما السلام - ويجد المنتقبون في اعماق البيوت المحدقة بقبر الحسين ( ع ) آثار ارتفاعها القديم في اراضي جهات الشمال والغرب ، ولا يجدون في الجهة الشرقية سوى تربة رخوة واطئة ، الامر الذي يرشدنا إلى وضعية هذه البقعة واما كانت في عصرها القديم واطئة من جهة الشرق<sup>(١)</sup> وراية من جهتي الشمال والغرب على شكل هلال ، وفي هذه الدائرة الهلالية حوصر ابن الزهراء ( ع ) في حربه حين قتل كما سيأتي :

واما نهر الفرات فكان عموده الكبير ينحدر من اعاليه يسقي القرى إلى ضواحي الكوفة ، وكذلك ينشق من عمود النهر ( الشط ) من شمالي المسيب نهر كفرع منه يسيل على بطاح ووهاد شمالي شرقي كربلاء حتى ينتهي إلى قرب مثنوى سيدنا العباس - رضى الله تعالى عنه تم إلى نواحي الهندية ، ثم ينحدر فيقترب بعمود الفرات في شمال غربي قرية ذي الكفل ويسمى حتى اليوم العلقمي ، وكان هذا الفرات الصغير من صدره إلى مصبه يسمى العلقمي . والطف اسم عام لاراضي تنحسر عنها مياه النهر وسميت حوالي نهر العلقمي البارزة من شواطئه طفا لذلك ، وسببت حادثة الحسين ( ع ) فيه بواقعة الطف .

(١) ويؤيد هذا ما رواه جعفر بن قولويه في كامل الزيارة، وشيخه الكليني في الكافي ، والمجلسي في مزار البحار ص ١٤٥ عن الامام الصادق جعفر بن محمد (ع) : « أن زائر الحسين يفتسل على نهر الفرات ويدخل من الجانب الشرقي إلى القبر الخ » .

## الامام مصدود محصور

حل حرم الحسين (ع) حدود كربلاء في ثاني محرم سنة ٦١ هـ ،  
وانزل في بقعة منها جرداء بعيدة عن الماء والكلاء ، وصار معسكره زاوية  
مثلث يقابله جيش الحر في الغاضريات وجيش ابن سعد في نينوى . وكان  
الحر يرى مهمته المراقبة على مسير الحسين (ع) فقط غير مهتم في اخضاعه  
ولا في اقناعه ولا في ارجاعه ، حتى وافاه عمر بن سعد مهتما في اقناعه  
واخضاعه ، فصار هو والحسين (ع) يتبادلان الرأي والرسل ابتغاء الوصول  
الى حل مرضي .

وكلف ابن سعد من بين حاشيته رجالا لمواجهة الامام فأبوا  
معتذرين انهم ممن كتبوا اليه يدعونه ، فعم يتساءلون ؟ فارسل ابن  
سعد الى ابن الرسول (ص) رسوله الحنظلي ، فجاء الى الامام وسأله على  
لسان اميره عن موقفه ومسيره فأجابه الحسين : « قد كتب الي اهل  
مصر كم يدعونني اليهم ، اما اذا كرهتم ذلك فانا انصرف عنكم » قال  
حبيب بن مظاهر للرسول - وهو من اخواله - : « ويحك يا قرّة عين  
نرجع الى القوم الظالمين ؟ انصر هذا الرجل الذي بآبائه ايدك الله بالكرامة »  
فقال له الحنظلي : « ارجع الى صاحبي بجواب رسالته وارى رأيي » ثم  
انصرف الى عمر بن سعد واخبره الخبر ، فقال عمر : « ارجو ان يعافيني  
الله من حربته وقتاله » ثم كتب الى ابن زياد ما جرى بينه وبين الحسين (ع)  
وان الامام مستعد للانصراف عن العراق وعن كل امل فيه .

قال حسان العباسي : كنت عند ابن زياد حينما جاءه هذا الكتاب  
وقراه فقال :

الآن اذ علمت مخالفتنا به يرجو النجاة ولات حين مناص<sup>(١)</sup>

ثم اجتمع الحسين (ع) بعمر بن سعد تحريامنه للسلم واحتراما للدماء فتناجيا طويلا فكتب هذا إلى ابن زياد :

( اما بعد ، فان الله قد اطفى النائرة ، وجمع الكلمة ، واصلح امر الامة ، هذا حسين قد اعطاني عهدا ان يرجع الى المكان الذي أتمى منه أو يسير الى ثغر من الثغور ، فيكون رجلا من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم » .

ولما تلاه ابن زياد قال : « هذا كتاب ناصح مشفق على قومه » يعني على قريش ، فقام شمر بن ذي الجوشن قائلا : « اتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك ؟ والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن اولى بالقوة ولتكونن اولى بالضعف والعجز ، فلا تعطه هذه المنزلة ، فانها من الوهن ، ولكن لينزل على حكمك هو واصحابه ، فان عاقبت فأنت اولى بالعقوبة وان عفوت كان ذلك لك » . فلما رأى ابن زياد في شمر التجاء إلى قوته وتحزبا لحكومته واستخفافا بعدوه الحسين وعصبته قال له : « نعم ما رأيت والرأي رأيك ، اخرج بكتابي الى ابن سعد فان اطاعني فأطعه والا فانت امير الجيش واضرب عنقه » وكتب الى عمر كتابا يقول فيه : « اني لم ابعثك الى الحسين شفيعا ، ولا لتميئه السلامة ، ولا لتعتذر عنه . فان نزل هو واصحابه على حكمي فابعث بهم الي والى فازحف عليهم واقتلهم ومثل بهم ، فانهم بذلك مستحقون . وان قتلت حسينا فأوطىء الخيل صدره وظهره ، فانه عاق ظلموم ، ولست ارى ان هذا يضر بعد الموت شيئا ولكن على قول قد قلته » .

(١) وفي الارشاد فكتب الى ابن سعد « اما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فاعرض على الحسين ان يبايع ليزيد هو وجميع اصحابه فاذا هو فعل ذلك رأينا رأينا والسلام » فلما ورد الجواب على ابن سعد قال قد خشيت ان لا يقبل ابن زياد العاقبة وورد كتاب ابن زياد في الاثر الى ابن سعد « ان حل بين الحسين (ع) واصحابه وبين الماء فلا يدوقوا منه قطرة كما صنع بالتقي الزكي عثمان بن عفان » .

جاء شمر بكتابه الى ابن سعد - والرجل السوء يأتي بالخبر السوء -  
فلما قرأ ابن سعد كتاب اميره وتلقى اسوأ التعاليم من نذيره تغير وجهه  
وقال : « لعنك الله يا شمر ، لقد افسدت علينا امرا كنا نرجو اصلاحه »  
لكنما ابن سعد بعد ما حسب شمرا رقيبا عليه ومهددا له تجاهر اذ ذاك  
بلزوم اخضاع حسين العلاء ، فتبدلت منه لهجته وفكرته وهيئته ، فانتقل  
بجنوده الى مقربة من الحسين (ع) وثلت جبهات الحرب فصار هو في القلب  
بين الحيرة والنهر لصد الحسين من عبور النهر ومن الورود منه ، فاذا  
وتجد الحسين (ع) سبل سيره مقطوعة ومشارع وروده ممنوعة اضطر  
الى النزال معهم ا والنزول على حكمهم وهم واثقون من الغلبة عليه في  
الحيالين •

ولما رأى الامام ذلك علم انه مقتول لا محالة اذ هو نازل بالعراء  
في منطقة جرداء لا ماء فيها ولا كلاء ، فان انتظر قدوم الانصار من اقاصي  
الامصار هلكت صبيته وماشيته وتفرقت حاشيته ، ولقي من الجوع  
والعطش اشد مما يلقاه من عدوه ، وان خضع للقوم وبايع امية فقد باع  
الامة والشريعة بعد ما انعقدت فيه الامال ، وان بدأ بحربهم خالف خطته  
الدفاعية حين لا مأمل في الانتصار عليهم في ظاهر الحال - والحر ان لم  
يستطع ان يعبش عزيزا فاحرى به ان يموت كريما ••

## الحسين مستميت ومستميت من معه

في مكارم الاخلاق تتلأأ خلة التضحية تلالأ القمر البازغ بين النجوم الزواهر ، فاذا شوهد في امرء شعور التضحية اكنفى الناس بها عن اي مكرمة فيه او اية مأثرة له . ولا عجب ، فان الصدق اذا عداصل الفضائل فان شعور التضحية هو من اجل مظاهر الصدق والمستميت يبيت مع نفسه كل شبهة وشائبة من سمعة أو رياء أو مكر أو دهاء .

اذا فشعور شريف كهذا ينجم في تربة الصدق ويستقى بماء الاخلاص لا بد وان يثمر لاهل الحق بالخير الخالد ، واذا كان الموت ضربة لازب لا مهرب منه ولا محيد عنه فاشتر بهذا العمر القصير نفعا عاما وخيرا خالدا . هي هي والله صفقة رابحة وتجارة لن تبور ، فخير الموز الفداء ، وافضل الاضاحي من امانت هيكله البائد لا حياء تقع خالد .

كذلك الشهداء في سبيل اصلاح الامة او تحريرها من اسر الظالمين ، وسيد هؤلاء الشهداء الحسين بن علي ( ع ) الذي احى - هو والذي معه - مجد هاشم ، ودين محمد (ص) ، ومعارف القرآن، وشعائر الاسلام ، واخلاق العرب في وثباتهم ضد سلطة الجور والفجور . فلم تختلف لهجته ، ولا تخلت سيرته ، ولا وهنت عزيمته ، ولا ضعفت حركته ، ولا ضيع مصالح اعوانه لترضية عدوانه . ونفس قوية وايية مثل هذه اضحت كالمغناطيس جذابة اليها امثالها ومن على شاكلتها في الاخلاص والتضحية - وشبه الشئ مجذوب اليه - فالتف حول الحسين الحق من صحبه وآله من نسجوا على منواله بتضحية النفس والنفيس في سبيل الدين وصالح المؤمنين، حتى انه يوم احس بالصد والحصار بكر بلاء وأنه مقتول

لا محالة عز عليه ان يقتل بسببه غيره<sup>(١)</sup> فأذن لاهله وصحبه بالتفرق عنه، حيث ان القوم لا يريدون غيره يدرأ عنهم الموت ، ويحل بيعته عن ذمهم ، فخطب فيهم قائلاً : « أثنى على الله احسن الشاء ، وأحمده على السراء والضراء ، اللهم اني احمدك على ان اكرمتنا بالنبوة ، وعلمتنا القرآن ، وفقهتنا في الدين ، وجعلت لنا اسماعا وابصارا وافئدة ، فاجعلنا من الشاكرين اما بعد : فاني لا اعلم اصحابا اوفى ولا خيرا من اصحابي ، ولا اهل بيت أبر ولا اوصل من اهل بيتي ، فجزاكم الله غني خيراً ، الا واني قد اذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل من بيعتي ، ليس عليكم حرج مني ولا ذمام ، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً » الخ .

فقال له اخوانه وابناؤه وبنو اخيه وابناء عبدالله بن جعفر : « لم تفعل ذلك لنبقى بعدك ، لا ارانا الله ذلك ابداً » فقال الحسين (ع) : « يا بني عقيل حسبكم من القتل ما صنع بمسلم ، فاذهبوا اتمم فقد اذنت لكم » قالوا : « سبحان الله ! فما نقول للناس ويقولون لنا؟ انا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عاومتنا ولم نرم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برمح ، ولم تضرب معهم بسيف ، ولا ندرى ما صنعوا؟ ولا والله لا نفعل ، ولكن نقديك بانفسنا واموالنا واهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك ، فقبح الله العيش بعدك » .

وقام اليه مسلم بن عوسجة فقال : « انحن نخلي عنك ؟ وبسم نعتذر الى الله في اداء حقك ؟ حتى اطعن في صدورهم برمي واضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ، ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم بسبه لقدفتهم بالحجارة ، والله لا نخليك حتى يعلم الله انا قد حفظنا غيبه رسوله فيك ، اما والله لو قد علمت اني اقتل ثم احى ثم احرق ثم احب ثم ارى

(١) في العقد الفريد ج ٢ قال « لما نزل ابن سعد بالحسين وايقن انهم قاتلوه قام في اصحابه فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد نزل بي ما ترون من الامر وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها واشمازت فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء الاخنس عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا ينهى عنه ثم غيب المؤمن في لقاء الله قاتلي لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا ذلاً ونداماً » . الخ

يفعل ذلك بي سبعين ممرة ما فارقتك حتى القى حمامي دونك، وكيف لا افعل ذلك وانما هي قتلة واحدة، هي الكرامة التي لا تقاد لها ابدا» •

وقام زهير بن القين فقال : « والله لو ددت اني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى اقتل هكذا الف مرة وان الله عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن نفس هؤلاء الفتيان من اهل بيتك » •

وتكلم جماعة من اصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا في وجه واحد ، فجزاهم الحسين خيرا •

وروي ان رجلا جاء حتى دخل عسكر الحسين (ع) فجاء الى رجل من اصحابه فقال له : « ان خبر ابنك فلان واقسى ان الديلم اسروه فتنصرف معي حتى تسعى في فدائه » فقال : « حتى اصنع ماذا ؟ عندالله احتسبه ونفسي » فقال له الحسين : « انصرف وانت في حل ممن بيعتى ، انا اعطيك فداء ابنك » فقال : « هيهات ان افارقك ثم اسأل الركبان عن خبرك ، لا يكن والله هذا ابدا ولا افارقك » (١) •

(١) انظر الارشاد ومقاتل الطالبين وغيرهما .



## رسل السلام ونذير الحرب

قدم الى كربلا شمر الخارجي شر مقدم - اذ كان نذير الحرب وحاملا من ابن زياد الى ابن سعد اسوأ التعاليم القاسية - وحسبه ابن سعد رقيبا عليه ومهددا له ، فأقبلت فكرته اذ ذاك رأسا على عقب لكي يدرأ عن نفسه تهمة الموالاتة للحسين (ع) طمعا بامرة الري . فنقل معسكره الى مقربة من الحسين على ضفاف العلقمي ، وأوصد عليه باب الورد منه بمصراعيه ، وعهد بحراسة المشرعة الى عمر بن الحجاج - كما فعله معاوية بجيش امير المؤمنين (ع) في صفين - واخذ يتظاهر على الحسين (ع) تقربا الى ابن زياد ، ويتشبه بغلاة الخوارج ارضاء لمن معه منهم ، ولم يقنع بكل ما وقع حتى زحف بخاصته على الحسين (ع) وتناول من دريد سهمها ووضعها في كبد قوسه ورمى به الى معسكر الحسين (ع) قائلا : ( اشهدوا لي عند الامير انني اول من رمي الحسين ) ورأى المتزلفون هذه اسهل وسيلة الى نيل القربى من اولياء السلطة فتكاثرت السهام على معسكر الحسين ، فقال الحسين الجدل اصحابه : « قوموا يا كرام فهذه رسل القوم اليكم » يعني ان الخصومة بدؤونا بالنضال والنزال بدل النزول على حكم الكتاب والسنة ولا يسعنا في هذه الحال سوى استمهالهم الى حين ، حين تهدأ فورتهم وان ابوا امهالنا فلا بد من الدفاع عن مقدساتنا والذب عن النواميس والحرمات ، اسوة بالكرام عند اليأس من السلام .

## حول معسكر الحسين

بعدهما ايقن الحسين (ع) ان اعداءه لا يتناهون عن منكر في سبيل النكال والنكاية به لدفاع الطوارىء عن اهله ورحلة وانتظار قتله ، لكنما وجد معسكره في اجرد البقاع عن مزايا الدفاع ، وكان مع العدو رجالا قسوة من اسقاط الكوفة تبعوا شرا الضبابي لطعمهم في الجوائز المشاعة وجشعهم على بقايا موائد الرؤساء وشوقا الى غنيمة بادرة ، ولا سلاح لدى هؤلاء سوى الحجارة والجرارة ، فكان يخشى منهم على معسكر الحسين (ع) من كل الوجوه ، لا سيما وان هؤلاء الاذئاب لا يلتزمون بما تلتزم به رؤساء القبائل من آداب العرب ، فخرج الحسين من معسكره يتخير موضعا مناسباً للدفاع .

وبعدما سبر غور الوهاد والانجاد اشرف على سلسلة هضاب وروابي تليق حسب مزاياهم الطبيعية ان تتخذ للحرم والخيم ، الروابي والتلال متدانية على شاكلة الهلال وهو المسمى « الحير » او « الحائر » لكن هذا الحصن انما يفيد من استغنى عن الخروج لطلب ماء او ذخيرة او عتاد واما من لا يجد القدر الكافي منها كالحسين (ع) فان تحصن في مثل الموضوع فكأنه يبغى الاتحار او القاء اهله في التهلكة ، لان عدوه يتمكن من حصاره من فرجة الجهة الشرقية بكمية قليلة واهلاك المحصور جوعا وعطشا في زمن قصير المدى .

لكنما الحسين (ع) رأى بجنب هذه وجنوبها رابية مستطيلة اصلح من اختها للتحصن ، لان المحتمى بفنائها يكتنفه من الشمال والغرب ربوات تقي من عاديات العدو برماة قليلين من صحب الحسين (ع)

إذا اختبأوا في الروابي وتبقى من سستی الشرق والجنوب جوانب واسعة  
تحميها اصحاب الحسين ورجائه ، ومنها يخرجون الى لقاء العدو أو تلقى  
الركبان ، فنقل الى هذا الموضوع حرمة ومعسكره ويعرف الآن «بخيمكاه»  
أي المخيم فصارت محوطة الحير فاصلة بينهم وبين معسكر الاعداء ،  
وامر اصحابه ان يقربوا البيوت بعضها من بعض ، وان يضرعوا النار  
في قصب وحطب كانا من وراء الخيم في خندق حفروه من شدة الاحتياط،  
واوجد في مخيمه مزايا الدفاع الممكنة ، وهو ينتظر الفرغ كلما ضاق  
المخرج .

## عطاشى الحرب في الشريعة

لا ييرح البشر من احترام بعض الآداب في المحاربات مهما كان المحاربون وحوشا وكفرة - كاجتنابهم قتل النساء والابرياء ومنع الماء والطعام عنهما - واصبحت حكومات اليوم تراعي هذه الاصول بعين الاحترام وتعد ارتكاب هذه المظالم من اقبح الجرائم ، وقد نهى شرع الاسلام كبقية الشرائع حصار الابرياء والتعرض بالنساء ومنع الماء والطعام عنهما او عن المرضى والاسرى والاطفال ، لانهم برآء مما قامت به رجالهم المحاربون ، وقد منعت الشريعة العاطفة ذبح الحيوان عطشانا •

اما الحزب السفيناني فقد ارتكب كل هذه المظالم والجرائم حنقا على حسين الفضيلة وآله •

ولا تنسى ما حدث يوم الدار يوم ثار المهاجرون والانصار فحاصروا الخليفة عثمان بن عفان وطالبوه ان يسلم اليهم ابن عمه ( مروان ) فاستعاث بعبي (ع) وشكا اليه العطش وغير العطش - وعلي يومئذ قد اغلق بابه ولازم حياده - فارسل اليه مع ذلك ولديه الحسن والحسين (ع) ومولاه قنبراً يحملون الماء وهو محصور ، ويحامون عنه وعن بيته الجمهور ، وتحملوا في سبيله الجروح والحرائج • غير ان محمد بن ابي نصور هو ومن معه من وراء البيت وكان منهم ما كان •

أما معاوية الدهاء فقد شيع الامر في أهل الشام بالعكس مما كان بغرض بعثهم الى حرب امير المؤمنين ، فنشر بينهم ان عثماناً قتل عطشانا وان علياً منع الماء عنه ، لذلك سبق علياً في صفين الى استملاك المشرعة ومنع اهل العراق من وردها ، اما علي (ع) فأرسل من ابطال العراق

من فتحوها ثم تركها مباحة للجانبين ، فأبت نفسه الكريمة ان يقابلهم بالسوء قائلا : « كلا ! لست امنع عنهم ماء احله الله عليهم » فجدد ابن زياد هذه البدعة وامر بمنع الماء عن الحسين واصحابه وبين الماء ، فلا يذوقوا منه قطرة كما فعل بالتقى الزكي عثمان « الخ مع ان الحسين (ع) هو الذي حمل الماء الى عثمان يوم الدار وعانى في سبيله المشاق ، وحاشا حسين الفضية وعلي الفتوة ان يرتكبا منع الماء على ذى نفس ، ولو فرض الامر كذلك فعلى م تؤخذ عشرات النساء ولقيف من الصبية والاطفال والمرضى بذلك فيحرمون من الماء المباح ؟ كلا ! فالاسلامية بريئة والانسانية ناقمة من هذه المظلمة الفاحشة .

ترك ابن زياد ساقى الكوثر ممنوعا من الماء المباح ثلاثة ايام - هو وصحبه وآله وعشرات من نسوته وصبيته - يعانون هم وخيلهم العطش في شهر آب اللهب بغراء لا ماء فيه ولا كلاً ، والخيل تصهل طالبة الماء ، والنسوة تعيج لحاجتها الى الماء ، والصبية تضج وتنتظر الماء ، والرضيع بصرخ اذ جفت مرضعه ، والماء يلمح جاريا باعينهم والمائعون ينتحلون الاسلام . وكل هاتيك المظالم القاسية من اجل ان الحسين (ع) لم يضع يده في ايدي الظالمين على محو كتاب نبيه (ص) ، وقد كان لسان الحال من حسين العلاء : « ان في وسعكم - ايها الاعداء - ان تضيقوا على الفضاء الوضيع ، وليس في وسعكم ان تضيقوا حدود مبدئي العالي ومقصدى ايام ، وكذا في وسعكم ان تقضوا على حياتي وعلى صحبي وعلى صبيتي ولكن ليس في وسعكم قط ان تقضوا على قضيتي ولا على دعوتي ولا على فكرتي ما دمت حيا وما دام المسلمون احياء » .

## اهتمام الامام بالموعظة والنصيحة

سيرة الحسين (ع) سلسلة أدلة على حسن ظنه بالناس ، وان نفسه كانت سفعة بآمال الخير فيهم لولا استقباله المزعجات في نواحي الكوفة وشواهد التحول في حالة البدو والحضر لادنى طمع ، حتى افشى من صميم الحقيقة سرها في كلمته الخالدة : « الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على سنتهم ، يحوطونه مادرت به معاشهم ، فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون » لكننا المعهود من رسل الاصلاح وائمة الهداية اقامة الحجج على الهمج والسذج « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة » ولثلا تبقى لعصاة عصاة فلم يزل حين الهداية يئذل قصارى الجهد في تنوير افكارهم بالاحتجاجات واقامة المظاهرات ، ويستفرغ وسعه في انذارهم واخطارهم بالرسل والخطب ، في حين ان جمهور خصومه كانوا من سفلة البشر وعبدة الطاغوت - اولئك الذين لا يقيمون للحق وزنا ولا يرون لغير المال والبقوة شأنا - وعليه قام حسين الايمان بظاهرة باهرة بعد اليأس من ساح القوم له بالرجوع ، فلبس غمامة رسول الله (ص) ورداءه وتقلد بسيف جده النبي وركب ناقته او فرسه المعروفة وخرج الى العدو بهيئة جده النبي (ص) وزيه ، وقد كان هو في ملامحه شبيه جده وكانت هذه الهيئة وحدها كافية لاعلان حقه في خلافة جده دون طاغية الشام لو كانوا يعقلون ، فعرف شياطين القوم ان هذه المظاهرة تعود على الحسين (ع) بفائدة ، لاسيما لو وجد مجالا للكلام وذكر السامعين بآيات من وحي جده ، فولولوا بلفظ وضجيج ليضيعوا على السامعين كلام الله من فم ولي اله بهيئة نبي الله وهو ابن بنت رسول الله (ص) .

غير ان حسين المجد لم يضيع فرصته فاستنصتهم فأبوا ان ينصتوا له لجاجا وعنادا، فنأدى فيهم، « ايها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى اعظكم

بواحدة وحتى اعدر ايكم ، فان اعطيتموني النصف كنتم بذلك سعداء  
والا فاجمعوا رأيكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا  
تنظرون ، ان ونبى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » \*  
فلما ساد الصمت وهذا الضجيج خطبهم ، فحمد الله واثنى عليه  
ونعت النبي صلى عليه ، فلم يسمع ابلغ منطلقا منه ثم قال :

« أما بعد ، فانسبوني من انا لا ثم راجعوا انفسكم وعاتبوها فانظروا  
هل يحل لكم قتلي واتهاك حرمتي ؟ الست ابن بنت نبيكم ؟ وابن وصيه  
وابن عمه ، وأول المؤمنين المصدق لرسول الله ( ص ) وبما جاء من عند  
ربه ؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عمي ؟ أو ليس جعفر الطيار في الجنة  
بجناحين عمي ؟ او لم يبلغكم ما قال رسول الله ( ص ) لي ولاخي :  
« هذان سيدا شباب أهل الجنة » فان صدقتموني فيما أقول وهو الحق  
والله ما تعدت الكذب منذ علمت أن الله يميته أهله ، وان كذبتوني فان  
فيكم من ان سألتهم عن ذلك أخبركم ، سلوا جابر بن عبدالله الانصاري ،  
وابا سعيد الخدري ، وسهل الساعدي ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك  
بخبروكم انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ( ص ) أما في هذا  
حاجز لكم عن سفك دمي ؟ ( الى ان قال ) فان كنتم في شك من ذلك او  
تشكون في اني ابن بنت نبيكم فوالله لا يوجد بين المشرق والمغرب ابن  
بنت نبي غيري ، ويحكم اطلبوني بقتيل منكم قتلته او مال لكم  
استهلكته ؟ » ثم نادى : « يا شيب بن الربيعي ويا حجار بن أبحر ويا قيس  
ابن الاشعث ويا يزيد بن الحارث ويا عمرو بن الحجاج الم تكتبوا الي ان :  
« قد اينعت اشمار واخضرت الجناح وانما تقدم على جند لك مجند ٠٠ »  
الخ .

لقد أسعهم شبل علي ( ع ) خطابا قويم اللهمجة قوي الحججة - لو  
كان ثمة منصف - لكنما القوم لم يقابلوه الا بكلمة جامدة : « انا لاندري  
ما تقول ! انزل على حكم بني عمك والا فلنسنا تاركيك » كلمة مرة طليت  
بالقحة وتبطنت بالمعجرفة والانحراف نحو الزور والغرور ، فأجابهم حسين

العلا : « لا والله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل ، ولا اقر لكم أقرار العبيد ، يأبى الله ذلك لنا ورسوله ( ص ) وحجور طابت وطهرت ، فلا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام » لكننا المظاهرة باحتجاجه لم تذهب سدى وعبثا فما مد الظلام رواقه حتى انجذب الى الحسين ( ع ) عديد من فرسان ابن سعد من ذوي المروءة والفتوة ثابئين عند المخيم الحسيني .

### الحسين ينعى نفسه لاخته

لزینب (١) - أخت الحسين - شأن مهم ودور كبير النطاق في قضية الحسين ( ع ) وفي نساء العرب نواذر أمثالها ممن قمن في مساعدة الرجال وشاركهم في تاريخهم المجيد ، وقد صحبت زينب أباها في سفره الخطير صحبة من تقصد أن تشاطره في خدمة الدين وترويح أمره ، فكانت تدير يمينها ضيافة الرجال وباليسرى حوائج الاطفال ، وذلك بنشاط لا يوصف . والمرأة قد تقوم بأعمال يعجز عنها الرجل ولكن ما دام منها القلب في

(١) لامير المؤمنين (ع) بنتان بهذا الاسم وبكنية أم كلثوم ، والكبرى هي سيدة الطنف . وكان ابن عباس ينوه عنها بعقيلة بنى هاشم . ولدتها الزهراء بعد شقيقها الحسين بسنتين ، وتزوجها عبدالله بن عمها جعفر الطيار بعد وفاة أختها في خلافة عثمان أو معاوية ، وكانت قطب دائرة العيال في المخيم الحسيني .

وقد أفرغ لسان الملك ترجمتها في مجلد خاص بها من موسوعته « ناسخ التواريخ » .

وجاء في الخيرات الحسان وغيره : أن مجاعة أصابت المدينة فرحل عنها بأهله عبدالله بن جعفر الى الشام في ضيعة له هناك ، وقد حمت زوجته زينب من وعشاء السفر أو ذكريات أحزان وأشجان من عهد سبي يزيد لال الرسول (ص) ثم توفيت على اثرها في نصف رجب سنة ٦٥ هـ ودفنت هناك حيث المزار المشهور .

وقال جماعة ان هذا لزینب الصفري - كما هو مرسوم على صخرة القير - وان الكبرى توفيت بمصر ودفنت عند قناطر السباع حيث المزار المشهور بالقاهرة .



ارتياح ونشاط ، اما لو تصدع قلبها او جرحت منها العواطف فتراها  
زجاجه أو أرق وكسرها لا يجبر ، ولذلك اوصى بهن النبي ( ص ) اذ قال :  
« ارفق بالقوارير » فجعلهن كزجاج القوارير تحتاج الى لطف المدارة .

فكانت ابنة علي ( ع ) قائمة بمهمات رحل الحسين وأهله غير مبالية  
بما هنالك من ضائقة عدو او حصار او عطش ، اذ كانت تنظر في وجه  
الحسين ( ع ) تراه هشاً بشاً فتزداد به أملاً - وكلما ازداد الانسان املاً  
ازداد نشاطاً وعملاً ، وان في بشاشة وجه الرئيس اثراً كبيراً في قوة آمال  
الاتباع ونشاط أعصابهم - غير أن زينب باغتت أخاها الحسين ( ع ) في  
خبائه ليلة مقتله فوجدته يصقل سيفاً له ويقول :

يا دهر أف لك من خليل      كم لك بالاشراق والاصيل  
من صاحب او طالب قتيل      والامر في ذاك الى الجليل

والمعنى : يا دهر كم لك من صاحب قتيل في ممر الاشراق والاصيل ،  
فأف لك من خليل .

ذمرت زينب عند تمثل أخيها بهذه الايات ، وعرفت ان أخاها قد  
يئس من الحياة ومن الصلح مع الاعداء ، وانه قتيل لا محالة واذا قتل فمن  
يكون لها ؟ والعيال والصبية في عراء وغربة ، وألد الاعداء محيط بهم  
ومتربص لهم الدوائر . لهذه ولتلك صرخت أخت الحسين ( ع ) نادية  
أخاها ، وتشل لديها ما يجري عليها وعلى أهله ورحله بعد قتله وقالت :  
« اليوم مات جدي وأبي وأمي وأخي » . ثم خرجت مغشية عليها اذ غابت  
عن نفسها ولم تعد تملك اختيارها ، فأخذ أخوها الحسين ( ع ) رأسها في  
حجره وسقط على وجهها من مدامعه حتى أفاقت وسعد بصرها بنظرة من شقيقها  
الحسين ، واخذ يسليها - وبعض التسلية تورية - فقال : « يا اختاه ان  
أهل الارض يموتون ، واهل السماء لا يبقون ، فلا يبقى الا وجهه ، وقد  
مات جدي وأبي وأمي وأخي وهم خير مني ، فلا يذهبن بحلمك الشيطان »  
ولم يزل بها حتى اسكن بروحه روعها ونشف بطيب حديثه دمعها .

ولكن في المقام سر مكتوم : فان زينبا - تلك التي لم تستطع أن

تسمع اشارة من نعي أخيها وهو حي - كيف تجلدت في مذبح أخيها  
وأهلها بمشهد منها ، ورات رأسه ورؤوسهم مرفوعة على القن وتلعب بها  
الصبيان ، وينكت ابن زياد ويزيد ثنايا أخيها بين الملأ بالقضيب ، الى غير  
ذلك من مصائب لا تطيق رؤيتها الا جانب فضلا عن أمس الاقارب .

فليت شعري ! ما الذي حول ذلك القلب الرقيق الى قلب أصلد  
وأصلب من اصخر الاصم ؟ نعم ! كانت شقيقة الحسين ( ع ) اخته بتمام  
معاني الكلمة ، فلا عرو ان شاطرت سيدة الطف زينب اخاها الحسين ( ع )  
في الكوارث وآلام الحوادث ، فقد شاطرت في شرف الابوين ومواريث  
الوالدين خلقا وخلقاً ومنطقاً .

وعليه فانها على رقة عواطفها وسرعة تأثرها تمكنت من تبديل حالتها ،  
والاستيلاء على نفسها بنفسها ، من حين ما اوحى اليها الحسين ( ع )  
بأسرار نهضته وآثار حركته وانه لا بد أن يتحمل اعباء الشهادة وما يتبعها من  
مصائب ومصاعب في سبيل نصرته الملة واحياء شريعة جده وشعائر مجده  
- لكنه سيار يطوي السرى الى حد مصرعه في كربلا - ثم لا بد وان تنوب  
هي عن أخيها في انجاز مهنته وابلاغ حجته في تحمل الخطوب والقاء الخطب  
ومكابدة الآلام من كربلا الى الكوفة ثم الى الشام قائمة بوظيفته ، محافظة  
على اسرار نهضته ، ناشرة لدعوته في كل أين وآن ، منتهزة سوانح  
الفرص ، وهو معها اينما كانت يباريها لكنه على عوالي الرماح خطيباً  
بلسان الحال كما هي الخطيبة بلسان المقال .

## السباق الى الجنة

السباق الى النفع غريزة في الاحياء لا يجيدون عنها ولا يلامسون عليها ، وقد يؤول الى النزاع بين الاشخاص والانواع ولكن التسابق الى الموت لا يرى في العقلاء الا لغايات شريفة تبلغ في معتقدهم من الاهتمام مبلغاً قصياً أسمى من الحياة الحاضرة ، كما اذا اعتقد الانسان في تسابقه الى الموت نيل سعادات ولذات هي ارفى وأبقى من جميع ما له في الحياة الحاضرة .

ولهذه نظائر في تواريخ الغزاة والمجاهدين ففي صحابة النبي (ص) رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وتسابقوا الى القتال بين يديه ، معتقدين أن ليس بينهم وبين جنان الخلد الفردوس الا على سوى سويحات او تميرات بأكلونها او حملات يحملونها ، وهذا من أشرف السباق ، وموته أهنأ موت ، وشعاره أقوى دليل على الفضيلة والايان . ولم يعهد التاريخ لجماعة بدارا نحو الموت وسباقا الى الجنة والأسنة مثل ما عهدناه في صحب الحسين (ع) . وقد عجم الحسين (ع) عودهم واختبر حدودهم ، وكسب منهم الثقة البليغة ، واسفرت امتحاناته كلها عن فوزه بصحب أوفياء وأصفياء ، واخوان صدق عند اللقاء ، قل ما فاز او يفوز بأمثالهم ناهض ، فلا نجد ادنى مبالغة في وصفه لهم عندما قال : « اما بعد ! فاني لا أعلم اصحابا خيرا من اصحابي ، ولا اهل بيت أبر وأوفى من اهل بيتي » وكان الفضل الاكبر في هذا الاتقاء يعود الى حسن انتخاب الحسين (ع) وقيامه بكل وجائب الزعامة والامامة - وقيام الرئيس بالواجب يقود اتباعه الى اداء الواجب ، واعتصام الزعيم بمبادئه القويم يسوق من معه الى التمسك بالمبدأ والمسلك والغاية - فكان سرادق الحسين (ع) بما فيه من صحب وآل ونساء

وأطفال كالماء الواحد لا يفترق بعضه عن بعض ، فكان كل منهم مرآة سيده الحسين ( ع ) بحاله وفعاله وأقواله ، وكانوا يقتدون به بأنفسهم كما كان يتمنى القتل لنفسه قبلهم ، وأخيرا توفقوا الى ارضاء سيدهم بأن يتقدموا الى جهاد أدبي في زي دفاع حربي واحدا بعد واحد يعلنون بالمباديء العلوية ، وينشرون الدعوة الحسينية ، ارشادا للجاهلين وعظمة للجاحدين وابقاظا للغافلين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل حتى لو اثرت عظاتهم المتواترة ، كفى الله المؤمنين القتال ، وان قتلوا فسيبهم سبيل من قبلهم من الانبياء والمصلحين الى روح وريحان وجنة ورضوان ، فيستريحون من آلام الحياة الدنيا الفانية ، ويسعدون بحياة راقية باقية ، فاذا كانت هذه الدنيا غير باقية لحي ولا حي عليها بياق فالأحرى أن يكون الهيكل الفاني قربان خير خالد ومهرا لحياة الامة .

اجل ! كانت جماعة الحسين ( ع ) كؤوس رؤوسها مفعمة بشعور التضحية حتى اذا أذن لهم بذلك لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا يتهافون كالفراس على المصباح لتضحية الارواح ، فكلما أذن حجة الله لاحدهم وادعه وداع من لا يعود ، وهم يتظايرون من مخيمه الى خصومه تظاير السهام لاتخاذ الغرض المقدس بأراجيز بليغة وحجج بالغة من شأنها ازاحة الشبهات عن البعيد والقريب وعن الشاهد والغائب . لكن المستمعين صم بكم عمي فهم لا يعقلون قد غشيت الاطماع أبصارهم وغشت المخاوف بصائرهم ، فلا يفكرون بسوى دراهم ابن زياد وعصاه - ومن لا يهتم الا بالسيف والرغيف فلا نصح يفيده ولا دليل يحيده .

بلى انما تجدي العظمت في ظل المطامع والحجة تهدي تحت بارقة السلاح ، لذلك لم يجد رسل الحسين ( ع ) من عداهم الجواب الا على أسنة الاسنة والحراب وقتلوا تقتيلا « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون » احياء بأرواحهم احياء بتأريخهم المجيد ، ولهم لسان صدق في الآخرين وأسوة بالاولين .

## مقتل على شبيه النبي

ثم يزل ولا يزال عرفاء الامم من عرب وعجم يعتقدون وارث السجايا والمزايا بالتناسل والتناسب ، وان الولد يرث من أبويه ووالديهما مواهبهم العقلية او سجايهم الاخلاقية كما يرثهم أشكال الخلقة ومطابع الجسم وأمراض الاعضاء ، وقد أكد الفن والحديث ذلك وان التشابه في الخلقة لا ينفك عن التشابه الاخلاقي . فنجد العائلة بعد فقدان أكبرها تجمع توجهاتها في أشبه أفرادها بالفقد - توسما بقيام الشبيه مقام الفقيدي في إعادة آثاره لاجماع الغرائز - على أن الاعمال تتأجج الاخلاق ، وان الطفل الشبيه بأبائه خلقا وخلقاً يغلب أن يجدد مآثرهم ومفاخرهم . وكان آل محمد (ص) في أسف مستمر على فقدان النبي ، وخسارة كل مجد في فقدته حتى ولد الحسين بن عبي ولد أشبه الناس بجده محمد (ص) خلقا وخلقاً ومنطقاً ، فتمركزت فيه كل آمالهم وأمانيتهم ، وصاروا كلما اشتاقوا الى زيارة النبي (ص) شهدوا محضره وشاهدوا منظره ، وسمي شبيه النبي فترعرع الصبي وترعرع معه جمال النبي (ص) ونما فيه الكمال ، وأزهرت حوله الآمال وبلغ تصابي آل النبي (ص) فيه مبلغ الوله والعشق ، فكان اذا تلا آية أو روى رواية مثل رسول الله (ص) في كلامه ومقامه ، وأضاف على شبه النبي (ص) في الجسم شبيها بجده علي (ع) في الاسم كما شابهه في الشجاعة وفي تعصبه للحق ، حتى انه يوم قال الحسين (ع) أثناء مسيره : « كأنني بفارس قد خطر علينا قائلاً : القوم يسرون والمنايا تسير بهم » أتاه قائلاً : « يا أبت أو لسنا على الحق ؟ » فقال له الحسين (ع) : « أي والذي اليه مرجع العباد » قال علي : « اذن لا نبالي بالموت » فكان في موكب الحسين (ع) مثل كوكب الفجر يزهر بجماله وانظار أهله دائرة حوله .

غير أن الحصار والحزن ضيقاً على نفسه مجرى النفس ، فلم يجد مظنة للخلاص منهما الا في الموت ، فجاء ليستأذن أباه لكنه منكسر الطرف ، اذ بعلم مبلغ تأثر الوالد من هذا الكلام . وقد شوهد سيد الطف في أقواله وأحواله على جانب عظيم من التجلد لكن قيام هذا الفتى ضيع جانباً من تجلده فصار كغيره لا يملك من التجلد شيئاً فيما يقول في ولده أو عن ولده . وأيم الله انه أذن له مثل من يريد أن يجرح عاطفة فتاة فأسرع علي نحو الاعداء ، وعين أبيه تشيعه وتربسل دموعها الحارة مصحوبة بالزفرات ، والنساء على أثره تولول ، وتعول أمه بشجو فاقدة الاضطراب اذ فقدت مركز آمالها . الامام ينادي بأعلى صوته : « يا بن سعد قطع الله رحمتك كما قطعت رحمتي ، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله » .

اما الغلام فقد تجلى على القوم بوجه رسول الله ( ص ) وعمامة رسول الله وأسلحة رسول الله وعلى فرس رسول الله ونطق بمنطق رسول قائلاً :

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبى  
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

أي انا المثل الاعلى لرسول الله ( ص ) فيكم بصورتى وسيرتى وحسبى ونسبى ، فانا تذكّار جدي علي ، وأنا شبيه النبي ، وان أبي الحسين سبط النبي ، وان جدي علياً أخو النبي ووصيه ، فنحن جميعاً اولو قرباه وأهل بيته - الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله - فنحن أولى بخلافة جدنا النبي ( ص ) من الاجنبي ، وبعد هذا البرهان الجلي لا يسوغ ان نسلم أزمة دين جدنا النبي ( ص ) انى ابن الدعي - والدعي هو المنسوب الى غير ابيه الشرعي - وقد كان عبيد الله ابن مرجانة مستلحقاً بزياد ، كما أن زيادا صار مستلحقاً بأبي سفيان بخلاف حكم النبي ( ص ) القائل : « الولد للفراس وللعاهر الحجر » . فهل يسوغ في شرع الشرف ودين العدل ان يخضع من يشل النبي ( ص ) لدعي وابن دعي ؟

بارز الغلام جيش الكوفة وشد عليهم شدة الليث بالاغنام ، وبعد ما كر عليهم رجع الى أبيه قائلاً : « العطش قد قتلني » فيقول له أبوه : « اصبر يا حبيبي ، فانك لا تمسي حتى يستيق رسول الله بكأسه الاوفى » والغلام يكر الكرة بعد الكرة . فنظر اليه ابن مرة العبدي فقال : « علي آثام العرب ان كر ومربي لو لم ااكل أمه » فيينا هو يشد على الجموع ويرتجز اذ ضربه العبدي وصرعه فنادى : « يا أبتاه عليك مني السلام ، هذا جدي قد سقاني بكأسه الاوفى ، وهو يقرؤك السلام ويقول لك العجل العجل » ثم شهق شهقة كانت فيها نفسه فانقض اليه الحسين ( ع ) قائلاً : « يا بني ! قتل الله قوما قتلوك ، ما اجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول؟! يا بني ! على الدنيا بعدك العفا » ثم قال لفتيانه : « احمسوا اخاكم الى المخيم » اذ كان اول قتيل من جيش الحسين ، وحاذر على النساء وعقائل الرسالة أن يخرجن الى مصرعه حاسرات (فانا لله وانا اليه راجعون) .

### توبة الحر وشهادته

من يدبرس احوال البشر من وجهتها النفسية ويسبر غورها يجسد الاخيار صنفين : صنف يتطلب مصالحه الشخصية في ظل احياء عقيدته واحترامها - وهؤلاء اكثر الاخيار - ثم ارقى منه صنف يقدم احياء عقيدته حتى على حياته الشخصية . وقد كانت وضعية الحر الرياحي باديء بدء تنزل منزلة من يجب احترام مصالحه الذاتية في ضمن احترامه لعقيدته في الحسين ابن فاطمة ( ع ) ، زعما منه ان الحسين لا بد وان سيصالح امية القوية او يسامحونه بمغادرته بلادهم ، فيكون الحر حينئذ غير آثم بقتال الحسين ، وغير خاسر جوائز الولاية وترفيعاتهم . وعليه فقد كان يساير الحسين بالسماح والتساهل ويصاحبه بتأدب واحترام . غير أن المظاهرات القاسية التي قام بها جيش الكوفة من جهة والمظاهرات الدينية الاخلاقية

التي قام بها حسين الفضيلة من جهة اخرى انارتا فكرته وأثارتا عاطفته ،  
فارتقى في استكمال نفسه الى العلو او الغلو في حب السعادة والشهادة ،  
فجاء الى ابن سعد قائلا : « امقاتل انت هذا الرجل ؟ » فأجابه : « نعم قتالا  
ايسره ان تستقط الرؤوس وتطيح الايدي » فقال الحر : « أفيما لكم فيما  
عرضه عليكم رضى ؟ » فأجابه : « اما لو كان الامر الي لفعلت ولكن  
اميرك قد ابى » فرجع الحر وهو يتمايل ويرتعد ، واخذه مثل الافكل ، اذ  
شعر بانه كان السبب لحصر الامام .

فقال له من يجاوره وهو يحاوره : « ان امسرك لمريب ! فوالله لو  
سئلت عن اشجع اهل العراق لما عدوتك ، فماذا اصابك يا ابن يزيد ؟ »  
فأجابه الحر : « ويحك ! اني ارى نفسي بين الجنة والنار ، ووالله لا اختار  
على الجنة شيئا ، وان قطعت وحرقت » قال هذا وضرب بجواده الى  
الحسين ( ع ) .

وصادف قرّة بن قيس فقال له : « يا قرّة هل سقيت فرسك ؟ » قال  
قرّة : قلت له : « لا » وظننت انه يريد ان ينتحي القتال ، كراهية ان  
يشهده ، فوالله لو اطلعني على الذي يريد لخرجت معه الى الحسين . . .

أخذ يدنو الحر من الحسين رويدا رويدا - وكان ذلك منه خجلا  
لا وجلا - حتى وقف قريبا منه فقال : « جعلت فداك يا ابن رسول الله ،  
انا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وجمعت بك في هذا المكان ، وما  
ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضته عليهم ، ووالله لو علمت انهم ينتهون  
بك الى ما ارى ما ركبت مثل الذي ركبت ، واني تأب الى الله مما صنعت ،  
فهل ترى لي من توبة ؟ » فأجابه الحسين : « نعم يتوب الله عليك فانزل »  
فقال الحر : « أنا لك فارسا خير مني لك راجلا ، أقاتلهم على فرسي ساعة  
ويصير النزول آخر امري » فقال له الحسين : « فاصنع يرحمك الله  
ما بدا لك » .

قابل الحر بعدئذ جيش ابن سعد وصاح بهم : « يا أهل الكوفة !  
لأمكم الهبل ! دعوتهم هذا العبد الصالح لتنصروه حتى اذا جاءكم أسلمتموه ،



وكتبتم اليه انكم قاتلوا انفسكم دونه ثم عدوتم عليه تقاتلونه ، واملكتهم  
 بنفسه واخذتم بكظمه واحظتم به من كل جانب لتنعوه التوجه في بلاد  
 الله العريضة ، فصار كالاسير في ايديكم لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع  
 عنها ضرا ، وحلأتموه ونساءه وصبيته عن ماء الفرات الجاري تشربه اليهود  
 والنصارى والمجوس وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه ، فهاهم قد صرعهم  
 العطش ، بئس ما خلقتهم محمدا في ذريته ، لاسقاكم الله يوم الظمأ « فساد  
 القوم السكوت كأن على رؤوسهم الطير ، ثم لم يجيئوه بسوى النبال •  
 فحمل عليهم وهو يرتجز ويقول :

اني انا الحر وماوى الضيف      أضربكم ولا أرى من حيف  
 وقاتلهم قتالا شديدا حتى عقروا فرسه وتكاثروا عليه ، فلم يزل يحاربهم  
 وهو راجل حتى أثخنوه بالجراح وصرعوه فنادى : « السلام عليك يا أبا  
 عبدالله » وقد أبه الامام ( ع ) عند مصرعه بقوله : « أنت كما سمتك أمك  
 حر في الدنيا وسعيد في الآخرة » فطوبى له وحسن مأب •

### أصدق المظاهر الدينية

ليس في التعبير عن الحسين ( ع ) بأية الحق او رمز السلام اونحوهما  
 مبالغة ما اذا كان - والحق يقال - مثال الحق والاسلام في كل احواله  
 وأفعاله وأعماله ، فلم تكن المرأة المواجهة للشمس أصدق حكاية عنها من  
 الامام ( ع ) عن الاسلام • ولا بدع فان الناهض حقا بحقيقة يجب أن  
 يمثلها بكل أطواره وأدواره ، والحسين بن علي غدا في نهضته أمثلة الحق  
 الصراح وحاكيا عنه حكاية الزجاجة عن المصباح ، فأظهر الحقيقة في كتبه  
 وخطبه وأقواله وأحواله ، فقدم خطورة الدين على خطورة السكن والوطن ،  
 وقدم حرمة حرم الله وحرم رسوله ( ص ) على حرمة نفسه وحرمة ، واجاب  
 دعوة من لا يوثق بولائهم ودعائهم ، وخسر في سبيل أمته صفوة أحبته

ونخبة عشيرته ، وضايق نفسه حفظا لطواهر الدين ، واستفرغ وسعه وقواه  
في نصيحة اعداء الدين وبذل النفس والنفيس في سبيل مصلحة الدين .

كل ذلك وغيره ليذكرهم الله ويستهديهم بكتاب الله حتى حانت  
ساعة القيام بأصدق المظاهرات الدينية - وهي ساعة الصلاة والشمس في  
الهاجرة من ظهير اليوم العاشر من المحرم - ولم يكن الحسين ( ع ) ممن  
ينسى أو يتناسى الصلاة الموقوتة - ولو في أخرج ساعاته - قدوة بأبيه  
علي ( ع ) رجل الايمان ، فانه لم يؤخر صلاته المفروضة في أخرج ساعات  
الوغى ليلة الهرير في صفين ، فصف قدميه لوجه الله مصليا والحرب نائرة  
من حوله ودائرة ، ولما لاموه عليها أجاب : « ألسنا نحارب لأقامة الصلاة ؟ »

كذلك ابنه الحسين ( ع ) - والشبل من ذلك الاسد - فاهتم بها  
عندما صاح مؤذنه أبو تمامة الصيداوي ، وصلى بأصحابه ولكن صلاة  
الخوف قصرا وسهام الاعداء تترى عليه بالرغم من استمهالهم .  
أيخشى الامام ( ع ) قتله في الصلاة وقد مضى أبوه قتيلا في محرابه؟  
ام يخشى الموت صحبه وهم يتسابقون اليه تسابق الجياع الى القصاع  
ويجذبون الموت بوجه الله وفي سبيله مع ابن رسوله ( ص ) ؟

ولكن كانت صلاة الحسين ( ع ) من اصدق مظاهر اخلاصه لله  
وتسكبه بالشريعة ، وبعيدة عن كل شبهة او شائبة ، واذا كانت المظاهرات  
الحسينية تكشف مساويء اخلاق أعدائه ومبلغ حرمانهم من الانسانية فان  
مظاهرة صلاة الخوف بين اولئك المعارضين برهنت على سوء نية العدو  
واستهاتته بشريعة الاسلام . فهي ان لم تبطل سحر العدو في اعين الناظرين  
فقد أبلغت حجة الحسين ( ع ) الى مسامع الغائبين ، حيث أن العدو كان  
متذرعا بحبائل الدين ضد الدعوة الحسينية ، يوهم البسطاء والحمقاء ان  
يزيد خليفة النبي بببيعة من أكثر المسلمين وان حسينا خارج على امام زمانه  
لغايات دنيوية فيجب اعدامه او ارغامه - واسم الدين قد يغش العامة ولو  
كان يقصد محو الدين - ولكم تذرع المبطلون بأسلحة الحق ضد اهل  
الحق فخدعوا بذلك العامة - كما انخدع الخوارج ضد امير المؤمنين

بشبهة رفع المصاحف ومخالفته للدين واي دين ؟ أهو ذلك الدين الذي قام  
 واستقام بخدمات علي ( ع ) ومعاركه ومعارفه ؟ - وكان شمر الخارجي  
 واشباهه من بقايا الخوارج قائمين بحركات اسلافهم في تمويه حقائق الدين  
 بالظواهر الخداعة مستعملين اسم الاسلام آلة الاجراء لنسوياتهم في  
 الحسين ( ع ) ولكن اقامة الامام ( ع ) صلاة الخوف في اخرج المواقف  
 والمواقيت بين الأسنة والحراب بين العدى والردى كانت أقوى آلة فعالة في  
 ابطال سحرهم ومكرهم ، فانهم لم يسهلوا الحسين ( ع ) وصحبه أن يتعبدوا  
 لله في حين ان الدين يفرض اهمال المتعبدين والعبادة شعار الموحدين ، فما  
 عذرهم عند رسول الله ( ص ) في موقفه بعد موقفهم هذا ؟ أفلم يروا  
 ريحاته يصلي الى قبلة الاسلام مع صحبه المسلمين ؟ أفلا تحترم الصلاة  
 زهي حرم الله ؟ أو لم يسمعوا كلام الله : « ولا تقولوا لمن اتقى اليكم  
 السلم لست مؤمنا » وصحب الحسين ( ع ) ألقوا السلاح ، واطهروا السلام  
 والاسلام ، واستسهلوا للصلاة ، واستأنموهم لذكر الله فهل ترى مظهرها  
 للدين والحق اصدق من هذا ؟ لكن اعداء الحسين ( ع ) قست قلوبهم فبهي  
 كالحجارة او اشد قسوة ، فلم تعد تؤثر فيهم مظاهر اسلامية او عواطف  
 انسانية سوى السيف المخيف او الرغيف ، وقد كانا يومئذ في يد اعداء  
 الهدى ( وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ) .

## الطفل الذبيح

إذا وصف القرآن قربان إبراهيم بالذبيح العظيم نظراً لآثاره الباقية في الحج والاسلام فان المظاهرة الاخيرة التي قام بها الحسين ( ع ) أثرت تأثيراً عظيماً من بين مجاهداته الادبية في كشف حقائق النزعة الاموية وهذه الحادثة الاليسه بالرغم من استحقاقها التوسع فإني لا استطيع فيها سوى ايجاز فالحسين ( ع ) بعدما خلى رحله من الماء وطال على أهله الظماً - حتى جفت المراضع وشحت المدامع - تناول طفله الرضيع - واسمه علي او عبدالله - لقدمه الى العدو وسيلة لرفع الحجر من الماء ، فأشرف على الاعداء بتلك البينة المعصومة من أية جانحة أو جارحة قائلاً ، « يا قوم ! ان كنا في زعمكم مذنبين فما ذنب هذا الرضيع ؟ وقد تروناه يتلظى عطشاً ، وهو طفل لا يعرف الغاية ولم يأت بجناية ، ويلكم اسقوه شربة ماء فقد جفت محالب أمه » فتلاوم القوم بينهم بين قائل : « لا بد من اجابة الحسين ( ع ) فان أوامر بن زياد بمنع الماء خست الكبار دون الصغار - والصغير استثنته الشرائع والعواطف، من كل جريمة وانتقام ، حتى لو كان من ذراري الكفار » وقائل : « ان الحسين قد بلغ الغاية من الظماً والضرورة، فان صبرتم عن سقايته سوية أسلم أمره اليكم وتنازل لكم » .

فخشى ابن سعد من طول المقام والمقال أن يتمرد عليه جيشه المطيع فقال لحرملة : « اقطع نزاع القوم » وكان من الرماة القساة ، فعرف غرض ابن سعد فرمى الرضيع بسهم نحره به ، وصار الحسين ( ع ) يأخذ دمه بكفه وكلما امتلأت كفه دماً رمى به الى السماء قائلاً : « اللهم لا يكونن أهون عليك من فصيل » يعني فصيل ناقة صالح .

ولما أحس الرضيع بحرارة الحديد وألمه فتح عينيه في وجه أبيه وصار

يرغرف كالطير المذبوح ، وطارت روحه رافعة شكاية الحال الى العدل المتعال ، وترك القلوب دامية من مصيبته المفتتة للاكباد . وقد بلغ أمر الرضيع الذبيح مبلغا من قوة الدلالة على انحراف قلوب القوم عن سنن الانسانية وعلى سفالة أخلاقهم بحيث يسّس الحسين عند ذلك من رشدهم وعاد عنهم خائبا ، وربما كانت مصيبته في خيبته أعظم عليه من مصيبته في الرضيع ، فاستقبلته صبية قائلة : « يا أباه لعلك سقيت أخي ماء ؟ » فاجابها : « هالك أخاك ذبيحا » ثم حفر الارض بسيفه ودفن الرضيع ودفن معه كل آماله .

وكان حسين الحق لم يدخر في وسعه أي قوة ولم يضع أي فرصة في افشاء سرائر انحزب السفيناني ، فان قتل الذراري وذبح الاطفال كانت الشرائع والعادات تمنع عنه أشد المنع ، وقد روى المحدثون ان النبي (ص) بعث سرية فقتلوا النساء والصبيان فأنكر النبي (ص) ذلك عليهم انكارا شديدا ، فقالوا : « يا رسول الله انهم ذراري المشركين » فقال : « اوليس خياركم ذراري المشركين » وان خالد بن الوليد لما قتل بالعميصاء الاطفال رفع النبي (ص) يديه حتى رأى المسلمون بياض ابطنه وقال : « اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد » ثم بعث عليا (ع) فوأدهم ، فلم يعهد دبح الاطفال بعد ذلك الا ما كان من معاوية في قتله أطفال المسلمين في الانبار وفي نيمن على يد عامله بسر بن أرطاة ، وكان فيمن قتلهم ولدان لعبيدالله بن عباس ، وكررت ذلك أشياعه في الطف فذبحوا من الصبية والاطفال ما ظهروا عليهم وظفروا بهم بغير رحمة منهم ودون أدنى رقة او رأفة ، الامر الذي برهن على غلوهم في القسوة والفسوق عن الدين ، وأوضح بلا مرأى ولا خفاء أن قصد التشفي والانتقام بلغ بهم الى العزم على استئصال ذرية الرسول (ص) وقطع نسله ومحو أصله .

اما علي بن الحسين العليل فلم يفز بالنجاة من ايديهم العادية ولصغر سنه ، ولا بتعلق عمته به قائلة : « لا يقتل الا واقتل معه » ؛ ولا بشفاعه حميد بن مسلم واشباهه فيه بل انما نجا من حد الحديد لشدة

مرضه وقوة علمه وضعف أملهم بحياته ، ونجا الحسن بن الحسن باختفائه وهو جريح صريح وفاء من الله بوعده وحفظه لنسل نبي الرحمة بأكثر المصلحين في الأمة وهدايتها بعلوم الأئمة .

## العطش ومقتل العباس

يقف العقل حائرا كلما فكر في النظام العائلي او الداخلي لاسرة الحسين ( ع ) وحسن تربيته لاله وعيانه ، فكأنوا - حتى في الشدائد - أتبع له من ظلاله واطوع من خياله ، ولا ينهض بأمر الجماعة مثل حسن الطاعة ولست مغاليا في فولي ( طاعة الزعيم فيما تكره ولا عصيانه فيما تحب ) فالآنكسار كان أبعد شيء من مثل هذه الجماعة لو لم تصبهم فاقة جوع او عطش . فلا ترى شمرأ مبالغا في قوله لقومه عن الحسين ( ع ) وأهله : « انهم اذا وصلهم الماء أبادوكم عن آخركم » فكان منح جيش الحسين ( ع ) عن الماء أقوى أسلحة عدوه عليه - ومن عد الصبر على الجوع متعمرا يعد الصبر على العطش متعمرا - لا سيما من فحولة هاشم وسيوفهم في أيانهم والماء في أعينهم ، ويسمعون بأذانهم ضجة صبيتهم عطاسى ومرضى ونخص من بينهم الفتى الباسل أبا الفضل العباس - رضي الله تعالى عنه - فقد اثرت عليه الحالة وأثارت عواطفه ، فتقدم الى أخيه الحسين ( ع ) يستميحه رخصة الدفاع معتذرا بأن صدره قد ضاق من الحياة ويكره البقاء .

نعم ! لا شيء أشهى من الحياة وأطيب ، لكننا الحي انما يجبهما ما دامت منظوية على مسرات ولذات اما اذا خلت من تلكما الحسينين وامست ظرفا ، آلام لا تطاق استحالت الحياة الحلوة كأسا مرة . غير ان اقوياء النفوس لو افضى الزمان بهم الى مثل هذه الحالة العصبية وعجزوا عن سلوان انفسهم بهل التاريخ فانهم يختارون الموت في سبيل دفع

الموت ، ويفضلونه على الموت في سبيل انتظار الموت • أجل ! ان الموت في سبيل دفاعه أفضل وأحوط من الموت في سبيل انتظاره ، وقد كان الحسين ( ع ) مستميتا ومستميتا كل من كان معه ، وكانت أنفسهم الشريفة متشربة من كأس التضحية وريانة من معين التفادي • وفي مقدمة هؤلاء ابو الفضل أكبر أخوة الحسين ( ع ) الممتاز في الكمال والجمال ، وقمر بني هاشم ، وحامل راية الحسين ، وعقيد آماله في المحافظة على رحله وعياله • لذلك شق على الحسين أن يأذن له بالبراز الى الاعداء ، غير أنه يأمل في مبارزته القوم ابلاغ الحجة وحياء الذرية ، وان يعين على حياة العائلة بالسقاية والرواية - كما سبق منه ذلك - ولذلك صارت له درجة تغبطه عليه الشهداء ، وان أخبث رؤساء جيش العدو ( شمرا الكلابي ) وهو على شقائه أمن العباس واشقائه - لنسبة بينه وبين أم العباس ( أم البنين ) - ولان عباس الفتوة اذا عهدت اليه السقاية يعود منهما بعودته الى الحسين ( ع ) فمن هذا وذاك وذياك كان جوابه لآخيه العباس : « اذن فاطلب من القوم هؤلاء الاطفال جرعة من الماء » •

فتوجه العباس بن علي ( ع ) نحو الجيوش المرابطة حول الشرائع ، فأخذوا يمانعونه عن الماء ويستنهض بعضهم بعضا على معارضته ومقاتلته خشية أن يصل الماء الى عترة النبي ( ص ) • ولم يزل العباس يقارعهم ويقاثلهم ويقلب فئة على فئة ، ويفل العصاة تلو العصاة حتى كمنوا له وراء نخلة من الغاضرية فقطعوا يمانه ، فتلقى السيف يسراه مشابرا على الدفاع غير مكترث بما أصابه ، وهو يتلو الارجيز ، ويذكر القوم بمآثر أهل البيت وحسبهم ونسبهم من رسول الله ( ص ) فكمنوا له ثانية من وراء نخلة وضربوه بالسيف على يساره فقطعوه ، فأضحى كعنه جعفر الطيار ( رض ) يدافع عن نفسه وهو مقطوع اليدين ، وكان القوم قطعوا بيديه يدي الحسين ( ع ) فعند ذلك تقدم اليه دارمي غير هيب له وضربه بعمود من حديد فخر صريعا وصارخا : « يا أخاه أدرك أخاك » • ولم يدرك الحسين ( ع ) ظهره ونصيره الا بعد اختراق الجموع والجنود ،

وفي آخر لحظة منه نادبا له وقائلا : « الا أنكسر ظهري ، وقلت حيلتي ،  
وشمتت بي عدوي » •

## الشجاعة الحسينية

كانت هيئة الحسين ( ع ) وصحبه تجاه عداه دفاعية وسلسلة تحفظات  
وتحوطات عن سفك الدم أو هتك الحرم ، مثل هجرته عن حرم الله  
ورسوله ( ص ) ، ثم مصافاته مع الحر والمحايدة عن طرق الكوفة ، ثم  
تقديمه ابن سعد لدى ابن زياد للكفاف عنه حتى يعود من حيث أتى أو  
يفادر الى ثغور العجم والديلم ، ثم طلبه الافراج عن حصاره ليذهب  
بنفسه الى يزيد يذاكره في مصيره ومسيره ، ثم تحصنه خلف الروابي  
والهضاب سترأ على العائلة من العادية ، ثم مطالبته السقاية والرواية  
بواسطة رجاله ، والتشفع لديهم بأطفاله ، وايفاد رسل النصح والسلام  
اليهم ، والقاء الخطب عليهم •• الى غيرها من شواهد مسلكه الدفاعي  
الشريف • غير ان عداه تناهوا في خطط الاعتداء عليه في جميع المشاهد  
والمواقف ، وبرهنوا للملأ الاسلامي انهم لا يقصدون به سوى التشفي  
والانتقام بكل قسوة وفظاعة ، وكانت خاتمة مدافعاته عند الذود عن  
حياض شرفه بالسلاح حينما ينس ولم يبق له في هدايتهم مطمع وغدت  
أبواب رجاء الحياة وآمالها موصدة في وجهه ، ورأى بعينه مصارع صحبه  
وآله من جهة ومن الجهة الاخرى مصرع العباس اخيه وذخيرته الوحيدة  
لنائبات الزماد ، وايقن بتصميم القوم على ممانعة الماء عنه وعن صيته  
بكل جهد وجد حتى يمتوها ويستوه عطشا ، فجاهد جهاد الابطال  
ونكس فرسانا على رجال عندما عاد من مصرع اخيه ، وحال القوم بينه  
وبين مخيمه ، ولم ير مكثور قط قتل ولده واخوانه ومن معه أربط جأشا  
وأمضى جنانا من الحسين ( ع ) ، وانه كانت الرجال لتشد عليه فيشد



عليها ثم تنكشف عنه انكشاف المعزى اذا شد عليها الليث ، ويفرون من بين يديه فكانهم الجراد المنتشر وهو يقول :

انا الحسين بن علي آليت أن لا أنثي

فذكرهم أيام أبيه في صفين والجمل ، ورددت أندية الاخبار ذكرى الشجاعة الحسينية بكل اعجاب واستغراب ، اذ حفت بحالته حالات شد أن يصادف بطل واحدة منها : من عطش مقرط ، وحرم مهدد ، وافتجاع بجمهور الاحبة والارحام ، وتفردة غريبا بين الوف المقاتلين ، ولكن شبل علي ( ع ) لم يحسب لجمهورتهم أي حساب ولم تبد منه في مثل هذه الحالة الرهية العصية ما ينافي الشرف ولا يخالف الدين ولا ما يحاشي الانسانية . هي والله معجزة البشر وانها لاحدى الكبر وينشد في كراته :

اذا كانت الابدان للموت انثت فقتل امرىء في الله اولى وافضل

ولم يزل يدافعهم في متسع من الارض فثة بعد فثة حتى أدت الافكار والاحوال الى فكرة حصاره أثناء الكر والفر في دائرة تلال الحائر ، وسدوا في وجهه منافذ خروجه ، وافترقوا عليه أربع فرق من جهاته الأربع : فرقة بالسيوف وهم الادنون منه ، وفرقة بالرماح وهم الجواله حوله ، وفرقة بالنبال وهم الرماة من أعالي التلال ، وفرقة بالحجارة وهم الرجالة المنبثة حوالى الخيالة . واثخنوا جثمان سبط النبي ( ص ) بالجروح الدامية واكثرها في مقاديمه ، وأضحى جلده كالقنفذ ، وكلما تمايل ليهوي الى الارض توازن معه فرسه - وكان من الجياد الاصائل - حتى اذا ضعفت هي ايضا بما اصابها من الجروح خر من سرجه على وجهه ، واقبل فرسه نحو مخيمه يسهل ويحمحم ، فخرجت زينب من فسطاطها واضعة أصابعها على رأسها قائلة : « ليت السماء اطبقت على الارض ، وليت الجبال تدكدكت على السهل » ثم صاحت بابن سعد قائلة : « يا عمر اقتل ابو عبدالله وانت تنظر اليه ؟ » فدمعت عينها عمر وسالت دموعه على لحيته لكنه صرف بوجهه عنها ، ثم اقبل شمر على الحسين ( ع ) يحرض الجيش

عليه ، والحسين يحمل عليهم فينكشون عنه وهو يقول : « أعلى فتلي  
تجتمعون ؟ وأيم الله اني أرجو أن يكرمني الله بهوانكم ، ثم ينتقم لي  
منكم من جبد لا تشعرون . اما والله لو قتلتموني لألقى الله بأسكم  
بينكم ثم لا يرضي بذلك حتى يضاعف لكم العذب الاليم » ولم يزل يدافع  
عن نفسه ويماتلهم راجلا قتال الفارس المغوار يتقي الرمية ويفترض العوار  
لكنه يقوم ويكبو والرجالة تفر من بين يديه ثم تكرر عليه .

### مصرع الامام ومقتله

لقد توالى على ابن النبي ( ص ) جروح دمية من مطاردة الابطال  
ومضاربة الفرسان ، واثناء مناصرته لانصاره ومكاشفة الجيش عن اهل  
بيته ، وعندما بلغ المسناة رمى ابن نمير بسهم فجرح ما بين فمه وحنكه وملا  
كفيه دما فحمد الله وقال : « اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تبق  
منهم أحدا ، لا ترض الولاية عنهم أبدا » ثم ضربه كندي على رأسه بالسيف  
فقطع البرنس وادمى رأسه وامتلا البرنس دما فقال الحسين : « لا أكلت  
يمينك وحشرك الله مع الظالمين » والقى البرنس ولبس القلنسوة ، ثم شج  
جبينه ابو الحتوف الخارجي بالحجارة ، فسالت الدماء على وجهه وافضت  
الاصابات والعصابات الى هويه نحو مصرعه ، واقبل شمر برجاله يحول بين  
الحسين ( ع ) ورحاله ، واغتنت رجالة الجيش عندئذ فرصة مصرعه  
لاغتنام ما في رحله ، وما على أهله - اولئك الذين فقدوا في تلك الساعة  
الرهية حامي حماهم - فاستفتزت ضجتهم مشاعر الحسين الهادئة ، فرفع  
رأسه وبصره واذا بأجلاف القوم زاحفون من سفح التلال نحو مخيمه  
للسلب والنهب ، فأثارت الغيرة في حسين المجد روحا جديدة ، فنهض  
زاحفا على ركبتيه قائلا : « يا شيعة آل أبي سفيان : ان لم يكن لكم دين  
وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا أحرارا في دنياكم وراجعوا أحسابكم

• أنسابكم ان كنتم عربا » •

فصاح شمر : « ما تقول يا بن فاطمة ؟ » قال الامام : « أقول أنا انذي أقاتلكم وتقاتلوني ، والنساء ليس عليهن جناح ، فارجعوا بطغاتكم وجهالكم عن التعرض لحرمي » فقالوا : « ذلك لك ورجعوا » •

ومكث الامام ( ع ) صريحا يعالج جروحه الدامية والناس يتقون قتله وكل يرغب في ان يكفيه غيره • فصرخ بهم شمر قائلا : « ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل ، اقتلوه ثكلتكم امهاتكم » فهاجوا على الحسين واحتوشوه فضربه زرعة على عاتقه بالسيف •

واقبل عندئذ غلام من أهله وقام الى جنبه - وقد هوى ابن كعب بسيفه - فصاح به الغلام : « يا ابن الخبيثة أقتل عمي ؟ » واتقى السيف بيده فاطنها وتعلقت بالجلدة فنادى الغلام : « يا أماء » فاعتنقه الحسين قائلا : « صبر! يا ابن أخي على ما نزل بك ، فان الله سيلحقك بأبائك الطاهرين الصالحين ، برسول الله وبعلي وبالحسن » ثم قال : « اللهم امسك عنهم قطر السماء ، وامنعهم بركات الارض ، اللهم ان متعتهم الى حين ففرقهم فرقا ، واجعلهم طرائق قددا ، ولا ترض عنهم الولاة أبدا ، فانهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا يقتلونا » •

ثم تضاعفت الرجالة والخيالة على الحسين ( ص ) وطعنه سنان برمحه وقال لخولى : « احتز الرأس » فضعف هذا وارعد ، فقال له سنان : « فت الله عضدك » ونزل وذبح الامام ودفع رأسه نى خولى • وسلبوا ما على الحسين ( ع ) - حتى سراويله ونعليه - ثم تمايل الناس الى رحله وثقله وما على أهله ، حتى ان الحرة كانت لتجاذب على قناعها وخمارها ، والمرأة تنتزع ثوبها من ظهرها فيؤخذ منها ، والفتاة تعالج على سلب قرطها وسوارها ، والمريض يجذب الاديم من تحته •

ثم نادى ابن سعد في اصحابه : « من ينتدب الى الحسين فيوطيء الخيل صدره وظهره » فانتدب عشرة فوارس ، وداسوا بحوافر خيلهم

جنازة الامام ، ورضوا جناجن صدره • وصلى ابن سعد على قتلى جيشه  
ودفنهم ، وترك الشهداء الصالحين على العراء « وسيعلم الذين ظلموا اي  
مقلب ينقلبون » •

### بعد مقتل الحسين

قتل الظالمون حسين الفضيلة وفرحوا بمقتله فرحا عظيما ، اذ حسبوا  
انهم قتلوا به شخصيته ودعوته وصرعوا به كلمته ، وحسبوا انهم أخذوا به  
ثأر أسلافهم وانتقام أشياخهم ، داسوا بخيلهم جناجن صدر الحسين ( ع )  
وسحقوا جثمانه ، وزعموا أنهم سحقوا به كلمة الحسين ومحقوا دعوته •

تركوا جسد الحسين وأجساد من معه عراة على العراء بلا غسل ولا  
كفن ولا صلاة عليها ولا دفن ، زاعمين أنهم أهملوا بذلك شخصية الحسين  
وأهمية الحق والايمان ، مثلوا بجثة الحسين -وقد منع الاسلام عن المثلث  
زاعمين أنهم جعلوا داعية العدل وآية الحق أمثلة الخيبة والفشل ، وانه  
سيضرب به المثل ، لعبوا برأسه على القنا وبرؤوس آله وصحبه أمام العباد  
والبلاد ، زاعمين انهم سيلعبون بعده بعقائد العباد ومصالح البلاد ما داموا  
ودامت ، سلبوه وسلبوا أهله ونهبوا رحله وأحرقوا خيمه وأبادوا حرمة ،  
زاعمين انها هي الضربة القاضية ، فان ترى بعدئذ من باقية •

ظن ذلك القوم وأيديهم كل مواهد الاحوال يومئذ حتى دفن ابن  
سعد جميع قتلى جنده في يومه ، ودفن معهم كل خشية أو خيبة كانت تجول في  
واهمته ، ورحل عن كربلاء برحل الحسين ( ع ) وأهله والرؤوس التي ابن  
زياد ، وترك أشلاء حامية الحق وداعية العدل جرداء في العراء بين لهيب  
الشمس والرمضاء وعرضة النسور والعقبان وما يثير الشجون والاحزان ان  
علي الايفان حازب البغاة من أقطاب الحركة الاموية في صفين والجمال ،

وبعد قتلهم أجرى عليهم سنن التجهيز والدفن مراعيًا حرمة الاسلام وحسنة الشهداءين ، أما المنتقمون من حسين الحق وصحبه فلم يحترموا فيه أي شعار ديني أو أدب قومي ، قنعوا منهم بدمائهم عن التمسيل وبالتراب عن التحنيط وبنسج الرياح عن التجهيز .

وليت شعري ! ماذا يصنع أولياء الحق بصلاة أولياء الشيطان ؟ وحسبهم منهم أن صلت على جسومهم سيوفهم ، وشيعت أجسادهم بالهم ، وألحقت أشلاءهم العوادي والعاديات ، فعليهم واليهم صلوات الله والصالحين ودعوات طلاب العدل وعشاق الحق ما لاحت الاصباح وروحت الرياح .

هذا وما عتمت عشية الثاني عشر من محرم الا وعادت الى أرياف كربلاء عشائرها الظاعنة عنها بمناسبة القتال وقطان نينوى والعاضريات من بني اسد - وفيهم كثير من أولياء الحسين ( ع ) وقليل ممن اختلطوا برجاله جيش الكوفة - فتأملوا في أجساد زكية تركها ابن سعد في السفوح وعلى البطاح تسفي عليها الرياح ، وتساءلوا عن أخبارها العرفاء فما مرت الايام والاعوام الا والمزارات قائمة ، وعليها الخيرات جارية ، والمدائح تتلى ، والحفلات تنه الى ، ووجوه العظماء على أبوابها ، وتيجان الملوك على أعتابها . وامتدت جاذبة الحسين ( ع ) وصحبه من حضيرة الحائر الى تخوم الهند والصين وأعماق العجم وما وراء النرك والديلم والى أقصى من مصر والجزيرة والمغرب الاقصى يرددون ذكرى فاجعته بمر الساعات والايام ، ويقيمون مأتمه في رثائه ومواكب عزائه ، ويجدون في احياء قضيته في عامة الانام ، ويمثلون واقعته في ممر الاعوام . هذا بعض ما فاز به حسين النهضة من النصر الآجل والنجاح في المستقبل « ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المبطلون » .

أما الحزب السفيناني فقد خاب فيما خاله وخسرت صمغته وذاق الامرين بعد مقتل الحسين ( ع ) في سبيل تهذئة الخواطر وخماد النوائر حتى صار يه الج الفاسد بالافسد ويستجير من الرمضاء بالنار ، كقيامه

باستباحة مدينة الرسول (ص) واخافة اهلها ، وقتله ابن الزبير في مكة  
حرم الله والبلد الامين ، حتى حاصروه ورموه بالمنجنيق ، وقطعوا سبل  
الحج على المسلمين ، وهتكوا معظم شعائر الدين .

ونهب المختار الثقفي وزعماء التوايين العراقيين طالبيين نأر الحسين (ع)  
فقتلوا ابن زياد وابن سعد واثنيهما شر قتلة ، واهلكوا شمرا بكل عذاب ،  
وأحرقوا حرمة حيا ، وتتبعوا قتلة الحسين (ع) ومحاربيه في كل دير  
ودار ، وقتلهم تحت كل حجر ومدبر ، وأصلوهم الحميم والجحيم ،  
واستجاب الله دعوة الحسين (ع) يوم عاشوراء اذ قال : « وسلط عليهم  
غلام ثقيف يسقيهم كأسا مصبرة » .

ولم تزل عليهم نائرة اثر نائرة ، ونائرة حرب تلو نائرة حتى اذن الله  
سبحانه بزوال ملك امية وسقوط دولة بني مروان على يدي السفاح الهاشمي  
ابي العباس بن عبدالله العباسي واخوته واعمامه ، والقائد الباسل ابي مسلم  
الخراساني ، وثلة من فحولة هاشم ، فثلت عروش تلك الدولة الجائرة ،  
ودكت اركان حكومتها الغدارة ، واستأصلوا شأفتهم وابدوهم رجالا  
ونساء حتى لم يبق منهم آخذ ثار ولا نافخ نار ، واحرقوا من آثارهم حتى  
الريميم المنبوش ، ولعنوا جيشا ذكروا ، وقتلوا اينما ثقفوا . فتجد حتى  
اليوم قبر يزيد الجور في عاصمة ملكه كومة احجار ومسبة المارة ، لا يذكر  
في شرق الارض وغربها الا بكل خزي وعار .

هذه واقبة الجائر الفاجر وتلك عقبى المجاهد الناصح . « وان الارض  
لله يورثها عباده الصالحين » .

## زينب في عاصمة أبيها

ان كان أبو حفص أول من اُختط الكوفة للجنود والمؤونة فأبو الحسن أول من مصرها وعمرها ومدنها واتخذها عاصمة لحكومته<sup>(١)</sup> فصارت في أيامه مشهد القضاء والخطابة ، ومعهد العلم والعبادة ، وكانت ابنته زينب أميرة الكوفة حينما كان أبوها أمير المؤمنين ، ومعزز مجدها اخوتها الامجاد ، وزوجها سيد الاجواد عبدالله ابن عمها جعفر الطيار - الذي اشتهر بالجود حتى انه أقرض شخصا واحدا - وهو الزبير - ألف ألف درهم ثم وهب الصك لابن الزبير .

وبيت زينب في الكوفة ملجأ الفقراء والامراء ، حتى كان أبوها يضيف عندها احيانا - كما روي ذلك عنه في ليلة مقتله - . فالى مثل هذا البلد أو الى مقر عزاها وعاصمة أبيها كان سبي زينب الخطوب وعقيلة بني هاشم ، وتدخلها بجملة رباب الخدر من آل الرسول ، وحولها يتسامى وذراري أبيها علي ، على محامل غير مجللة بالغطاء ، وهن لا يملكن من السواتر غير الحياء ، يسوقهن الجبش المنتصر أمام الركاب كالاماء ، واهل الكوفة في عبدة وعبدة من هذا المشهد الغريب ، يضجون ويعجون مما جرى على آل الرسول ، وفيهم من يناولون الاطفال بعض الخبز والتمر رأفة ورحمة .

فحري بالجرة الهاشمية سليلة الرسول أن تصرخ بهم وتقول : « ان الصدقة محرمة علينا أهل البيت » ونساء الازقة والسطوح باكيات على هؤلاء .

(١) روى ذلك القرمانى في اواخر اخبار الدول .

قال خزيمه الاسدي : « دخلت الكوفة فصادفت منصرف علي بن الحسين بالذرية من كربلا الى ابن زياد ، ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياما يندبن ، متهتكات الجيوب ، وسمعت علي بن الحسين وهو يقول بصوت ضئيل قد نحل من شدة المرض : « يا أهل الكوفة ! انكم تبكون علينا فمن قتلنا غيركم ؟! » ورأيت زينب بنت علي ( ع ) فلم أر والله خفرة أنطق منها كأنما تفرغ عن لسان أمير المؤمنين ، فأومأت الى الناس أن اسكتوا ، فسكتت الاقاس وهدأت الاجراس فقالت :

« الحمد لله والصلاة على محمد وآله الطيبين الاخيار ، أما بعد : يا أهل الكوفة ، يا أهل الختل والغدر ، أتبكون ؟ فلا رقأت الدمعة ، ولا هدأت الرنة . انما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم . الا وهل فيكم الا الصلف النطف ، والصدر الشنف ، وملق الاماء ، وغمز الاعداء ، او كمرعى على دمنة ، او كفضة على ملحودة . « ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب اتم خالدون » .

أتبكون وتنتحبون ؟ اي والله ! فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا ، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترخصوها بغسل أبدا . وأنى ترخصون قتل سليل خاتم النبوة ، وسيد شباب أهل الجنة ، وملاذ خيرتكم ومفزع نازلتكم ، ومنار حجتكم ، ومدره سنتكم . الا ساء ما تزرون وبعدا لكم وسحقا ، فاقد خاب السعي ، وتبت الايدي ، وخسرت الصفقة ، وبؤتم بغضب من الله ، وضربت عليكم الذلة والمسكنة .

ويلكم يا أهل الكوفة ! اتدرون اي كبد لرسول الله فريتم ، واي كريمة له ابرزتم ، واي دم له سفكتم ، واي حرمة له اتهكتم ؟ ولقد جئتم بها خرقاء شوهاء كطلاع الارض أو ملاء السماء ، افعجبتم ان مطرت السماء دما لعذاب الآخرة واتم لا تنصرون .

فلا يستخفنكم المهل فانه لا يخفره البدار ، ولا يخاف قوة الثار ، وان ربكم لبالمرصاد » .



يقول ، واي هذه الخطبة : « فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى  
 يسبون ، وقد وضعوا ايديهم في افواههم • ورأيت شيخا واقفا الى جنبي  
 يبكي حتى اخضلت لحيته وهو يقول : يا بني اتم وامي ، كهولكم خير  
 الكهول ، وشبابكم خير الشباب ، ولساؤكم خير النساء ، ونسلكم خير  
 نسل لا يخزي ولا ينزي » •

### السبب النبوي في قصر الامارة

نزلوا باسبايا في قصر الامارة على عبيدالله وقد سبقها رأس  
 الحسين ( ع ) لان ابن سعد ساعة ما قتل الحسين أرسل رأسه الى ابن زياد  
 مع خولى الاصحى • فبات في بيته وأصبح عنده في طست بين يديه  
 - ومجلسه مكتظ بالشيوخ ورؤساء الاحياء - فصار يتسم من عظيم  
 سروره وابتهاجه ، وينكت رأس الحسين بقضيب في يده ويضرب شفثيه ،  
 غير مكترث ولا محتشم لاحد ، ولا أحد ينكر عليه فعلته هذه الا الصحابي  
 العظيم زيد بن أرقم ، صرخ قائلا : « ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين ،  
 فقد والله رأيت رسول الله يضع شفثيه على هاتين ويقبلهما » ثم بكى •  
 فسبه ابن زياد وقال له : « أبكى الله عينيك ، فلولا انك شيخ كبير قد  
 كبرت وخرفت لضربت عنقك » فخرج زيد يقول للناس : « أتم يا معشر  
 العرب عبيد بعد اليوم ، تقتلون ابن فاطمة وتؤمرون ابن مرجانة » •

ولما ادخلوا سبايا الحسين ( ع ) على ابن زياد تنكرت اخته زينب بين  
 النساء وحفت بها جواربها لكي لا تعرف ، فقال ابن زياد : « من هذه  
 المنتكرة المتكبرة ؟ » فلم تجبه ثم كررها ثلاثا وهي لا تكلمه ، فقالت له  
 احدى الجواري : « هذه زينب بنت فاطمة » فقال ابن زياد : « الحمد لله  
 الذي فضحككم وقتلكم واكذب احدوثكم » فقالت زينب : « الحمد لله  
 الذي كرنا سحمد وطهرنا تطهيرا لا كما تقول ، وانما يفتضح الفاسق

ويكذب الفاجر وهو غيرنا » فقال ابن زياد : « كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟ » فقالت : « هؤلاء كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده فتنظر لمن الفلج » .

فغضب ابن زياد واستشاط ، فقال له عمر بن حريث : « يا أمير انها امرأة ، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقتها » . فقال ابن زياد لزینب : « شفى الله غيظي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك » فقالت : « لعسري لقد قتلت كهلي ، وأبرزت أهلي ، وقطعت فرعي ، واجتشت أصلي ، فان يتفك فقد اشتفيت » قال ابن زياد لجلسائه : « هذه سجاعة وقد كان ابوعباس جمع منها » .

ثم التفت الى علي بن الحسين قائلاً : « ما اسمك ؟ » قال : « علي بن الحسين » قال : « أوليس الله قد قتل علياً ؟ » قال : « كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس » قال ابن زياد : « بل قتله الله » قال علي : « الله يتوفى الانفس حين موتها ، وما كان لنفس أن تموت الا بأذن الله » فغضب ابن زياد وأمر بقتله ، فتعلقت به عمته زينب قائلة : « حسبك يا ابن زياد من دماننا ! أما رويت واشتفيت ، وهل أبقيت منا أحداً ؟ أسألك بالله ان كنت مؤمناً أن تقناني معه ان كنت قاتله » فنظر ابن زياد اليهما طويلاً ثم قال : « عجباً للرحم . تود أن تقتل دونه . دعوا الغلام ينطلق مع نسائه » .

ثم كثر الزحام على ابن زياد من الطامعين والطماعين ، اذ أزفت ساعة الوفاء بالوعود وتأدية اجور العاملين . لكن اذ مرجانة رأى أن الخزانة لا تفي بمصرف الجنود فضلاً عن الوفاء بالوعود ، وانما أغراهم بالمواعيد دهاء ومكراً . وطبيعة الكوفة انها تنصب رقابها سلماً لرقبائها قبل ابرام الوثائق ، فتمسى ولها الوزر ولغيرها الاجر . فغدر ابن زياد بهم بعد مقتل الامام ، وحرّم الكثير منهم حتى عن القليل بأقل بادرة وأدنى حجة ، ونكث عهد ابن سعد بولاية الري .

ولما جاءه سنان بن انس قائلاً :

املاً ركبني فضة وذهبا  
قتلت خير الناس أما وأبا  
اني قتلت السيد لمحجبا  
وخيرهم اذ ينسبون النسبا

رده عبيد الله قائلاً : « فلم قتلته لو تعرفه كذلك ؟ »

وأحال ابن زياد قسماً من هؤلاء العاملة الى اميره يزيد في الشام  
ليستوفوا الجوائز هناك ، وجهد معهم سبايا الحسين ، وقائد الركب زجر  
وقائد الجند المحافظ لهم شمر ، ومعهم كافة الرؤس ، وذلك لانه عرف ان  
الكوفة سريع التبدل ، وشعر بيوادر انقلاب القلوب مما ذكرناه فبقاء آل  
الرسول في الكوفة خطر ، والسجون مشحونة بشيوخ القبائل .

وليس ابن زياد كيزيد يلهو بالحالة الحاضرة عما وراءها ويضيع  
الفرص على نفسه ، فاستعجل بإرسال أهل الحسين الى الشام ، فضلوا  
يعانون مشاق السفر حتى وصلوا دمشق الشام في أوائل شهر صفر .

## في الشام عاصمة أمية

الحوادث في النهضة الحسينية سلسلة مصائب تؤخذ بدايتها في الاكثر  
من مدينة الرسول ( ص ) وتنظفي شعلة الختام في الشام . الا أن المتأمل  
في فصولها يعسر عليه في اكثر الاحيان ربط الحلقات وتعليق الحوادث  
ومعرفة المؤثرات ، فيقف التاريخ بالقارئ غالباً وقفة الحائر واضعاً سبابته  
على شفثيه بدل أن يضعها على جملة تاريخية كهينة المشير الى السبب ،  
وكيف لا تستلوي عليه الحيرة وحوله ما يدهش اللب ويقضي بالعجب ، اذ  
عن اليمين فضائل جمة تركزت في شخصية الحسين ( ع ) هي ذي مآثر  
فضلى تستوجب اكرام صاحبها - قام او قعد - ، بينما عن يسار المتأمل  
صحيفة سوداء ، للخصوم هي ذي مآثم تستدعي احتقار صاحبها ولعنه -

أيضا سار أو وقف - ، وإمام المتأمل فجاع وفضائع وما لا يستحله عدد من  
الد أعدائه : من أيداء صبية ، ودبح ذرية ، وسبي نساء ، وقتل أبرياء ،  
وضرب المرضى ، وسب الموتى واحصار الضعفاء على ظمأ ، ومثله باشلاء  
الى غيرها مما تقشعر منه الجلود .

فهل هذا كله لاحقاد اورثتها الجدود للاحفاد ؟ حينما نرى الخصومات  
تنتهي في العرب وغير العرب في ساعة الغلب ، فلا يبقى بعد ذلك في المنظر  
أثر حقد على المنكسر ، بل يصون منه الحرمه ، وتتحول فيه النقمه الى  
الرحمة .

لكنما المؤسف كل الاسف ان يزيد لم يعامل خصومه من آل  
الرسول ( ص ) معاملة خصوم العرش والتاج ، ولا وقتت مظالمه فيهم عند  
حد الغلب والسلب ، حتى أسر النسوة بكل قسوة وسيرها عشرات المنازل من كربلا  
الى الشام سبايا على أقتاب المطايا ، وأوقفهن بين يديه كالاماء شعث الشعور  
متربة الوجوه ممزقة الثياب ، الامر الذي يدعو الى الاعتقاد بان القضية  
قضية الاحقاد لا قضية العرش والتاج ، ولا سيما عندما أظهر التشفي حين  
نكت بخيزرانه في يده ثغر الحسين وشفتيه قائلا : « يوم بيوم بدر » فانكر  
عليه ابو بردة الاسلامي قائلا : « ويحك يا يزيد ! اتتكت ثغر الحسين  
ابن فاطمة ؟ ! اشهد لقد رأيت النبي يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن  
ويقول : أتتما سيدا شباب اهل الجنة ، فقتل الله قاتلكما ولعنه » فغضب  
يزيد وأمر باخراجه سحبا . ثم تسئل بابيات ابن الزبيرى المعروفة : « ليت  
أشياخي بدر شهدوا . . . الخ » وزاد عليها - كما في رواية الشعبي  
وغيره - أبياتا منها هذا البيت :

لست من خدف ان لم أتقم من بني أحمد ما كان فعل  
ثم صارت فاطمة بنت الحسين من ورائه تطاول رأسها لترى رأس ايها  
ويزيد يطاول برأسه لثلاثه ، وصار يتمثل بأبيات الحصين المري :  
نفلق هاما من رجال أعزة علينا وقد كانوا أعق وأظلما

فصاح علي بن الحسين - وكان مغلول اليدين - : « يا يزيد ! ما ظنك برسول الله لو رأنا على هذه الحالة ؟ » فأمر يزيد بإطلاق يديه وقال : « أبوك قطع رحمي وجهل حقي ونازعني في سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت » فأجابه علي : « ما أصابكم من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب قبل أن نبرأها - الى قوله تعالى - ان الله لا يحب كل مختال فخور » •

وقام شامي أحمر وأشار الى فاطمة بنت الحسين قائلاً : « يا أمير هب لي هذه الجارية » فارتعدت فاطمة وتعلقت بعمتها زينب ، فصاحت زينب الفصاحة : « مه ! ليس ذلك لك ولا لاميرك » فغضب يزيد وقال : « ان ذلك لي ولو شئت لفعلت » فأجابته زينب : « كذبت والله ، ليس ذلك لك الا ان تخرج عن ملتنا وتدين بغير ديننا » فاستطار يزيد غضباً وقال : « اياي تستقبلين بهذا ؟ انما خرج عن الدين ابوك واخوك » فقالت : « بدين الله ودين أبي اهتديت أنت وابوك ان كنت مسلماً ، وانما انت أمير تشتم ظلماً وتقهر بسططانك » •

ثم لم تقنع بنت أمير المؤمنين في تلك القاعة الرهيبة التي لا تقصر مهابة عن ميادين الوغى ، بل عمدت الى كشف القناع عن مخازي القوم وبيان صلاتها بصميم الاسلام ، فقامت مصلية على رسول الله قائلة :

« الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله اجمعين •  
صدق الله : « ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات  
الله وكانوا بها يستهزأون » •

أظننت يا يزيد ! حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء ،  
فأصبحنا نساق كما تساق الاسارى ان بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة ،  
وان ذلك لعظم خطرك ، فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك ، جـذلان  
مسرورا حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والامور متسقة ، وحين صفا لك  
ملكنا وسلطاننا ! •

مهلا مهلا ! أنسيت قول الله تعالى : « ولا يحسبن الذين كفروا

انما نملئ لهم خير لانفسهم ، انما نملئ لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين؟!  
أمن العدل يا بن الطلقاء ! تخديرك حرائرك واماءك ، وسوقك بنات  
رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن ، وابديت وجوههن ، تحدو بهن  
الاعداء من بلد الى بلد ، ويستشرف وجوههن أهل المناهل والمعافل ، ويتصفح  
وجوههن القريب والبعيد والذني والشريف ، ليس معهن من رجالهن ولي  
ولا من حماتهن حمي .

وكيف يرتجي مراقبة من لفظ فوه أكباد الازكياء ، ونبت لحمه من  
دماء الشهداء ؟ وكيف يستبطن في بغضنا - أهل البيت - من نظر الينا  
بالسفن والشنان والاحن والاضغان؟! .

ثم تقول - غير متأثم ولا مستعظم - :

لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنيا على ثنايا أبي عبدالله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخضرتك ،  
وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشافة باراقتك دماء  
ذرية محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ونجوم الارض من آل  
عبدالمطلب ، وتهتف بأشياخك زعمت انك تناديهم ، فلتردن وشيكا موردهم ،  
ولتودن انك شلت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت .

اللهم خذ بحقنا ، وانتقم من ظالمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا ،  
وقتل حماتنا .

فوالله ما فريت الا جلدك ، ولا حززت الا لحمك ، ولتردن على  
رسول الله ( ص ) بما تحملت من سفك دماء ذريته واتهكت من حرمة في  
عترته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ، ويلم شعتهم ، ويأخذ بحقهم .

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم  
يرزقون » .

حسبك بالله حاكما ، وبمحمد خصيما ، وبجبريل ظهيرا . وسيعلم

من سوى لك وممكنك من رقاب المسلمين ، بس للظالمين بدلا ، واياكم شر  
مكانا وأضعف جندا •

ولئن جرت علي الدهور مخاطبتك اني لاستصغر قدرك ، واستعظم  
تقريبك ، واستكبر توبيخك ، لكن العيون عبرى ، والصدور حرا •

ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان  
الطلاق ، فهذه الايدي تنطف من دمائنا ، والافواه تتحلب من لحومنا ،  
وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتناهب العوائل ، وتعفوها أمهات الفراعل ،  
ولئن اتخذتنا مغنما لتجدن وشيكا مغرما ، حين لا تجد الا ما قدمت ،  
وما ربك بظلام للعبيد ، فالى الله المشتكى وعليه المعول •

فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصر جهديك • فوالله لا تمحو  
ذكرنا ، ولا تسميت وحيننا ، ولا تدرك أمدنا ، ولا ترحض عنك عارها ، وهل  
رأيك الا فند ، وأيامك الا عدد ، وجمعك الا بدد ، يوم يناد المنادي : الا  
لعنة الله على الظالمين •

فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ، ولآخرنا بالشهادة والرحمة ،  
ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ، ويوجب •

### طلائع الانتباه

لقد كاذ لخطبة زينب في تلك الحفلة الرهيبة - التي كانت تضم بين  
جنبيها عدد كبير من مختلف الناس - صدى عظيم ، بحيث نهت الناس  
وايقظتهم من نومتهم ، كأنهم كانوا في سبات عميق ذهبت بعقولهم ومشاعرهم •  
أزاحت ربة الخدر حجب الشبهات عن عيون أعيان الشام الذين  
كانوا يزعمون أن هؤلاء من سبي الروم والتتر ، حتى كان أحدهم يطالب  
زيد احدي بذات رسول الله ( ص ) تكون أمة له وخادمة في بيته ،

فانكشفت لآعيان الشام حقيقة السبي وانه من العنصر الهاشمي الزكي  
والبيت النبوي الطاهر . فعندها أمر يزيد بالجبال فقطعت من أعناقهم  
وأيديهم ، وتوجه بالحنان الى زين العابدين وطلب منه أن يصعد المنبر  
ويعتذر ليزيد من امر ابيه الحسين ( ع ) . فرقى ابن الخيرتين المنبر فحمد  
الله واثنى عليه وذكر الرسول فصلى عليه ثم قال ( ١ ) :

« ... ايها الناس اعطينا ستا وفضلنا بسبع : اعطينا العلم ، والحلم ،  
والسماحة ، والفصاحة ، والشجاعة ، والمجبة في قلوب المؤمنين . وفضلنا  
بأن منا النبي المختار محمدا ، ومنا الصديق ، ومنا الطيار ، ومنا اسد الله  
واسد رسوله ومنا سبطا هذه الامة ومنا مهدي هذه الامة . من عرفني فقد  
عرفني ومن لم يعرفني انبأته بحسبي ونسبي : .. أنا ابن محمد المصطفى ،  
انا ابن علي المرتضى ... إنا ابن فاطمة الزهراء ، أنا ابن سيدة  
النساء ... » وهكذا لم يزل يقول انا ابن ، انا ابن حتى ضج الناس بالبكاء  
وخشي يزيد ان تحدث فتنة وانقلاب ، فأمر المؤذن ان يؤذن حتى ينقطع -  
كلام الامام ، فجعل المؤذن يؤذن حتى قال : « أشهد أن محمدا رسول لله »  
التفت العليل من فوق المنبر الى يزيد وقال : « محمد هذا جدي أم جدك  
يا يزيد ؟! فان زعمت انه جدك فقد كذبت وكفرت ، وان زعمت انه جدي  
فلم تقتل عترته !؟ »

بهذه الخطبة الرنانة تمكن علي بن الحسين ( ع ) أن يوجه نحوه  
وجوه أهل الشام - كما أثرت من قبل خطبة عمته زينب في أعيان الشام -  
ومما مضى نعلم ان النهضة الحسينية - التي دار محورها حول تنبيه  
الامة على سيئات بني أمية - لم ينقطع سيرها بانقطاع حياة الحسين في طف  
كربلا - كما قلنا ذلك في الفصل السابق - بل قامت مقامه شقيقته زينب  
وأزالت الستار عن مخازي بني أمية الجور حتى في عاصمتهم ، وفي نوادي

( ١ ) ن هذه الخطبة العظيمة التي القيت على مسامع أهل الشام كانت  
مفصلة جداً رأينا اختصارها بمقتضى هذا الكتاب وانتخبنا منها بعض الجمل  
والفصول فقط . وتفصيل هذه الخطبة مذكورة في كتاب بحار الانوار ج ١٠ .



ابن زياد ويزيد ، وكذا قام بدوره علي شبل الحسين السبط في هذه المواضع  
الرهيبه منبها للمغالين ، وناقضا على الظالمين ، ومبشرا بسباديء جده الامين  
- ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة - .

عند ذلك قلب يزيد ظهر المجن ، وظهر الندم من قتل الحسين قائلا :  
« لعن الله ابن مرجانة ، لقد كنت اكنفي منه عن الحسين باقل من هذا »  
وطلب من علي بن الحسين ان يعرض عليه حاجته ، فقال له : « اريد منك ان  
تريني وجه ابي ، وان تعيد على النساء ما أخذ منهن ، ففيها مواريث الآباء  
والامهات ، وادا كنت تريد قتلي فارسل مع العيسال من يؤدي بهن الى  
المدينة » فأجابه بقوله : « أما وجه أبيك فلن تراه ، واما ما أخذ منكم فيرد  
اليكم ، واما النسوة فلا يردهن غيرك ، وقد عفوت عن قتلك » .

هنا وفي هذه الساعة انطلقت جذوة الانتقام - التي كان لهيها يستعر  
في صدر يزيد من قبل - ، وهنا خاتمة المصائب .

هنا اذن يزيد لاهل البيت النبوي اقامة العزاء لفقد سيدهم ليالي  
وأياما ، وعلت من بيوت يزيد ونسوته أصوات البكاء والعيول - كحمامات  
الدوح يتجاوبن النوح مع النوادب من آل الرسول على سيد شباب أهل  
الجنة - .

ثم أمر يزيد الخنا النعمان بن بشير ان يسير بأل الرسول الى المدينة  
المنورة في العشرين من صفر ، وينزل بعيدا عنهم ، ويسير كذلك ولا ينزل إلا  
بأمرهم ولا يرحل الا بسئله ، وان يراعي في حسن خدمتهم كل ما في وسعه  
من عطف ورافة .

بلغ السببي النبوي المدينة ولكن بأية حالة؟! تعرف مبلغ التأشير في  
أهل البيت من خاطبت زينب المدينة قائلة :

مدينة جدنا لا تقبلينا	فبالحسرات والاحزان جينا
خرجنا منك بالاهلين جمعا	رجعنا لا رجال ولا بنينا
وكنا في الخروج بجمع شمل	رجعنا حاسرين مسلمينا

وكنّا في امان الله جهرا  
ومولانا الحسين لنا آيس  
رجعنا بالقطيعة خائفينا  
رجعنا والحسين به رهينا  
فنحن الضائعات بلا كفيل  
ونحن النائحات على آخينا  
ونحن السائرات على المطايا  
نشال على جمال المبعضينا

ثم أخذت بعضادتي باب مسجد النبي (ص) وقالت بلهفة : « يا جداه!  
اني ناعية اليك أخي الحسين » ولا زالت بعد ذلك لا تجف لها عبرة ، ولا  
تفتر من البكاء والنحيب . وكلما نظرت الى علي بن الحسين (ع) تجد  
أحزانها وزاد وجدها .

## محرم .. وتاريخ الغزاء الحسيني

في التاريخ مصارع كثيرة .. وفجائع مثيرة يذهل الفكر أمامها حائرا .. ولكن فاجعة « كربلاء » قد أجمع المؤرخون بأنها من أشد الفجائع أثرا في النفوس .. وأقسى المصارع وقعا على القلوب .. ذلك لما وقع على ساحة الطف في كربلا بالعراق من مجزرة بآل النبي واصحابهم يوم العاشر من محرم سنة احدى وستين للهجرة الموافق لسنة ٨٥ ميلادية . حيث حوصر فيها الامام أبي عبدالله الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام هو وآله وفتية من بني هاشم وجملة من اصحابه من أهل العراق والحجاز .. واستشهدوا جميعا من قبل الجيش الأموي بقيادة عمر بن سعد بن ابي وقاص وبأمر من عبيدالله بن زياد عامل يزيد على الكوفة .. لا لذنوب سوى تمسكهم القوي بمبادئهم القويمة .. واحساسهم القوي بالمسؤولية الملقاة على عواتقهم ازاء السياسة الأموية القائمة ..

لذلك كلما بدت طلعة العام الهجري<sup>(١)</sup> تذكر المسلمون ببالغ الأسى وعظيم التأثر مصارع آل الرسول وأهل بيته وما امعنه الجيش الأموي فيهم من القتل والتنكيل والتمثيل .. وتذكروا كيف دكت حوافر خيول هذا الجيش جناجن صدورهم وظهورهم بشكل لم يشهد التاريخ نظيرها فضاغة

(١) يعتقد فريق من المسلمين ضرورة الاحتفال بهلال محرم الحرام باعتباره مفتح العام الهجري ، وأنه يلزم أن يكون موضع فرح وسرور ساعة حلوله .. وأن يتخذ له مظاهر الانس والابتهاج أسوة بسائر الاقوام التي اتخذت من مفتح اعوامها أبهج يوم أو أعظم عيد .. ولذلك بدأت بعض الاقطار الاسلامية تأييد هذا التقليد باقامة مباحج الاحتفاء ومجالس التكريم بهذه المناسبة ليلة الأون من شهر محرم ويومه باعتبار هذا اليوم يوم الهجرة النبوية .. ويحلق المتحدثون تحت هذا العنوان .. عامدين على اتخاذه عيداً دونما احتفال بمشاعر الاخرين .. وتقام على هذا الاساس مظاهر الزينة ومعالم الافراح في بعض الاقطار العربية .. وتبادل التهاني ( بيوم الهجرة ) أو « بعيد الهجرة » في حين أن



وبشاعة .. وكيف ساروا برؤوس القتلى على الرماح مع نساء الرسول سبايا الى الكوفة فالشام باسم سبايا الروم ثم الى مدينة جدهم يشرب عاريات في احزن منظر (٢) .. كل هذا والدين الحنيف في اول عهده .. والسلام في ربيع حياته ..

لذلك حين يحل هذا التاريخ من كل عام .. ويهل هلال محرم الحرام يستعد المسلمون في معظم انحاء المعمورة للتعبير عن شعورهم ازاء هذه الذكرى الدامية وخاصة في يوم العاشر من محرم .. المعروف بيوم «عاشوراء» حيث يحتفل المسلمون فيه بهذه المناسبة الأليمة متذكّرين مصارع آل النبي في كربلا في حزن عميق وشجن عظيم .. يستعرضون مواقف الامام الحسين ومن استشهد معه بما يناسبها من الاشادة والتكريم .. ومنهم من يببالغ في اظهار شعائر الحزن والأسى حسبما يتصوره ويرتاح اليه حسب تأثره ومعتقداته تجاه هذه الفاجعة الدامية .. التي أثرت في العالم الاسلامي تأثيرا بالغا ما ظل ملازما له . نذ ذلك الحين اي قبل الف وقرون الى يومنا هذا .. والى ما شاء الله من أيام الدهر ..

يوم الهجرة النبوية كان باجماع المؤرخين دونما اختلاف في يوم الاثنين من مطلع شهر ربيع الاول من سنة ٦٢٢ ميلادية وان الرسول صلوات الله عليه ترك مكة ليلا وهاجر مع صاحبه «ابي بكر الصديق» الى المدينة وترك ابن عمه علياً في فراشه تلك الليلة .. وليس هناك من رابط بين هذه الهجرة واول شهر محرم ولم يرد في التاريخ الاسلامي ذكر للاحتفال بهذه المناسبة في مطلع شهر محرم .. وانما في عهد ( الفاروق عمر ) جرى الاتفاق على اعتبار هجرة الرسول بداية لتدوين التاريخ الاسلامي .. واعتبار اول محرم كما كان المعتاد بداية للعام الهجري لغرض الحساب .. واما الاحتفال به كعيد لراس السنة الهجرية وعطلة رسمية .. فهي فكرة حديثة ومن محدثات السنين الاخيرة .

(٢) وقد استقبلهم بنو هاشم بصورة لا ينساها المسلمون والعربون من حيث الروعة والبكاء والعيول .. وقد اتشدت بنت عقيل بن ابي طالب هذه الايات تصف بها الحالة :

ماذا تقولون ان قال النبي لكم ؟ ماذا فعلتم وانتم آخر الامم  
بعترتي وباهلي بعد مفتقدي منهم اسارى وصرعى ضرجوا بدم  
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

- تاريخ العارفين - محمد غالب الطويل

وقد يتصور البعض ان هذه الشعائر والمظاهر التي تقام في العشرة الاولى من محرم الحرام من كل عام من قبل المسلمين في مختلف انحاء الارض وبمختلف أشكالها انما هي من محدثات العصور الاخيرة في حين ان هذا التعبير عن شعور التأثر والتألم تجاه مصرع الامام الحسين (ع) .. انما يرقى تاريخه الى عهد قديم في الاسلام او هو قريب العهد من الصحابة والتابعين لهم باحسان .. غير انه كان في اول امره محدودا جدا وصغير الحجم يقام بمحض أخص الناس بالحسين كالأعلام من ذريته .. للتسلية والمواساة .. وللتخفيف عن لوعة المصيبة .

### مظاهر الغزاء لآل البيت في العصر الأموي

وكما كانت الآفاق العربية يومها تردد صدى هذه الفاجعة المؤلمة (٤) .. وقسوة ما اقترفه الأمويين بآل الرسول في كربلاء .. كانت العائلة النبوية تجدد ذكراها صباحا ومساءً في حزن عميق وشجن عظيم .. وتبكي عليه رجالاً ونساءً .. وكلما رأوا الماء تذكروا عطش قتلاهم .. فلم يهنئوا بطعام ولا بئنام (٥) ..

وكان وجوه المسلمين والموالون لآل البيت يفتدون على بيوت آل النبي بالمدينة معزبن وماسين وكان الواحد منهم يعبر عن مشاعره واحزانه بأبلغ

(٣) لقد كان مصرع الحسين اعظم مصيبة نزلت في الاسلام .. فلقد قتل من قبل عمر وعثمان وعلي .. وقتل في وقعتي الجمل وصفين جموع غفيرة من المسلمين ولكن ذلك لم يؤثر على المسلمين مثل ما أثرت شهادة الحسين . وقد أدت هذه المحنة الى تفرقتهم ولا يزالون الى هذا اليوم متفرقين .. وقد انقرضت دولة الامويين باسم الانتقام لهذا الحادث وانقرض العباسيون باسم اعادة الحقوق الفتصبة في الحادث نفسه . وقتل تيمور لك أهل الشام انتقاما لدم أنحسين .. - تاريخ النووين - .

(٤) مر سليمان بن قته العدوي بكربلاء بعد قتل الحسين (ع) بثلاث فنظر الى مصارعهم وانكأ على فرس له عربية وانشأ يقول :

مرت على أبيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلت



ما أوتي من روعة القول وقوة البيان وحسن المؤاساة لهذه المصيبة .. حتى  
تركوا ثروة أدبية رائعة في أدب التسلية والمؤاساة ..

وبقيت بيوت آل البيت مجللة بالحزن والسواد ولا توقد فيها النيران  
.. حتى نهضت في العراق ثلة من فتيانه الاشواوس ومن زعماء العرب  
الأقحاح أمثال المختار الثقفي و ابراهيم بن مالك الاشتهر النخعي وسليمان  
الخرزاعي والمسيب الفزاري وغيرهم حيث أخذوا ثأر الحسين وقتلوا جميع  
قتلة الحسين أمثال ابن زياد وابن سعد و سنان وشر وحرملة وغيرهم (٦) ..  
فخفت من ذلك لوعة الأشجان في بني هاشم .. وهدأ منهم نشيج الزفرات  
وزريف العبرات .. فصارت المآتم منهم وفيهم تقام في السنة مرة بعد ما كانت  
مستمرة ..

ففي ذلك العهد - عهد السلف الصالح - يحدثنا التاريخ الاسلامي  
عن اعلام أهل البيت النبوي ، أنهم كانوا يستشعرون الحزن كلما هلّ هلال

الم تر ان الشمس اصبحت مريضة	لقد حسين والبلاد اقمصرت
وكانوا رجاء ثم اضحوا رزية	لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وتسالنا قيس فنعطى فقيرها	وتفتابنا قيس اذا النعل زلت
وعند غني قطرة من دماننا	سنظبهم يوماً بها حيث حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها	وان اصبحت منهم برغم تخلت
وان قاتل الطف من آل هاشم	اذل رقاب المسلمين فذلت
وقد اعوات تبكى السماء لفقده	وانجمننا لحت عليه وصلت

ومر ابن الهبارية الشاعر بعده بكر بلا فجلس يبكي على الحسين (ع)  
واهلكه وقال بعدها :

احسين والبعوث جندك بالهدى	قسما يكون الحق عنه مسائلي
لو كنت شاهد كربلا لبسنت في	تنفيس كربك جهد بذل البازل
وسقيت حد السيف من اعدائكم	علا وحد السميري الذابل
لكنني اخرت عنك اشقوتي	فلا بلبي بين الغري وبابل

ويقال نام مكانه نراى النبي (ص) فقال له جزاك الله عني خيرا . ابشر  
فان الله قد كتبك ممن جاهد بين يدي الحسين (ع) عن المجالس السننية  
للسيد العاملي ج .

(٥) قالت فاطمة بنت علي بن أبي طالب «ع» ما تحنات امرأة منا ولا اجالت  
في عينها مروداً ولا امتشطت حتى بعث المختار برأس ابن زياد الى علي  
ابن الحسين «ع» . وقال الامام الصادق ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت



محرم .. وتقد عليهم وفود من شعراء العرب<sup>(٧)</sup> لتجديد ذكرى الحسين عليه السلام لدى ابنائه الامجاد . وقد القوا روايع في فن الرثاء والتسلية والتذكير باسلوب ساحر أخذ ما ظل شعرهم خالداً رغم كرم العصور .

فقد كان الشاعر العربي «الكميّ» بن زيد الأسيدي من شعراء العصر الاموي والمتوفى سنة ١٢٦ للهجرة قد جعل معظم قصائده في مدح بنى هاشم وذكر مصائب آل الرسول عليهم السلام .. حتى سميت قصائده «بالهاشميات» وكان ينشد معظمها في مجالس الامام الصادق وايه الباقر محمد وجده علي بن الحسين عليهم السلام . ومن تلك القصائد التي القاها بين يدي الامام علي بن الحسين السجاد قصيدته المشهورة التي مطلعها :

من لقلب متيم مستهام      غير ما صبوة ولا احلام  
وقتيل بالطف غودر عنه      بين غوغاء امة وطغام  
قتلوا يوم ذاك اذ قتلوه      حاكماً لا كسائر الحكام  
قتل الادعياء اذ قتلوه      اكرم الشارين صوب الغمام

ولا روي في دار هاشمي دخان حتى قتل عبيد الله بن زياد .. وكان الامام علي بن الحسين «السجاد» شديد الجزع كثير البكاء على شهداء الطف يتذكر قتلهم في حزن عظيم .. فواساه يوماً مولاه ان يقلل من البكاء فأجاب : ويحك ان يعقوب بن اسحق كان نبياً وابن نبي له اثني عشر ولداً .. فغيب الله واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن واحدودب ظهره من الغم وذهب بصره من البكاء وابنه حي في دار الدنيا . واذا رايت ابي والخي وسبعة عشر من اهل بيتي صرعى مقتولين ثم رؤوسهم على القنا .. فكيف ينقص حزني ويقل بكائي .

المجالس السننية للسيد محسن العاملي ج ١

(٦) روى ابن الاثير في الكامل عن الترمذي في جامعته انه «الموضع رأس ابن زياد امام المختار جاءت حية صغيرة فتخلت الرؤوس حتى دخلت في فم عبيد الله بن زياد ثم خرجت من منخره ودخلت منخره وخرجت من فيه .. فعلت هذا مراراً .. ثم بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد الي علي بن الحسين (ع) وكان يومئذ بمكة فادخل عليه وهو يتغدى فسجد لله شاكراً وقال : الحمد لله الذي ادرك لي ثأري من عدوي . وجزى الله المختار خيراً .. لقد ادخلت علي ابن زياد وهو يتغدى ورأس ابي بين يديه .. فقلت اللهم لا تمتني حتى تزيني رأس ابن زياد .. وكان قتل ابن زياد واشياعه في يوم عاشوراء في اليوم الذي قتل فيه الحسين (ع) ولم يقتل من اهل الشام بعد وقعة صفين مثلما قتل في هذه الواقعة .. حيث قتل المختار منهم سبعين الفا .

المجالس السننية للسيد العاملي ج ١

ولمت نفسي الطروب اليهم ولها حال دون طعم الطعام  
 فما بلغ آخرها حتى قال السجاد له « ثوابك نعجز عنه .. ولكن الله  
 لا يعجز عن مكافأتك .. فقال الكميث : سيدي ان اردت ان تحسن الي  
 فادع لي بعض ثيابك التي تلي جسدك ا تبرك بها .. فنزع الامام ثيابه  
 ودفعها اليه . ودعا له ..  
 ومن تلك القصائد قصيدته التي القاها في مجلس الامام الصادق والتي  
 مطلعها :

طربت وما شوقا الى البيض أطرب ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب  
 ولكن انى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يطلب

(٧) وذكر السيد الامين في كتابه المجالس السنية ج ١ فقال :  
 قال الامام الصادق لابي عمارة المنشد يا ابا عمارة انشدني في الحسين بن  
 علي قال فانشدته فبكي ثم انشدته فبكي ومازلت انشده ويبكي حتى سمعت  
 البكاء من الدار فقال : يا ابا عمارة من انشد شعراً في الحسين بن علي عليهما  
 السلام فابكى فله الجنة ..  
 ودخل جعفر بن عفران على الصادق (ع) فقربه وادناه ثم قال يا جعفر  
 بلغني انك تقول الشعر في الحسين (ع) وتجيد فقال نعم جعلني الله فداك ..  
 قال قل : فانشده :

ليبك على الاسلام من كان باكيا غداة حسين للرماح دريئة وغير في الصحراء لهما مبدأ فما نصرته امة السوء اذ دعا الا بل محوا انوارهم باكفهم وناداهم جهدا بحق محمد فما حفظوا قرب النبي ولا رعوا اذاقته حر القتل امة جده لا قدس الرحمن امة جده كما فجعت بنت النبي بنسلها	فقد ضيبت احكامه واستحلت وقد نهلت منه السوف وعلت عليه عتاق الطير باتت وظلت لقد طاشت الاحلام منها وضلت فلا سلمت تلك الاكف وشملت فان ابنه من نفسه حيث حلت وزلت بهم اقدامهم واستزلت هفت نعلها في كربلاء وزلت وان هي صامت للاله وصلت وكانوا كرامة الحرب حين استقلت
--	--

فبكي الامام الصادق ومن حوله حتى انتشرت الدموع على وجهه ولحيته  
 ثم قال : يا جعفر والله لقد شهدت ملائكة الله المقربون ها هنا يسمعون قولك في  
 الحسين (ع) ولقد بكوا كما بكينا واكثر ولقد اوجب الله تعالى لك يا جعفر في  
 ساعتك هذه الجنة .. وغفر لك .. يا جعفر الا ازيدك .. قال نعم يا سيدي  
 .. قال ما من احد قال في الحسين (ع) شعراً فبكي وابكى به الا اوجب الله له  
 الجنة وغفر له ..



الى ان يقول :

ومن أكبر الاحداث كانت مصيبة  
قتيل بجنب الطف من آل هاشم  
ومنعفر الخدين من آل هاشم  
وقد نال هذا الشاعر الجوائز الكثيرة من أئمة آل البيت عليهم السلام  
حتى إن الامام الصادق اكرمه مرة على قصيدة الف دينار وكسوة فقال  
الكفيت والله ما احببتكم للدنيا .. ولو اردت الدنيا لاتيتم من هي في يديه  
.. ولكنني احببتكم للآخرة .. اما الكسوة فأقبلها لبركتها واما المال فلا أقبله .  
ومثله الشاعر السيد اسماعيل الحميري احد الشعراء المشهورين في  
العصر الاموي فقد جعل معظم قصائده في آل البيت وفي هذا المصاب .. وقد  
دخل على الامام الصادق مرة يستأذنه ان ينشد له من شعره فاذن الامام له  
فانشد :

امرر على جدث الحسين      وقل لأعظمه الزكيه  
يا اعظما ما زلت من      وطفاء ، ساكبة رويه  
واذا مررت بقبره      فأطل به وقف المطيه  
وأبك المطهر للمطهر      والمطهرة النقية  
كبكاء معولة أتت      يوما لواحدھا المنيه

فما بلغ هذا الحد حتى اخذت الدموع من الامام تنحدر على خديه  
وارتفع الصراخ من داره .. فأمره الامام بالامساك فامسك .. ثم اوصله  
بهدية ثمينة ..

وهكذا كان الشعراء يقصدون مجالس آل البيت النبوي وسائر مجالس  
الهاشميين في هذا الموسم لالقاء خيرة ما نظموه حول هذا الموضوع على  
سبيل الغزاء .. من مديح او رثاء .. وينالون عليه خير العطاء .

### مظاهر عزاء الحسين في العصر العباسي

لقد كانت لمجالس الهاشميين دورها الفعال في جمع صفوفهم من  
الطالبين والعلوين والعباسيين وانصارهم الموتورين من الحكم الاموي

القائم .. وتنظيم الحملة ضدهم وانطلقت الالسنه باعادة الحكم لآل هاشم  
وتقاضى الحكم الجائر .. وقد حدثنا التاريخ الاسلامي .. ان تأسيس  
الدولة العباسية كان قائما على دعوة الهاشمين على اساس الثأر النهائي لقتلى  
الطف والانتقام للعلويين بالقضاء على الامويين .. وكان الشعراء لم يدعوا  
فرصة تفلت أو مناسبة تمر إلا وذكروا بهذا الثأر ، الى ان هبى الله لهم ذلك  
ومكنهم من الامر وقضوا على الحكم الاموي وتربع ابو العباس السفاح  
على الحكم كاول خليفة هاشمي .. يذكرنا التاريخ بوليمته المشهورة التي  
حضرها ثمانون رجلاً من عيون الامويين وهم على سبط الطعام فدخل شبل  
مولي بني هاشم على السفاح فانشد في الحال قصيدته المشهورة والغيط قد  
اخذه :

اصبح الملك ثابت الآساس      بالبهليل من بني العباس  
انت مهدي هاشم وهداها      كم اناس رجوك بعد اناس  
طلبوا وتر هاشم فشفوها      بعد ميل من الزمان وياس  
لا تقيلن عبد شمس عثارا      وارمها بالمنون والاعاس  
واذكرن مصرع الحسين وزيدا      وقتيلاً بجانب المهراس

فقام السفاح في الحال مغتاضا وقتلهم جميعا ثم اباد الامويين عن  
آخرهم .. وهكذا اتسع المجال امام الشعراء في رثاء آل البيت النبوي وذكر  
مصائبهم في قتلى الطفوف .

ومن هؤلاء الشعراء المشهوران دعبل بن علي الخزامي وابراهيم بن  
العباس اللذان قصدا من بخراسان .. فقدم الاول على الامام الرضا (١) علي بن  
موسى بن جعفر ايام ولاية عهده في خلافة المأمون العباسي ٢٠٣ للهجرة فأنشد  
قصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها (٢) :

(١) قال الامام الرضا «ع» كان ابي اذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً ..  
وكانت الكتابة تغلب عليه حتى تمضي العشرة الاولى من محرم فاذا كان اليوم العاشر  
كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه ..

عن المجالس السنية للسيد العاملي رحمه الله - ج ١ -  
(٢) قال دعبل الخزامي دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا  
(ع) في ايام عشر الحرم فرأيتته جالسا جلسة الحزين الكئيب واصحابه من

تجاوبن بالأناة والزفرات .. الى ان يقول :

مدارس آيات خلت من تلاوة      ومنزل وحي مفسر العرصات  
افاطم لو خلت الحسين مجدلاً      وقدمات عطشانا بشط فرات  
إذن للظمت الخد فاطم عنده      واجريت دمع العين بالوجنات  
افاطم قومي يا ابنة الخير واندي      نجوم سماوات بأرض فلات  
ديار رسول لله اصبحن بلقعا      وآل زياد تسكن الحجرات .. الخ

وقد اجازه الامام الرضا « بعد ان بكى هو وأهله » بعشرة آلاف درهم  
من المسكوك باسمه الكريم . وخلق عليه جيته .. فكان هذا خير رمز  
للتقدير والأعجاب .. وقد اشترى القسيون « الجبة » من دعبل اثناء عودته  
الى العراق بالف دينار .

وهكذا زميله الشاعر ابراهيم بن العباس<sup>(1)</sup> فقد انشد الامام الرضا (ع)  
قصيدته الدالية المشهورة التي يقول في مطلعها :

ازال عزاء القلب بعد التجلد      مصارع اولاد النبي محمد

فأكرمه الامام بمثل ما اكرم به زميله الخزاعي .

وكانت جوائز أئمة آل البيت النبوي في هذا المجال مشهورة بالسخاء  
والبركة حتى ذهبت مثلاً « ما بلغت صرة من موسى بن جعفر لاحد إلا  
استغنى » لذلك كان الشعراء يتقنون في هذا الباب الى جانب تأثرهم بروعة  
فاجعة الطف وفضاعة وقعها .. وكذلك تأثروا باقوال أئمة أهل بيت النبي

حواله فلما رأني مقبلاً قال لي « مرحباً بك يا دعبل مرحباً بناصرنا بيده ولسانه  
.. ثم إنه وسع لي في مجلسه .. واجلسني الى جانبه ثم قال لي يا دعبل احب  
ان تنشدني شعراً فان هذه الايام ايام حزن كانت علينا أهل البيت وايام سرور  
كانت على اعدائنا خصوصاً بني أمية .. يا دعبل من بكى او ابكى على مصابنا  
كان اجره على الله .. يا دعبل من ذرفت عيناه على مصاب جدى الحسين عليه  
اسلام غفر الله له ذنوبه .. ثم نهض (ع) وضرب ستراً بيننا وبين حرمه  
واجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدهم الحسين (ع) ثم  
التفت الي وقال لي يا دعبل ارث الحسين فانت ناصرنا مادمت حياً قال دعبل  
فاستعبرت وسالت عبرتي وانشأت أقول :

افاطم لو خلت الحسين مجدلاً      وقد مات عطشانا بشط فرات

(1) روى الصدوق في «العيون» عن البيهقي عن الاصولي عن هارون بن  
عبدالله المهلبى : انه لما وصل ابراهيم بن العباس ودعبل بن علي الخزاعي الى

في شأن من يرثي الحسين .. وماله من فضيلة عند الله سبحانه .. فقد قال  
الامام جعفر الصادق لجعفر بن عفان : « ما من احد قال في الحسين عليه  
السلام شعراً فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة وغفر له .. »  
وهكذا كان الشعراء يتبارون في الرثاء والمؤاساة والابداع فيهما بهذه  
المناسبة . في مجالس آل البيت النبوي ومجالس الطالبين . وما من شك ان  
هذا العزاء كان فيه العزاء لكل مظلوم وكل ذي حق مهضوم باعظم السلوان  
تأسيًا بالحسين عليه السلام .

وكما كان في هذا العزاء عرض لتلك المأساة فانه لم يخل من قرض لجور  
الحاكمين وتعريض لضروب الظلم الذي اصاب آل البيت النبوي منهم وتهديد  
الظالمين بالعاقبة الوخيمة لفتكها باعلام بيت النبوة .. وما ناله الظالمون من  
سوء المنقلب كل ذلك على لسان الشعراء والخطباء وفي ارووع اسلوب مما كان  
له اثره في جذب النفوس وتقوية القلوب .. حتى قال احد الشعراء :

تالله ما صنعت امية فيكم معشار ما صنعت بنو العباس

وكانت السلطات الحاكمة يومها وفي فترة من الزمن وراء هذه المجالس  
تطارد الملقين وتفتك بالحاضرين ولقي الموالون لآل البيت من الشدة ضروب  
العذاب .. وأتلفت معظم تلك القصائد والاشعار وغيرها من الآثار ذات  
العلاقة بالامام الحسين عليه السلام . ولو كانت باقية لكانت ثروة أدبية رائعة  
عن تلك الفترة .

وقد وصف ابن الأثير حوادث دموية مسببة عن ذكرى عزاء الحسين  
عليه السلام جرت بصورة فضيحة بين الحزب المتشيع لآل البيت وبين الحزب  
المخالف له ببغداد عاصمة الهاشيين يوم ذلك .. كانت تتسع وتتقلص حسب  
لون السياسة الحاكمة واجتهاد الحكام ذهب بسببها ضحايا كثيرة لا شيء

الرضا(ع) وقد برع له بولايةعهده تشده دعيل: مدارس آيات خلت من تلاوة ..  
الخ واشد ابراهيم بن العباس قصيدته « ازال عزاء القلب بعد لتجلد .. الخ »  
فرهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه وكان المأمون قد امر  
بضربها في ذلك الوقت . . دعيل ذهب بال عشرة الاف التي حصته الى قم  
فباع كل درهم بعشرة دراهم . فحصلت له مائة ألف درهم . واما ابراهيم فلم  
تزل عنده بعد أن اهدى بعضها وفرق بعضها على أهله الى أن توفي رحمة الله  
عليه .. فكان كفنه وجهزه منها - مجلة المرشد .

سوى انتعصب المقوت • وبسبب الجهل بمكانة آل البيت من الرسول ••  
 وعدم تقديرهم لشعائر الود والمحبة لصاحب الرسالة وأهل بيته •  
 وكن « عزاء الحسين » رغم جميع هذه الاحوال قائما كل عام في  
 موسم من محرم الحرام وانما يختلف تقلصا واتساعا حسب الظروف ولكنه  
 في جميع الاحوال كان يزداد تمكنا في النفوس واستقراراً في القلوب •• وكان  
 للشعراء لفضل الأكبر في تقوية هذا العزاء وجذب القلوب اليه •• بقصائدهم  
 الغر في تصوير مصاب الحسين وأهل بيته •• حتى ان غالبية المواليين لآل  
 البيت كانوا لا يخفلون بقسوة الحكام قدر اهتمامهم للحضور الى مجالس  
 العزاء كأننا ما يكون المصير ••

### مجالس النياحة لعزاء الحسين

ولما توسع التشيع وخفت وطأة السلطات المعادية التي اتلفت معظم تلك  
 القصائد والآثار •• صار الموالي لآل الرسول (ص) يقيم ذلك العزاء باسم  
 « النياحة » أو الرثاء بمشاهد الائمة من عترته او بمحضر من يوثق بتشييعه  
 وموالاته •• وما يجدر ذكره انه لم يكن في القرن الاول أي القرن الذي  
 قتل فيه الحسين أثر ولا عين من جماعة أهل العزاء سوى الرائيين والنائحين في  
 بيوت أهل البيت النبوي فقط وكذا الحال في القرن الثاني •• الى ان ظهر في  
 القرن الثالث اسم النائح علما لمن يرثي الحسين ويقرأ الشعر على حسابه ••  
 ويقيم النياحة عليه من أمثال دعبل الخزاعي الى علي الناشيء الاصغر ••  
 فاصبحت المجتمعات تنعقد باسم « النياحة على الحسين » على ما هم  
 فيه من التمسك فيبكون على مصاب الحسين وينوحون عليه بقريض ينشؤه او  
 ينشده الناشد ويسمى « النائح » ويذكر المؤرخان الشهيران ياقوت الحموي  
 في معجمه<sup>(١)</sup> وابن خلكان في وفياته قضية الناشيء الأصغر علي الشاعر

(١) جاء في ترجمة علي بن عبدالله الناشيء «حدثني الخالغ قال كنت مع  
 والدي في سنة ٢٤٦هـ وانا صبي في مجلس الكبودي في المسجد بين الوراقين  
 والصابغة •• وهو غاص بالناس واذا برجل قد وافى وعلاه مرقعة وفي يده

المشهور ومجالس النياحة على الحسين .. وفيها ما يدل على ان هذه المجتمعات كانت تتعقد في ذلك الزمن باسم « النياحة على الحسين » . وليس هذا في العراق فحسب بل في الحجاز وبلاد فارس . ومصر ..  
ثم تطورت مجالس العزاء عقب النياحة بقراءة المقاتل لابن نما وابن طاووس ونحوهما فسموا بالقرآء أو قارىء الحسين لا يزالون يعرفون حتى اليوم بهذا الاسم في بلاد العرب ..

## بدء المواكب والحسينيات

وقد سجل التاريخ اهتمام معز الدولة البويهى وسائر الملوك البويهيين

سطيحة وركوة ومعه عكاز وهو سعث . فسلم على الجماعة بصوت مرتفع وقال: يا رسول فطمة الزهراء صلوات الله عليها .. فقالوا مرحبا بك واهلا ورفعه فقال: انعرفون لي احمد النائح لا فانوا ها هو جالس .. فقال: رايت مولاتنا عليها السلام في النوم فقالت امض الى بغداد وطلبه وقل له نح على ابني شعر الناشيء الذي يقوله فيه:

بني احمد قلبي لكم يتقطع بمثل مصابي فيكم ليس يسمع  
وكان الناشيء حاضرا فلطم لظما عظيما على وجهه وتبعه الزوق والناس كلهم .. وكان اشد الناس في ذلك الناشيء ثم المزوق ثم ناحوا بهذه القصيدة في ذلك اليوم الى ان صلى الناس الظهر وتقروض المجلس وجهداً بالرجل ان يقبل منهم شيئا فقال: والله لو اعطيت الدنيا ما اخذتها . فاني لا رى ان اكون رسول مولاتي عليها السلام . ثم اخذ عن ذلك عوضا وانصرف ولم يقبل شيئا .. قال ومن هذه القصيدة وهي بضعة عشر بيتا ..

عجبت لم تفنون قتلا بسيفكم ووسطوا عليكم من نكم ان يخضع  
كان رسول الله اوصى بقتلكم واجسامكم في كل ارض توزع  
قال: وحدثني الخالع قال اجتزت بالناشيء يوما وهو جالس في السراجين فقال لي قد عملت فصيده وقد طببت واريد ان تكتبها بخطك حتى اخرجها فقلت امضى في حاجة او عود . وقصدت المكان الذي اردته . وجلست فيه فحملتني عيني . فرايت في منامي با القاسم عبدالعزيز الشطرجي النائح فقال احب ان تقوم فكتب قصيدة الناشيء البائية . فاننا قد نحنا بها البارحة بالمشهد .. وكان هذا الرجل قد توفى وهو عائد من الزيارة .. فقمتم ورجعت اليه وقلت هات البائية حتى اكتبها .. فقال الناشيء ومن اين علمت انها بائية وما ذكرت بها احدا فحدثته بالنام فيكي وقال لاشك ان الوقت قد دنا فكتبتها وكان مطلعها:

رجائي بعيد والمات قريب ويخطى ظني والنون نصيب  
- عن مجلة المرشد -

في الدولة العباسية ببغداد عام ٣٥٢ هجرية بشأن اقامة مأتم الحسين وابرازها في هيئة مواكب خارج البيوت .. فكانت النساء يخرجن ليلا ويخرج الرجال نهارا .. حاسري الرؤوس حفاة الاقدام .. تحييتهم التعزية والمؤاساة بمأساة الحسين (ع) ولا تزال هذه العادة الى الان في مدن العتبات المقدسة في العراق وايران . وبعد ما دالت الايام بالدولة الى آل محمد واتباعهم سواء في حكومة الفاطميين في مصر ايام المعز لدين الله الفاطمي أو في حكومة الحمدانيين في حلب ايام سيف الدولة الحمداني أو في حكومة الصفويين في ايران أو ملوك في ممالك اخرى من بلاك الترك والهند . انشأ للنياحة بيوت احزان في كل مكان لتعازي الحسين سميت عند العرب « بالحسينيات » كما سميت عند الهنود بـ « امام بان »<sup>(١)</sup> وعند الفرس والترک « بمأتم سراي » كما كانت تسمى هاتيك المجالس « بالمئآتيم » او « تعازي الحسين » وخصصت لها اوقات وصدقات جارية لا يستهان بها وبارباحها الوفيرة ..

فأخذ العزاء الحسيني دورا متسع النطاق في ظل عناية الهيئات الحاكمة .. ونال الموالون لآل البيت كل حريتهم في اظهار رغباتهم وشعائرهم .

فالناظر اليها لأول وهلة يخالها تشكيلات تولدت من عهد الملوك الصفوية أو هي من مستحدثات الاعاجم .. لكننا المتصفح لكتب التاريخ والآثار يجد لهذا الأمر ادوارا أو اطوارا في عصور سابقة على العصر الصفوي .. وفي أمم لا مساس لها بالعجم .. بل هي من غروس العراق القديمة وأشجارها الصلبة التي تبعت في ضفاف الرافدين قبل اية امة اخرى .. ثم تسربت وامتدت الى الامم الأخرى ..

وكل من جاب عواصم الامم الاسلامية وغير الاسلامية يرى في الكثير منها ان لم يكن فيها كلها سيما المجتمعات الموالية لآل بيت الرسول .. المباني الضخمة التي خصصت لاقامة هذه المجالس في هذا الموسم لاحياء ذكرى شهيد الحق الامام الحسين عليه السلام ..

(١) الدلائل والمسائل ج ١ للسيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني  
جواب عن تاريخ العزاء الحسيني .

## اهتمام الاقطار الاسلامية بعزاء الحسين

وهكذا اصبح المسلمون في اليوم العاشر من محرم كل عام يحتفلون بذكرى « عاشوراء » احياءً لذكرى شهيد الطفوف الامام الحسين عليه السلام في جميع الاقطار الاسلامية .. ويعتبر هذا اليوم عطلة رسمية لدى معظم هذه الدول ويشترك كثير من رؤساء الدول الاسلامية في مراسيمه .

وحين تمر هذه الذكرى بالمسلمين سواء في العشرة الاولى من محرم أو في اليوم العاشر منه فانها تغمر غالبية العالم الاسلامي بموجة من الأسى ويخيم عليه سحاب من الحزن ، كأن الامام الحسين قد قتل حديثاً وكأن أشلاء آله وانصاره .. لا تزال على منظرها المؤلم فوق تلك التراب وكأن دم اولئك الضحايا من الشهداء لم يزل يفور على تلك الارض .. فيشير في نفوس المسلمين كل تلك المشاعر والاحزان .. مما جعلت معظم الحكومات العربية والاسلامية ان تحافظ على حرمة هذه المناسبة .. وتلاحظ شعور المسلمين نحوها .. ومن اجل ذلك تصدر اوامرها بغلق دور اللهو واللعب وحانات الخمر والشرب والمسارح وامثالها مما تحل طابع اللهو والطرب .. كما تقلص على غرارها ما في برامج الاذاعة والتلفزيون خلال العشرة الأولى من محرم ببرامج تتسم بالطابع الديني والروحي والعلمي مجرداً من كل اسباب اللهو والطرب .. كل ذلك رعاية لشعور المسلمين واحتراماً لمكانة هذه الذكرى . كما هو الحال في العراق وايران وفي الهند والباكستان وعديد من الدول الاسلامية الاخرى .

والمسلمون اذ يحتفلون بهذه الذكرى الدامية ببالغ الأسى وعظيم الالم .. انما يشيدون فيها على موقف الامام الحسين في ساحة الطف ويوجدون مواقف آله واصحابه وما قدموه في ذلك الموقف من جسيم التضحية وعظيم البسالة التي ادهشت الاجيال واذهلت التاريخ ..



ثم إذ يعبرون في احيائهم لهذه الذكرى الدامية عن شعورهم نحو الامام  
الشهيد فانهم يختلفون في هذا التعبير حسب معتقداتهم فيه وفي حركته  
واستشهاده .. وباختلاف مداركهم وعاداتهم \*

فمنهم من يعتبره عيداً مجيداً لان الفضيلة فيه قد انتصرت على الرذيلة  
وان الامام الحسين بموقفه ذلك من يزيد قد أسند تعاليم جده سيد الرسل  
.. ووجد مجد شريعته السحاء .. كما هو الحال لدى المسلمين في الشمال  
الافريقي والمغرب العربي الذين يعتزون بهذه الذكرى \*

ومنهم من يندفع مع العاطفة الى ايلام نفسه وايدائها بمختلف الوسائل  
والاساليب كضرب نفسه بالسلاسل أو بالتطير ظنا منه ان هذا النحو من  
الايداء لمن دلائل المواثقة او الاقتداء بؤلائك الشهداء .. كما هو الحال في  
بعض انحاء العراق وايران والهند والباكستان ..

## عزاء الحسين في أمريكا الوسطى

ومنهم من يحصرها في هودج كبير ضخم كما هو الحال في (١) أمريكا  
الوسطى وفي مدينة بورت أو اسباين عاصمة في جزيرة ترينيداد الواقعة في  
البحر الكاريبي من شمال أمريكا الجنوبية حيث يزين المسلمون هذا الهودج  
بالذهب والفضة وبازهى الالوان الوهاجة واحلاها ويشترك المسيحيون  
والهنود مع المسلمين في احتفالاتهم العظيمة بيوم عاشوراء في مسيرة عظيمة  
في طليعتها هذا الهودج الفخم .. وتسير الجماهير وراءه تحف بها الطبول  
وآلات الموسيقى بانغامها الحزينة تطوف شوارع العاصمة وبين تعالي العويل  
والهتاف بحياة الحسين عليه السلام سيد الشهداء في ذكرى مصرعه يلقي  
بالهودج الى البحر الصاخب فتحمله الامواج الى الاعماق الزرقاء المجهولة ..

(١) من مجلة الاسبوع العربي في عددها ٥١٥ من السنة العاشرة بتاريخ  
٢١-٤-١٩٦٩ بقلم بهجت منصور .

ويعود الجميع الى مجالس الغزاء بذكرى الحسين عليه السلام .. وأغلب الظن ان هذه الظاهرة انتقلت الى هذه الجزيرة مع الهنود المسلمين .. حيث يارسون على غرارها في الهند تعبيراً عن عواطفهم نحو هذه الذكرى .. وعلى هذا النحو في معظم الاقطار الافريقية والاسيوية يعبر المسلمون عن مشاعرهم حسب تصورهم ومعتقداتهم في هذه المناسبة ..

ومنهم من ينحو بها كعرض لذلك المسرح الحزين يوم الطف بالمنطق الرزين .. وبارق الاساليب الاخاذة بالمشاعر مستوحين من قدسية ذلك اليوم التاريخي ضروب العبر وانواع البطولة والايمان بالحق .. فينتزعون من ذكراه اروع الصور وأبلغ الدروس ، واسمى العظيمة ، وإن كانت منهم مجرد سرد وترديد ..

## غزاء الحسين في مدن العتبات المقدسة

والى جانب ما تقدم تلبس مدن العتبات المقدسة في العراق وايران والمساجد المهمة والاماكن المتبركة في الهند والباكستان وغيرها من الاقطار والمناطق التي يتعصب أهلها في الحب والولاء لآل البيت النبوي حلة من السواد كشعار للحزن والحداد .. وتبتعد عن مظاهر الزينة والبهرجة ومباعت الانس والانشراح ..

هذه هي الحالة في العشرة الاولى من شهر محرم الحرام عند المسلمين بالنسبة لهذه الذكرى ان لم يكن الشهر كله من كل عام ومن الاقطار الاسلامية كالعراق وايران والهند والباكستان الى ما بعد العشرين من صفر حيث تستكمل هذه الذكرى يومها الاربعين . ولها زيارتها الخاصة ومراسيمها المختصة في كربلا بالعراق .. حيث يؤمها اكثر من مليون زائر في يوم واحد لزيارة قبر الحسين والطواف حول ضريحه في ذكرى اربعينه .. وتطوف المواكب الزاخرة حول مشهده لليمن والبركة .

ومما تجدر الاشارة اليه على اثر تطور الغزاء الحسيني واتساعه عن

طريق اللطم والضرب بالسلاسل وما اليها وما اظهره شباب الكاظمية عام ١٣٦٠ هـ اي ١٩٤١ الى المرحوم الوالد السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني من تأثرهم لهذا التطور المشين والذي يكمن وراءه من الاضرار بهذا العزاء وبأهداف سيد الشهداء .. فاقترح عليهم تطويره الى اقامة حفلات وقصائد تشيد بالذكرى وتؤين شهداءها وتبنى هذا الامر لعدة سنوات ساهم فيها كثير من اعلام القطر واساتذة الجامعات وقادة الرأي وشباب البلد من شعراء وخطباء كان لها اكبر الأثر في جذب النفوس اليها .. ساهمت بنقل هذه الحفلات حية عبر الاثير عن طريق الاذاعة من صحن الامامين الكاظمين صبيحة العاشر من محرم من كل عام وكان يحضرها عشرات الآلاف من المستمعين الى جانب الهيئات الرسمية وممثلي الدول الاسلامية مما اعطت اروع صورة محترمة عن هذه الذكرى الى المستمعين وكان الشعراء والخطباء يتبارون في الرثاء والابداع فيه مما تغذى الفكر الاسلامي والشعر العربي بأسلوب لم يكن من قبل .. وتوجيه الرأي العام الى اسرار نهضة الامام الحسين والعوامل النفسية والروحية التي حملته للصمود والاستشهاد .. مما تركوا خلال عدد من السنين ثروة فكرية وأدبية رائعة في « أدب الطف » كانت ولا تزال مشار الاعجاب والتقدير ..

## عزاء التشابيه والتمثيل

وهناك لون آخر من العزاء الحسيني المسمى « بالشبيه » وقد ظهر بادىء الامر في القرن العاشر الهجري على هيئة حصان مغطى بكفن مدمي وفيه بعض النبال يتقدم مواكب اللطم كأنه حصان الحسين (ع) بعد المعركة .. ثم توسع الى خيول متعددة على نفس الشاكلة ترافق المواكب .. ثم ظهرت شخصية الحر الرياحي ومعه بعض قادة الجيش الأموي برقعه هذه الخيول امام المواكب .. وظهرت شخصية الامام علي بن الحسين السجاد في حالة رجل عليل مكبل بالاغلال على صهوة جواده وسط الموكب يوم الاربعين

٢٠ من صفر يردد ما قاله حين دخل المدينة .. والناس تلمن من فرط التأثر لمشهده .. ثم تطور بالتدريج الى ظهور الهودج والنساء فيها كأنهن السبايا عائدتين من الشام عبر العراق الى المدينة ويمرون بارض الطقوف في كربلا يوم زيارة الاربعين .. والجماهير الغفيرة تلمن متأثرة من هذا المنظر المفجع يتذكرون الموقف نفسه .. ثم تطور هذا العزاء بتوالي السنين بظهور اشخاص يتقصون دور اصحاب الحسين وعدد من آل الرسول يتقدمون مواكب العزاء ومعهم شبيه قادة الجيش الاموى .. وفي اواخر القرن الثاني عشر واول الثامن عشر برزت شخصية الحسين وسط الشبيه تتقدم مواكب العزاء ومن خلفه شخصية اخيه العباس .. وازادت بعض الهيئات الدينية تحريم هذا اللون من العزاء وصدرت رسائل من بعض العلماء بحرمتها ومن بعضهم بجوازها واستجابها .. ولا شك ان رأى العام المتأثر بهذه المسيرة قد وقف في وجه تحريمها وحال دون ذلك . خاصة وان شخصية الحسين والعباس كانت تعهد الى من يتمتع بسمعة طيبة وخلق محمود ومن سلاله الرسول وذلك قطعاً لموارد التحريم (١) ..

(١) وتتقدم المواكب السيارة عبر الشوارع في عاشوراء الحسين فرقة من الطبالة تفرع قرعاً خاصاً. بلفت الانظار تتبعها الخيول المحلات باكسية من الحرير مذهبة الاطراف وعليها الحمائل النفيسة المزينة بالاضواء الكهربائية وفي جبهة الحصان مصباح يتقد وينطفئ كلما حرك الحصان راسه .. او على راسه ريشة طويلة مضيئة .. ثم تشابه مواكب آل النبي في كربلا وهم على الخيول مما تؤثر مظاهرها في قلوب العوام آثار الحزن والاسى وتثير البكاء لدى البعض عدا البعض من هذه التشابيه والتماثيل التي تلتف حول مواكب الحسين من حملة الابواق ويسمون « اصحاب زعفران الجنى » وهم عدة من الصبية والمجاهيل يلبسون طرايش طوال فوق طول الذراع من الورق السميك الملون بالاحمر والاصفر ويصبغون وجوههم بالوان مختلفة ويلبسون البسة حمراء او صفراء ويبد كل واحد بوق طويل ينفخون باصوات منكرة ويمشون قفزاً حول مواكب الحسين ممثلين في تصرفاتهم الجن الذين يزعمون انهم قد اتوا لنصرة الحسين (ع) وقد استنكف كثير من علماء الشيعة وعلماء أهل السنة من بعض هذه التشابيه والتماثيل لانها التزام بما لم ينص عليها الشرع الحنيف . واستنكرها الكثيرون لما اشتغل قسم منها على ما يخالف العقل والاقتصاد . وقد ازداد التنديد على هذه العادات مؤخراً من قبل المثقفين وخرابى العاهد الغربية والمتأثرين بالثقافة الحديثة لا من جهة مخالفة هذه الاعمال لجوهر الشريعة .. وانما لمخالفتها للاقتصاد العام وصرف الاموال الطائلة بلا طائل ..

وتطور موكب « الشبيه » الذي كان يأخذ مسيره عبر الشوارع والطرق  
ومن وسط الجموع الغفيرة من المشاهدين الى الساحة الرئيسية في المدينة أو  
الى وسط الصحن في المراقد المتبركة حيث تجرى هناك صورة مصغرة لتلك  
المعركة التاريخية .. وبتوالي السنين توسع هذا اللون من العزاء الى اقامة  
صرح له وسط الصحن أو الميدان ويجواره خيام تمثل خيام أهل البيت ..  
وتجري امام الحشود الحاشدة من عشرات الآلاف من الناس الذين حضر  
معظمهم من يوم سابق لاتخاذ مكان له للمشاهدة .. تجري أمامهم في يوم  
العاشر من محرم ما جرى يوم العاشر في كربلا بين الجانبين الهاشمي والاموي  
من تبادل الخطب والكلمات نصا وروحا .. وتوسع عدد المشتركين في  
« الشبيه » من كلا الجانبين بحيث شمل معظم اعلام المشتركين في يوم  
عاشوراء .. وكل يؤدي دوره امام الجموع طبق الاصل كما جرى يوم الطف  
في كربلا .. الى ان تنتهي المعركة بمقتل افراد آل البيت من اصحاب الحسين  
واحد اثر واحد من قبل الجيش الاموي اثر معركة تتسابق فيها الخيول  
وسط الميدان أو الصحن حتى ينتهي بانفراد الحسين واتمامه الحجة عليهم  
بخطبه واقواله والنبال تنهال عليه من كل جانب ثم حرق خيام أهله أمام عينيه  
بعد قتل جميع اصحابه وبالتالي مصرعه .. وآلاف المسلمين يشهدون هذا  
المشهد الرهيب في تأثر بالغ وتتابع ملحوظ .. ثم قيام قادة الجيش الاموي  
المنتصر بسوق سبايا النساء من آل البيت مشدودات بالجمال على ظهور  
الخيول متربات الوجوه يتقدمهم الامام العليل « علي بن الحسين » الوحيد  
الباقى من رجال الحسين لشدة مرضه وعدم اشتراكه في القتال يومذاك ..  
ومنظره مكبلا على جواده مترب الرأس يتقدم الاسرى بعد انتهاء المعركة  
وخلفه اسرى آل البيت ثم الهوادج محملة بامتعة الجيش الاموي الى جانب

ومخالفتها لاصول حفظ الصحة بالجرح والادماء وابداء الصدور والعيون، وهشم  
الرؤوس بلا مسوغ وداع مضافا الى مخالفتها لتطور هذا العصر، ومخالفة  
قسم منها للاداب المتعارفة الى غير ذلك من الأمور التي حملت الكثيرين من  
الشيعة وغير الشيعة على انتقاد هذه الاعمال، وحملت صحف كثيرة عربية  
وفارسية وهندية حملات عنيفة ضد هذه العادات التي جلبت أزدراء الأجانب  
الى اسم الشيعة وتناولهم بلهجات مشينة على رد القائمين بهذه الاعمال  
.. الخ من مذكرات السيد هبة الدين الحسيني عن عزاء الحسين -

غطرت قادة الجيش معهم لمنظر مثير للاشجان .. ويستغرق عرض هذا المشهد التمثيلي عدة ساعات من ضحى العاشر الى ما قبل الغروب .. والناس على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم في هذا المشهد وكأنهم يعيشون في تلك المعركة وعلى مقربة منها ..

وكانت الهيئات الرسمية في العراق وايران والهند والباكستان تحضر هذه التعازى وتشهد ما يجري فيها .. كل عام .. وتتخذ كافة الاحتياطات الامنية فيها حتى تنتهي هذه المراسيم بسلام ..

وفي سنة ١٩٣٦ وعلى اثر حدوث اصطدامات دموية اصدرت وزارة السيد ياسين الهاشمي في العراق امرا بمنع اقامة التشايه ومواكب السلاسل والتطبير منعا باتا .. ومنع لعدة سنوات وان كان التطبير وضرب السلاسل كان يجري في ظروف محصورة ومقلصة .. الا ان الجهات الرسمية عادت في سنة ١٩٤٧ فسمحت لمواكب التطبير بالظهور<sup>(١)</sup> وكذلك مواكب الضرب بالسلاسل .. وتوسع الامر وشمل مواكب الشبيهه حيث اخذت بالظهور من سنة ١٩٥٢ في العراق .. ومع توالى السنوات توسعت واخذ « الشبيهه » شكله الموسع في السنوات الاخيرة .. في مختلف انحاء العراق الى جانب الاقطار الاسلامية المذكورة ..

### مجالس العزاء الحسيني

هذا وتواصل مجالس العزاء الحسيني خلال شهري محرم وصفر<sup>(٢)</sup> في مدن العتبات المقدسة وغيرها حيث تجذب هذه المجالس الى ساحتها

(١) لقد ساهمت الحكومة في بعض السنوات يومها في تمويل مواكب التطبير بالاقمشة واطوال الخام ومساعدة المشتركين في التطبير وفي بعض الاحيان كما حصل في كربلا كان مدير الشرطة فيها السيد صالح حمام يشترك في عملية التطبير للأفراد وتوجيه مسيرتهم .. الخ .. ومثله في المدن الاخرى .

(٢) وتقام مجالس العزاء الحسيني اضافة على شهري محرم وصفر في شهر رمضان وذلك في لياليه وفي سائر ايام السنة على سبيل النية والنذر لعاجة من الحاجات قضاها الله فيقيم صاحبها مجلس عزاء ليوم واحد أو لثلاثة ايام أو لاسبوع أو عشرة ايام أو اكثر حسب ماتوى وتوزع فيها الخيرات للفقراء والمساكين وكثيرا ما ترافق مجالس العزاء الحسيني اطعام أو خيرات للحاضرين اليها .

كالمغناطيس شتات المسلمين اخواتا على سرر متقابلين تصف اجنحتها حول منبر يرتقى عليه الخطيب فيفتتح الكلام بآي من الذكر الحكيم وتفسير علومها من احاديث الرسول الكريم .. ثم يتلو ذلك بفصول من التاريخ الاسلامي او تواريخ الرسل السابقين .. ويختم كلامه بتاريخ الحسين وما جرى عليه وعلى آل بيت المصطفى صلوات الله عليهم (٢) .. ولا بد ان يتخلل هذه الخطابة وعظ وانذار وتلطيف القرائح بلطيف الأشعار مما يجعل مجلسهم هذا أشبه بمدرسة علم أو مجمع تهذيب .. ودروسها ما يهم المسلمين من أمور الدنيا والدين .. اللهم إلا بعض الجاهلين ممن يتولون الخطابة بغير علم ولا هدى وممن لا يجتنبون قول الزور فيذهبون بذلك الى سرد احاديث ما انزل الله بها من سلطان بغية اثاره الاشجان في نفوس المستمعين لمصاب الحسين (ع) استدرازا للأكف واستجلاء للمنافع ..

وهكذا الحق بهذا العزاء وضمن تطوراته طوال السنين كثير من القرائب شأن كل قضية فازت بقوة النمو في منبت خصيب وتربة صالحة .. مما يحتم على أهل العلم ان ينظروا الى تعديله أو اجراء اصلاح فيه .. خاصة ونحن اقرب الامم الى حادثة الطف مكانا وشأنا .. وافر حرية من غيرنا واقدر .. لذلك يلزم على اعلامنا أئمة الهدى وشيئنا وشبابنا رسم الخطة الصالحة لاقامة هذه الذكرى الكريمة خالية من الشوائب ومما يسيء أو يشين .. واذ نستربها على أحسن وجه ونهج .. خدمة للأمة وتوجيها للجيل .. وعسى ان تحذوا حذونا شعوب مسلمة أخرى فتتال اجزل النفع .. ولعلنا بهذا نحقق بعض آمال الحسين من نهضته وتضحيته ..

والله المستعان على ما نبغي وريد .

جواد هبة الدين الحسيني  
انهرستاني

بغداد ١٣ محرم الحرام ١٣٨٩  
١ نيسان ١٩٦٩

(٢) ومنهم من يتخذ يوم عاشوراء يوم عيد وفرح وسرور .. وانها لسنة اموية وقد اتبعها جهلا بالحال .. والا فلا يظن بمسلم أن يفرح في يوم قتل فيه ابن بنت نبيه الذي لو كان حيا لكان هو المعزى به والباقي عليه ..

## كلمة الناشر للطبعة الثانية

كان الناس بحاجة ماسة في قضية « الطف » الى أصل تاريخي يرجعون اليه ليقفوا على أسبابها الأصلية والفرعية .. فطلع عليهم هذا الكتاب الجليل حوالي سنة ١٣٤٤ هجرية الموافق لسنة ١٩٢٥ ميلادية . وما كاد ينتشر خبر طلوعه إلا وقد تهافت الناس عليه لاعتماده على أوثق المصادر، وأصدق الآراء، وأصح الروايات .. وأقبل عليه رمواد الحقائق وورادها يرتشفون من منهل الصافي .. اذ وجدوا فيه الضالة المنشودة .. فقرظه الأدباء ونوّه به الخطباء وترجم له المترجمون والكتاب .

أجل لقد فتح هذا الكتاب على الكتاب والخطباء والزعماء ابواباً خارج الحسابان لما احتوى عليه من نظريات اجتماعية ومحاكمات تاريخية ومرويات لا يقبلها الشك او القدح .. وافشائه اسراراً من بطون التاريخ خفيت حتى على أهل النظر زهاء ثلاثة عشر قرناً .. فصار من بعده المؤرخ يمشي على ضوء العلم والناقل يعتمد في تصحيح روايته على هذا الكتاب كل ذلك مضافاً الى ثقة العالم الاسلامي بمؤلفه العلامة الحجة الذي اسدى الى العلم والدين خدمات عظيمة يذكرها له التاريخ جيلاً بعد جيل .. وان أهل العلم والفن واثقون كل الوثوق بحصره المدارك لآرائه ومروياته من اوثق المصادر ومن كتب مؤلفة قبل الاربعمئة الهجرية .. حتى انه قال في بعض مؤلفاته ما نصه: « التاريخ المدوّن بعد الاربعمئة ضعيف الحكاية عما قبله .. لصيرورة اقلامه بيد غير اعلامه .. وسوء تدخل الأمراء في استخدامه .. حتى اتقسم الناس في مذاهب التاريخ شيعاً واحزاباً فوق ما هنالك من ضعف الصلح والضبط واتشار الجهل والخطب ) .

ولقد اهتم بهذا الكتاب الجليل الخطباء والمحدثون اهتماماً عظيماً .. هذا يستظهره حفظاً .. وذلك يقرؤه على الجمهور نصاً .. حتى قال فيه « الاستاذ محمد فتحي زغلول باشا » من اعلام القضاء والسياسة في مصر في



محرم من سنة ١٣٤٦ هجرية الموافق لسنة ١٩٢٧ ميلادية عندما حضر ماتم سيدنا الامام الحسين عليه السلام في تكية الايرانيين بالقاهرة قال : ( اني منذ خسين سنة لا احضر في مثل هذه المآتم إلا مجاملة للطوائف .. لأنني كنت معتقداً ان مثل هذه المآتم غير مشروعة .. كما كنت ألوم في نفسي خروج الامام الحسين (ع) بعياله الى أرض كربلا .. وبعد اطلاعي على كتاب « نهضة الحسين أصبحت اعتقد بأن الحسين (ع) انما قام بواجبه الديني والسياسي معاً .. وان وجود مثل هذه المآتم ينفخ في الناس روح الأبناء .. ويورثها قوة الارادة في الحق » .

وكتب سماحة الامام الحجة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء عن هذا الكتاب عام ١٣٤٦ هجرية - ١٩٢٧ ميلادية ما نصه :-  
كتاب « نهضة الحسين » الأثر الجليل الذي ما زلت أنوّه به وأحث عليه منذ ان رأيته قبل برهة .. لا رعاية لحقوق الصداقة والاخوة .. بل عناية بحقوق الحق والمروة .. فانه من الآثار الخالدة التي هي من كتب الدهر لا من كتب العصر .. ومن الجاريات مع الأبد لا الساريات الى أمد .. ومثل هذه الكتب هي التي تنضج الافكار وتنشط العزائم وتبعث في مطالعها روح الهمة للتقاني على الحق .. والتهالك على الأبناء وعزة النفس ..  
وكتب في نفس السنة فيلسوف مصر الشهير العلامة الشيخ طنطاوي جوهرى بشأن الكتاب ما نصه :

كتاب « نهضة الحسين » اضلالة العصر وفريد الدهر صاحب السماحة السيد هبة الدين الشهرستاني ادام الله فيضه عبرة لمعتبر وحسكة لمستبصر وآية كبرى ونعمة عظمى بعث من شقاوة الأمة سعادة ومن الموت حياة ومن أعظم المآتم أجل المواهب .. كتاب تجلت فيه الروح الحسينية فرفرفت على قلوب قارئيه من المصلحين ولطالما قرأنا هذه القضية في الأخبار والسير .. وتصفحنا كثيراً من الرسائل والكتب ولكن ليس المدار على الروايات ونشرها ولا الأخبار وذكرها .. وانما السير للعبير والمبتدأ للخبر .. ولعمري لم تقع عيني على صفحة منه إلا وجدت في النفس انكاراً للذات وشوقاً الى ورود حوض المنايا لرفع الأمة واحتقار الشأن والحياة بما في الكتاب من الاسلوب

الذي يسحر الالباب .. هذا الكتاب أشتق من بؤس المسلمين بقتل ابن الرسول (ص) شوق الأحرار الى التضحية واحراز قصب السبق في سبيل الله وطلب المجد من أفضل المنى بالمنيا يتسابقون اليها زرافات ووحداً . ولقد تبين من هذا الكتاب صدق ما قاله لي منذ سنة بالاسكندرية العلامة الفاضل السيد العبيدي مفتي الموصل ما نصه :

« أن للشيعنة في نهضة العراق يداً تذكر فتشكر وعزيمة لاتقل ولا تقهر »  
وان روح الأخلاص وانكار النفس وعشق الفضيلة لا ينالها إلا قوم أحسوا بشرف النفس وعزتها وعظمة الآباء والاجداد .. ولا يتم ذلك إلا بذوي الفصاحة والبيان والقلم .. اولئك الذين يذرون في الامم بذور الحماسة والاخلاص .. وبهم يقتدي المقتدون ويظهر المصلحون كالعلامة السيد هبة الدين .. فله درك ايها المصلح الكبير .. هذا وابدي رجاءً انبعث من قلبي بمصر الى فضيلتك بالعراق .. ان تولي وجهك شطر الأمة المحمدية عموماً فوق ما عملت لها سابقاً .. وتنظر الى ماتمها العام «الجهالة والمذلة والتفرق» فتخطو بها بسحر بيانك الى العلم لتخرجها من الذل وتجمع لها الشمل ذلك رجائي فيك وللآخرة خير لك من الاولى وسوف يعطيك ربك فترضى .. والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين .

وكتب الفريق الركن جعفر باشا العسكري يوم كان رئيساً للوزارة العراقية واطلع على الكتاب في ١٥-٥-١٩٢٧ ما نصه :

« لقد قرأت بعض فصول كتاب « نهضة الحسين » فرأيت على جانب عظيم من النفع والاصلاح شأنكم في الموضوعات الجليلة التي تخوضون غمارها . وفي الحقيقة انه كتاب قيم لم ينسج احد على منواله .. ومفيد كل الافادة للنشء الحديث الذي ينبغي ان تثقفهم ثقافة عربية اسلامية صحيحة .. والامام الشهيد ولا غرو زعيم هذه الثقافة المستندة الى دعائم ثلاث .. الاخلاق الفاضلة والعروبة والمصلحة الاسلامية العامة .. »

وكتب المرابي المعروف الدكتور محمد فاضل الجمالي رئيس المفتشين في وزارة المعارف العراقية ومديرها العام سابقاً في مجلة « الكلية » السورية في

عددتها لشهر تشرين الثاني ١٩٢٧ حول هذا الكتاب ما نصه :

« ان اكثر الكتب التي كتبت عن مقتل الحسين (رض) لم تكن لتعتني بالوجهة التهذيبية النفسية لهذه الحادثة الجليلة .. بل كانت سلسلة روايات واوصاف وضعت في قالب عتيق يمجج ذوق الطالب العصري وينفر منه .. اما كتاب « نهضة الحسين » فقد جاء باسلوب جديد يجذب الطالب المتجدد ويفيده علمياً وخلقياً .. ولا عجب فان العلامة الشهرستاني قد وقف على افكار الشبان المتجددين من أبناء هذه البلاد فعرف اذواقهم وأدرك مواطن الضعف فيهم وما أحوجنا اليوم الى اناس يقتدون به فيظهرون محتويات كتبنا العتيقة في ثوب قشيب واسلوب جديد وان عملاً كهذا حسب ما اعتقد سيزيل كثيراً من سوء التفاهم الموجود بين طبقة الشبان المتجددين ورجال الدين .. ولا سبيل لتقدمنا اليوم إلا بالتفاهم المتبادل .

إن الطريقة التي يتبعها علماء التربية اليوم في تهذيب اخلاق النشء وتقويمها هي طريقة المثال الأعلى .. وذلك بان يقدموا للنشء سير الابطال ورجال الفضيلة بصورة تجذب عواطفهم وتملك قلوبهم .. فيجعلون صورة أولئك الاشخاص ابدأ نصب أعينهم فيجتهدون في تقليدها والنسج على منوالها .. وها ان العلامة الشهرستاني قد نصب صورة الحسين (رض) وشخصيته مثالا أعلى لشبان اليوم في اتباع الحق والجهاد في سبيل المبدأ والسعي وراء نشر الفضيلة ومحاربة الظلم والاستبداد .. كل ذلك بهمة لا تعرف الملل .. حتى ضحى النفس والنفس في سبيل الحق والمبدأ .

لنترك البحث في منزلة الكتاب التاريخية فانها لا تعد شيئاً أمام قيمته التهذيبية الاجتماعية .. اذ ما أحوجنا اليوم الى شبان يتعلمون درس انكار الذات وتضحية النفس في سبيل الحق والفضيلة من الحسين (رض) .

اذن فكتاب « نهضة الحسين » كتاب تهذيبي اخلاقي قبل كل شيء .. وهو لا يخص ابناء الطائفة الشيعية فقط بل شبان العالم على اختلاف مللهم ونحلهم .. وما هو بكتاب طائفي بل هو كتاب تهذيبي عام حري بالناطقين بالضاد ان يقرأوه ويضعوا شخصية الحسين (رض) كما يصورها هذا الكتاب

نصب اعينهم .. فانه مثال الايمان والثبات والتضحية »  
وكتب امير النثر العربي انيس شهاب العلوي الحضرمي في جريدة  
« حضرموت » التي تصدر في جاوه في عددها ١٢٣ الصادرة في ٢٢ تشرين  
الثاني ١٩٢٧ ما نصه :

« السيد هبة الدين الحسيني رجل العلم والدين وبطل الاصلاح  
والنهوض ، وهو بشهرته الذائعة وسعته الطائفة وصفته المنتشرة غير مفتقر  
الى النعت وفي غنى عن التعريف .

اخرج للناس حديثاً كتاباً قيماً ومصنفاً قيساً وسماه بـ « نهضة  
الحسين » وأفرغه في قالب بديع وصاغه خصيصاً وقدرة لتخليد ذكرى هذه  
النهضة التاريخية الفريدة التي هي نواة ما تلتها من النهضات التي تكافح  
الاستبداد والاثرة وتصارع البغي والطغيان وتنافح بسيف الواجب والفضيلة  
وتمشق حسام الحق والصدق وتظعن برمح العدل والايمان .. وقد أتى  
فضيلة المؤلف في هذا السفر الثمين على سلسلة الحوادث التاريخية حول  
فاجعة الامام سيدنا الحسين السبط بن علي بن ابي طالب عليه السلام المأخوذة  
من أوثق المصادر .. ناهجاً منهجاً فريداً في تحليل الحوادث وسرد المقدمات  
وترتيب الوقائع وتحليل الأسباب بأسلوب فلسفي هالة ذلك الاشراف  
الانشائي ، ويطرح منه ندى تلك الطلاوة التحيرية التي تأبى ان تفارق  
منشآت هذا التحرير الجامع ومدبجات هذا الجهد الحجة .

وقد متعنا النظر وسرحنا الطرف في مطالعة هذا الكتاب الثمين الذي  
يدخر كميرات كريم للأعقاب .. ويقتنى كعلق نقيس لا تبور دراربه ولا  
تكسد جواهره ، أنى تناولت العهود وتمادت الاحقاب . وكان الفكر  
والخيال يرفرفان ويتغلغلان في فضاء استعراض تلك الادوار العصبية وفي  
المرور بحوادث تلك الذكريات المؤلمة التي طفى فيها تيار الباطل على معاقل  
الحق ، وظهر فيها عتو الملك العضوض وبطر العصبية المهلكة على تقديس  
المبادئ المحمدية والوقوف مع التأسيسات الأحمدية .. وكيف كانت سيوف  
الظلم والبغي تعمل أخاديداً في أديم هذه البسيطة بما تسفكه وتجريه من  
سيول الدماء الزكية التي أهدرت من فروع دوحه النبوة وعرة الرسالة

واهرقت من ضحايا قرناء الكتاب والسنة وسالت من قرابين ثقل النجاة  
والعصمة ، الذين سجلوا شهادة الاستماتة في الاعتصام بالكتاب والسنة ، وفي  
الاستمساك بالواجب والفضيلة بما رقمه الهندي واساله على ظبانه من مهجهم  
العزيزة ثم كيف حاق الخذلان بالذين قال القائل مملحا بخياتهم « السيوف  
عليك والقلوب معك » وكيف كانت الصوارم المتحزبة للملكية والعصية  
أمضى واصدق من القلوب المنطوية على الأيمان بالرسالة الاحمدية والافئدة  
المضرة الود للعترة النبوية . وهيهات جدوى تمنيات أفئدة متذبذبة في  
الود ، مترددة في الصدق مع تألب قواضب قواضب على العدل ، وأجلاب خيل  
ورجل ، لأرواء غلة الانتقام ، واشباع نهمة الجهل .

وهكذا كان الفكر والخيال يتعرضان كل هذا ، ويسبحان في أودية  
المقابلة بين سطوع وتلاؤل تلك الفضائل الزهراء ، وبين فحمة وظلام الرذائل  
النكراء ، التي جاء هذا الكتاب وافيًا بتحقيقها وتحليلها .. الخ » .

هذه بعض الكلم التي صدعت بفضل هذا الكتاب من اعلام الكتاب  
وأهل النظر اشارة الى قيمته المعنوية وايماءً الى طرق الاستفادة منه .

لذلك وبعد ان قدت جميع نسخ الطبعة الاولى لكثرة توارد الطلب عليها  
من كل صوب وحذب ، رأينا ضرورة إعادة طبعه خدمة للحق والعلم مع  
التنبية على أن هذه الطبعة تمتاز عن الاولى باضافة « الفصل الخامس »  
واضافات في الهوامش وتصحيح بليغ ودقيق .. ومن الله وحده نرجو المعونة  
والتوفيق .

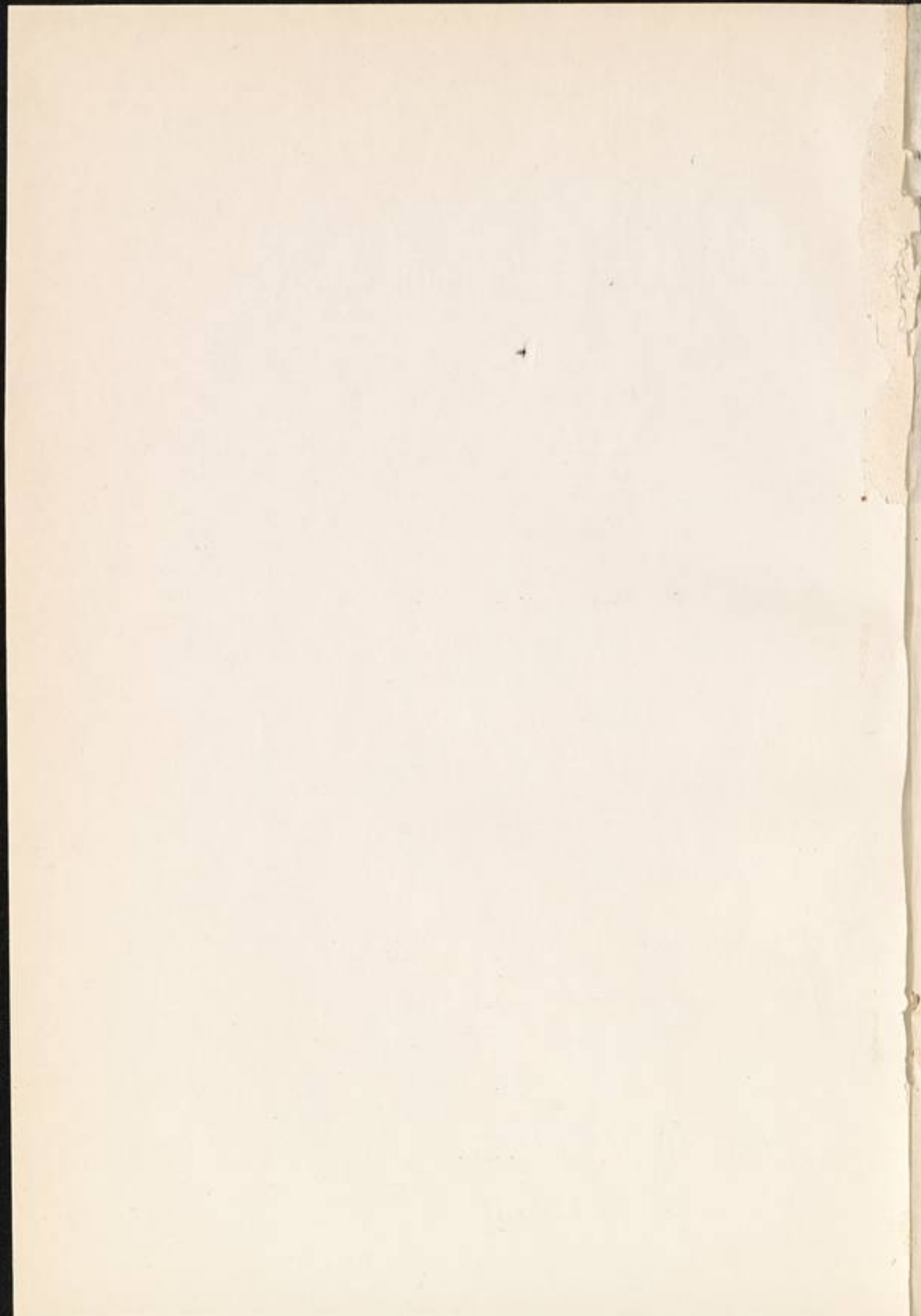
الناشر

الحاج علي الجابري

١ ذي العقدة ١٣٥٥  
بغداد - الاربعاء ١٣ كانون الثاني ١٩٣٧

## مواضيع الكتاب

ص	ص
٧٧ - الكوفة بنظر الحسين	١ - حياة المؤلف
٧٩ - خروج الحسين من مكة	١٤ - آثاره العلمية
٨٢ - ابن زياد على الكوفة	١٦ - آثاره المخطوطة
٨٤ - مقتل مسلم وهاني	١٨ - المشروطة والاستبداد
٨٨ - حالة الحسين بعد مقتل مسلم	٢٧ - وفاته
٩١ - مقابلة الحر للإمام	٢٠ - نماذج من شعره
٩٤ - الكوفة تقاد الى الحرب	٣٥ - مقدمة المؤلف
٩٦ - ولاية ابن سعد وقيادته	٣٧ - النهضة الحسينية
٩٨ - منزل الحسين بكر بلا	٣٩ - خلافة يزيد وخلاف الحسين له
٩٩ - جغرافية كربلا القديمة	٤٢ - اهلية الحسين للخلافة
١٠١ - الامام مصدود محصور	٤٤ - الحسين رمز الحق والفضيلة
١٠٤ - الحسين مستميت ومن معه	٤٥ - الحركات الإصلاحية والضرورية
١٠٧ - رسل السلام ونذير الحرب	٤٧ - آثار الحركة الحسينية
١٠٨ - حول معسكر الحسين	٤٩ - الفضيلة والرذيلة
١١٠ - عطاشى الحرب في الشريعة	٥٠ - سلسلة عوامل النهضة
١١٢ - اهتمام الامام بالموعظة	٥٤ - مبادئ قضية الحسين
١١٥ - الحسين ينهى نفسه لاخته	٥٧ - دوافع يزيد الانتقامية
١١٧ - السباق الى الجنة	٥٩ - معاوية وتعقبائه
١١٩ - مقتل على شبه النبي	٦٠ - تاثرات الحسين الروحية
١٢١ - توبة الحر وشهادته	٦١ - كيف يبائع الحسين
١٢٢ - اصطفى المظاهر الدينية	٦٣ - البيعة ليزيد
١٢٦ - الطفل النبيح	٦٦ - نظرة في هجرة الحسين
١٢٨ - العطش ومقتل العباس	٦٩ - هجرة الامام من مدينة جدة
١٣٠ - الشجاعة الحسينية	٧٠ - الهجرة الحسينية وانقلاباتها
١٣٢ - مصرع الامام ومقتله	٧٢ - الحسين وابن الزبير
١٣٧ - زينب في عاصمة ابوها	٧٣ - وضعية الامام في مكة
١٣٩ - السبي النبوي في قصر الامارة	٧٤ - الحسين يختار الكوفة
١٤١ - في الشام عاصمة امية	٧٥ - بنو امية والخطر الحسيني
١٦٣ - عزاء الحسين في أمريكا الوسطى	١٤٩ - تاريخ العزاء الحسيني
١٦٤ - عزاء الحسين في العتبات المقدسة	١٥١ - مظاهر العزاء في العصر الاموي
١٦٥ - عزاء التشابيه والتمثيل	١٥٥ - عزاء الحسين في العصر العباسي
١٦٨ - مجالس العزاء الحسيني	١٥٩ - مجالس النياحة لعزاء الحسين
١٧٠ - كلمة الناشر للطبعة الثانية	١٦٠ - بدء المواكب والحسينيات
١٧١ - التقاريرى للاعلام	١٦٢ - اهتمام الاقطار بعزاء الحسين



# NAHDAT AL HOSSIAN

BY

SIAD HIBATADILV AL SHIARISTANI



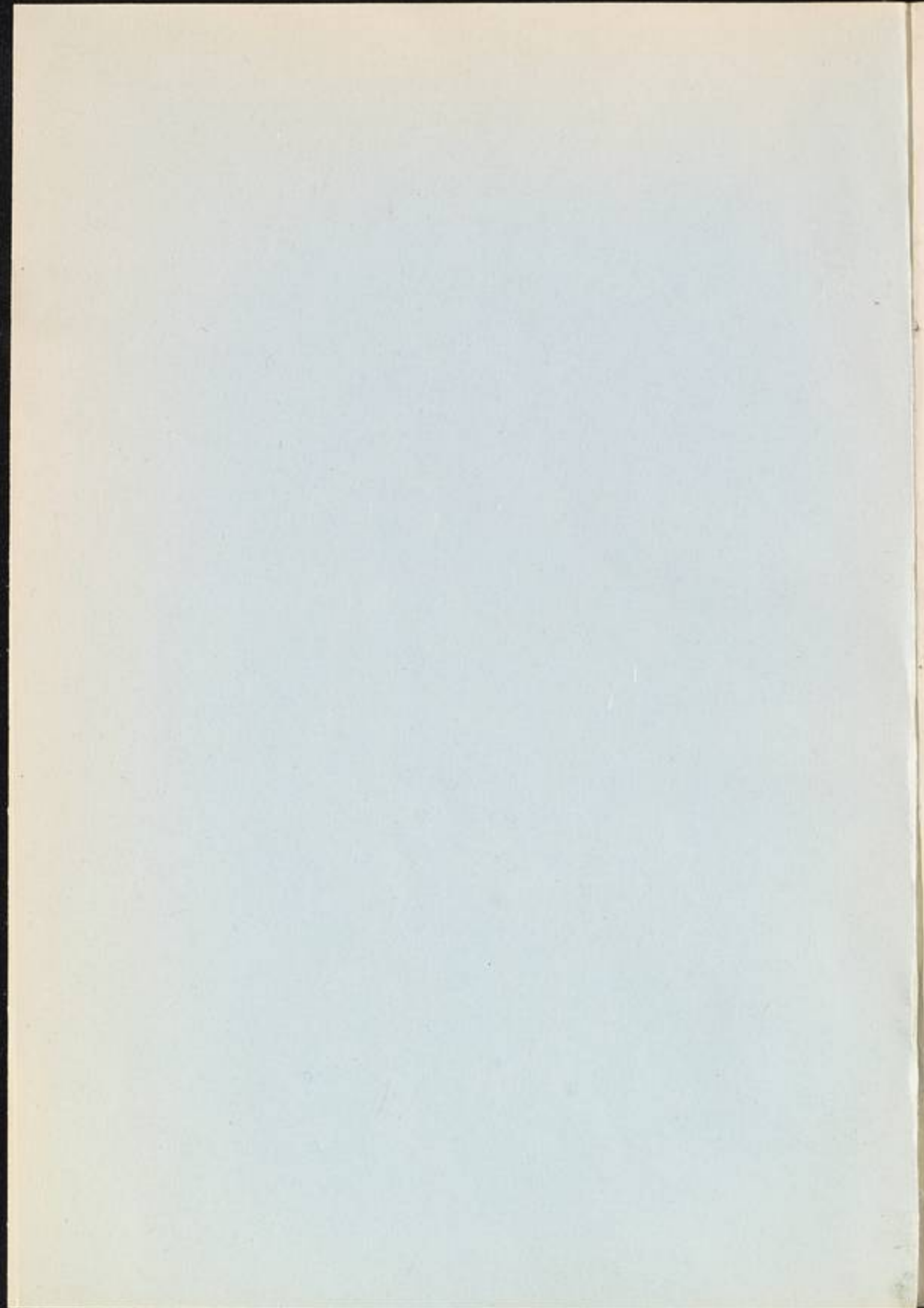
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

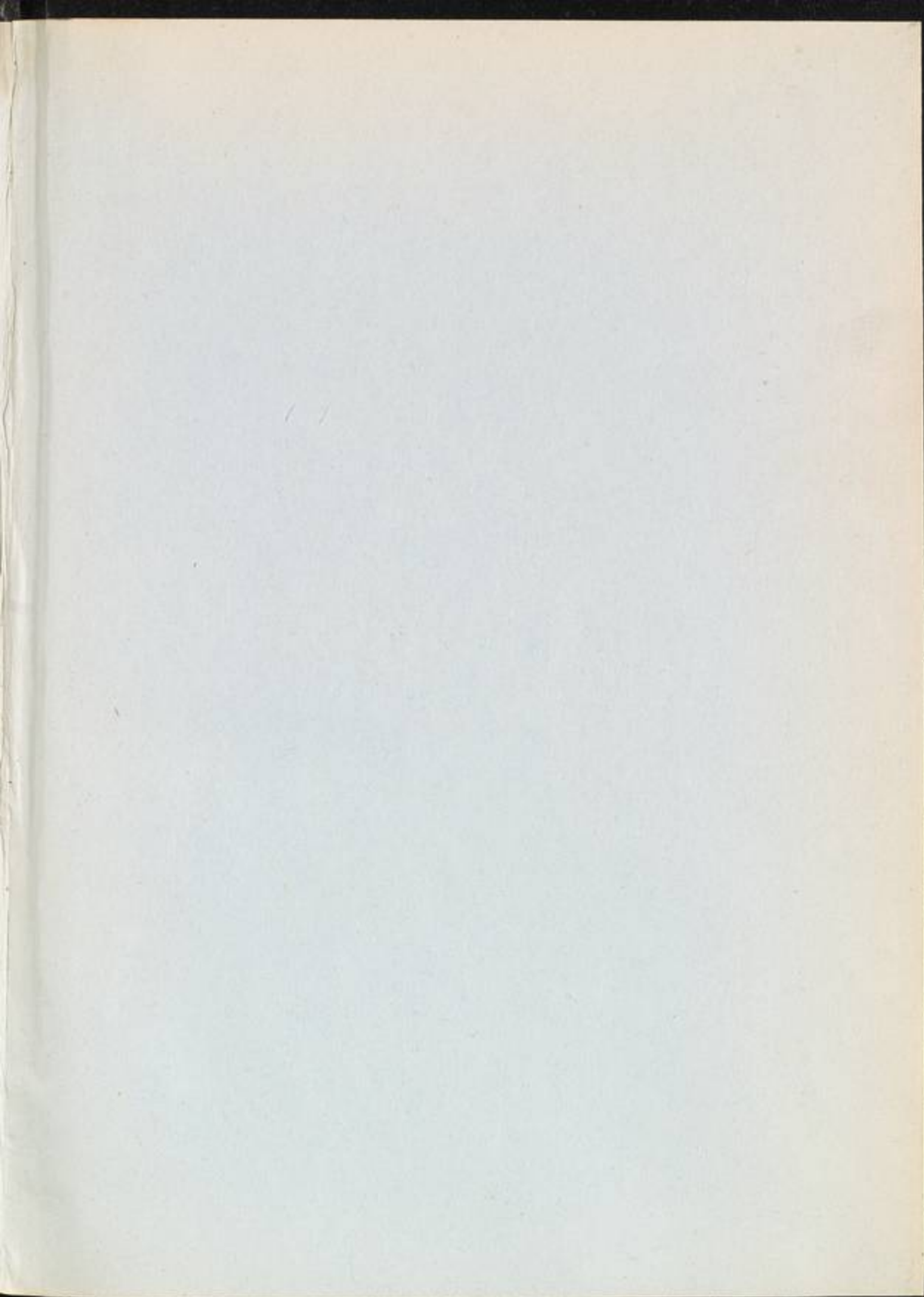
---

AL TADAMON PRESS.

1969 - 1389 H.









**Elmer Holmes  
Bobst Library**

**New York  
University**

NYU - BOBST



31142 02821 4966

BP80.H8 S52n 1969 Nahdat al-Husayn

2n